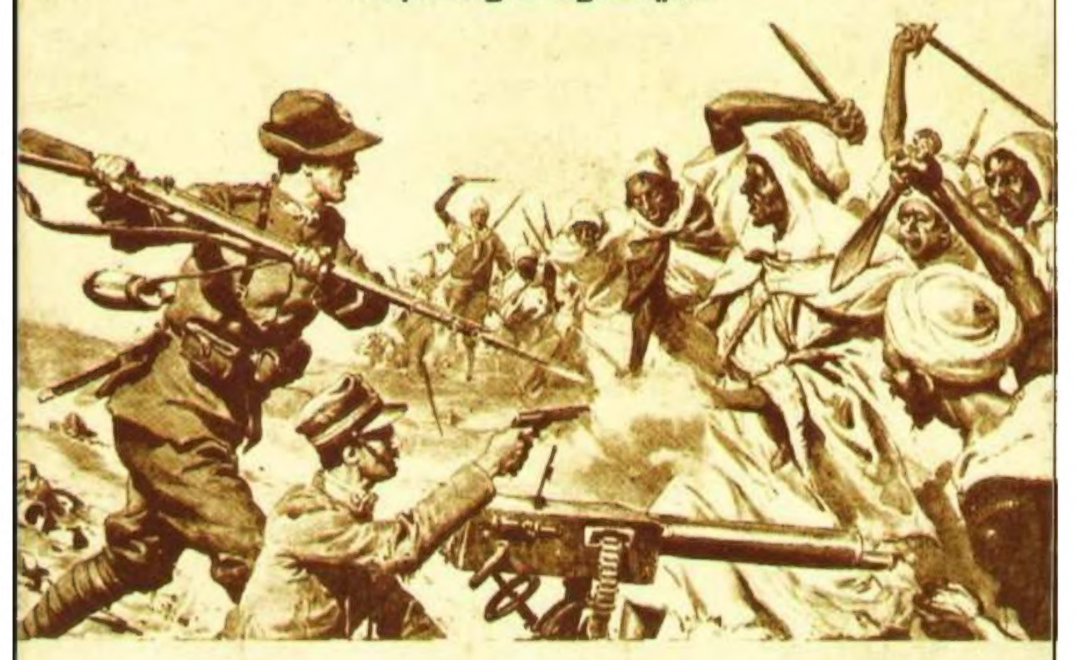
سلسلة الدراسات التاريخية 6

المنهج النقدي في التاريخ

الثابت والمتغير
في المواقف والكتابات



تأليف

مصطفى امحمد عبد الله الشعباني

فاضل الأمين محمد فكيني



للطباعة والنشر





المنهج النقدي
في التاريخ

الثابت والمتغيّر
في المواقف والكتابات

تأليف

مصطفى إمحمد عبدالله الشعباني   فاضل الأمين محمد فكيني

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية
الاشتراكية العظمى

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي – ليبيا
رقم الإيداع (112)
ردمك 3 - 0239 - 1- 9959 - ISBN 978
هاتف : 9097074 – 9096379 - 9090509
بريد مصور : 9097073
البريد الإلكتروني nat – lib – libya @ hotmail.com

اسم الكتاب

المنهج النقدي في التاريخ
الثابت والمتغير في المواقف والكتابات

المؤلفان

مصطفى امحمد عبدالله الشعباني - فاضل الأمين محمد فكيني

الطبعة الأولى

سنة النشر : 2008

شكر وتقدير

نسجل بكل تقدير وامتنان شكرنا العميق للأستاذين الكريمين:

- الطاهر التباني عراب.

- الأخضر أبوالقاسم العيساوي.

وذلك لدورهما في مراجعة مادة الكتـــاب ، وإبـــداء الملاحظـــات القيّمة.

كما نقدم الشكر الجزيل للأستاذ: أبوالقاسم الصغير أبوالقاسم لمراجعته اللغوية لمادة الكتاب.

فلهم جميعًا كل الشكر والتقدير.

المؤلفان



الفهرس

ب- الرد على المغالطات في الوقائع والأحداث التاريخية

ج- بيان مواضع التحريف والتغيير في النصوص المقتبسة من :-

الفصل الثالـــث
الثابت والمتغيّر
في كتابات ومواقف
الشاعر محمد سعيد القشاط

تاريخ مجيد

((**يحق** لنا أن نرفع الرأس عاليا أمام هذا التاريخ المجيد الذي تركه لنا أباؤنا وأجدادنا ، وعلينا أن نأخذ من هذا التراث الخالد العظيم الزاد الذي لا ينتهي ، والذي لا يضعف أمام أية قوة مهما تجبرت اليوم زادا يمكننا من الصمود مرة أخرى في مواجهة الأعداء الذين لا يزالون يتربصون بالشعب الليبي ، ويتربصون بالأمة العربية التي ينتمي إليها الشعب الليبي... إن هذا السرد لهذه المعارك ، ولهذا التاريخ لا نتلذذ به ونستمع لهذه القصص التي فيها بطولة خرافية ، وفيها دراما يعجز عنها الخيال... ولكننا نستعرضها لكي نستخلص منها الدروس التي تنفعنا في هذا اليوم ، وتنفع أبناءنا في الغد ، وتجعلنا نثق بأنفسنا.

إننا قادرون دائما على مواجهة الأعداء مهما بغوا أو تجبروا لأننا نشعر بأننا نحن أبناء أولئك الأبطال الذين لم يضعفوا أمام جبروت إيطاليا التي كانت دولة كبرى ، فعندما تواجهنا اليوم القوى الكبرى فنحن نبعث الماضي العظيم ليكون الزاد لنا في مواجهة تحديات الغد وبهذه الكيفية نكون قادرين على الصمود والثبات، وتحقيق النصر في النهاية ضد العدو ، كما حققه أباؤنا وأجدادنا)).

من خطاب الأخ/ قائد الثورة في الاحتفال بذكرى معركة القرضابية
بتاريخ 14 جمادى الآخرة 1386 و.ر الموافق 1977/6/2ف .

الإهـــداء

إلى كلّ الليبيين الشرفاء على مساحة هذا الوطن، الذين تصدّوا بشجاعة وعزم لجحافل الغزاة الإيطاليين.

وإلى كل الرجال ، والنساء ، والشباب ، والشيوخ ، والأطفـــال الـــذين تعرّضوا للقتل، والشنق، والنفي، والقهر، والظلم، والمذلّة، علـــى يـــد المستعمرين.

إلى ذلك الجيل دون استثناء، جيل المأساة، جيل التضـــحية التـــي مـــن رحمها أضاءت في سماء هذا الوطن شمس الحرية والكرامة.

إليهم وحدهم ،،، نهدي

كلمة حقّ ضد أولئك العابثين بحقائق التاريخ، الذين قلبوا ظهر المجّـــن لتاريخ مجيد ، صنعه الأجداد بدمائهم الطاهرة الزكيّة ، ونصّبوا أنفسهم قضاة ضد جيل من زمن غير زمنهم يلفقون التهم ، ويصدرون الأحكام لتشويه تاريخ ذلك الجيل الذي عمّده الأجداد والأباء بالـــدّم والمعانـــاة وليعيدوا زرع الفتنة والكراهية بين أحفاد أولئك الأبطال.

المقدمة

يشكّل التاريخ للشعوب والأمم سجّلا يختزن آلامها وأحلامها ، ويرصد خطواتها التي تخطوها ، ويسجّل دقائق حياتها وأحداثها ووقائعها ، وقد عنيت شعوب وأمم كثيرة منذ القدم بتسجيل حوادثها ، وحافظت على مصادرها ، حتى وصلت إلينا في عصرنا هذا ، فاستطاع الإنسان أن يعرف الكثير عن حضارات وشعوب انقرضت وانتهت.

ومما لا شك فيه أن الكتابة في حوادث التاريخ ، تحكمها ضوابط ومناهج تحدّد شكل الكتابة ، وأهدافها ، وتحدّ في ذات الوقت من محاولات التلاعب بحقائقه ووقائعه لأغراض شخصية ، كتحقيق مجد أو شهرة ، أو لأغراض كيدية لإخفاء الحقائق وطمسها ، وقد شغلت المرحلة الجهادية ضد الغزو الإيطالي حيزًا كبيرًا في وجدان جميع الليبيّين ، لأنها تجربة فريدة في محيطها العربي والإسلامي ، من حيث انخراط الجميع وصمودهم في مقاومة المحتل لأكثر من عقدين كاملين في غياب لسلطة عليًا مركزيّة تقودهم عدا الفترة التي سبقت توقيع صلح أوشي لوزان ودون أن يشكّل عامل المكان أية قيمة أو حاجز في مشاركة الجميع أو تفاوت تضحيتهم ، برغم تفاوت الامكانيّات والوسائل والعدد بين الجانبين ، وهذا الموقف الفريد جعل الجميع يتباهى بدوره وإسهامه فيه ولأن طبيعة المجتمع الليبي التي تميل إلى القبليّة وتغلب عليها البداوة ، فقد أصبح تفاخر الليبيين يتّجه بدلاً من الانصهار في فكرة واحدة تضمّ الجميع ، ويفتخر بها الكلّ من أقصى ليبيا إلى أدناها ، ولتشكّل فخرًا واحدًا للجميع ، فإنه يلاحظ أن الحال تغيّر إلى أن أصبح كلّ واحد يريد أن يظهر عظم مساهمة قبيلته ، أو أسرته عن الآخرين.

هذا المناخ العكاظي أفرز في مساحة من التسامح ، كتابات لنماذج من هؤلاء الكتّاب وصلت حدّ التجريح ، والتزييف ، ونشر المغالطات ، ورسم الأدوار البطولية الدونكشوتية(*) التي لا تؤيدها المصادر التاريخية على اختلافها ، وجرى العبث من طرف بعض الكتّاب من منظور شخصي ، وقبلي بالكثير من حقائق

---

* – **الدونكشوتية** : نسبة إلى دون كيشوت بطل رواية (دون كيشوت) الرائعة للكاتب الأسباني الكبير ثرفانتس التي صدرت عام 1605 .
ودون كيشوت هذا تخيل نفسه فارسًا فأخذ على نفسه مهمة لم يكلفه بها أحد ، صانعًا الأمجاد الوهمية ، مخلفا انتصارات ، ومتصورا هزائما لأعدائه لا يراها غيره ، وخائضا المعارك الخيالية أبرزها معركته مع طواحين الهواء التي ظنها فرسانا متأهبين للهجوم

تاريخ الجهاد الليبي ، للنيل من جهاد أبطال وقبائل على امتداد مساحة هذا الـوطن عمّدت تاريخه برحلة قاسية من الدّم والمعاناة ، والتشتّت ، انتهت كلّهـا بتحـالف العدو ، مع قسوة الطبيعة عليهم فاستشهد من استشهد ، وضاع من ضاع وسط بحر الرمال تزفه الملائكة إلى جنات الخلد هو ومن معه ، أما مـن اسـتطاع أن يعبـر مفازات الجحيم ، وبقى حيًا ، فقد نُفيَ وحرّم عليه الرجوع حتى لقي ربه ، ليبعـث يوم القيامة رفيقًا للصدّيقين والرسل .

وقد تجرّأ البعض من الأجيال اللاحقة التي لم تذق مرارة ظلـم المسـتعمر وجبروته في قهر النفس الليبيّة الأبيّة ، التي تعوّدت على الحياة بعـزّة وكبريـاء، تحرّكهم في الغالب رغبات وضغائن شخصية ، وإن كان ذلك تحت حجّـة البحـث العلمي للحطّ من قيمة هذا السجّل الخالد من الجهاد ، ومهاجمة كـلّ الأبطـال دون استثناء ، وهم في جوار ربهم خالدين في جنات الخلد ، حتى يتجاوز حرمة وقدسيّة استشهادهم ونفيَهم ، ليصل بهم الحال إلى وصفهم بالخيانة ، والنكوص عن واجب الجهاد والتضحية ، مستخدمين في ذلك عبارات وأساليب حدّيـة المعنـى ، ودون قراءة وتقييم موضوعيين لواقع تلك الأحداث ، وتـداعياتها المختلفـة ، وظـروف تحرّكهم فيها .

وتطرّف البعض ممّن يضمّهم هذا الاتجاه ، في إصدار الأحكـام القطعيـة حول وقائع ذلك التاريخ ، ولعلّ أكثرهم تطرّفًا في الكلمة والمعنى ، الشاعر محمـد سعيد القشاط الذي ترك ميدانًا كان يحظى فيه بالسبق والتميّز، وهو ميدان الشـعر حسب آراء نقاد الأدب ، ليقحم نفسه والآخرين وحقائق التاريخ في متاهات الخيـال التي نسجها لتظل الدائرة تدور بين قول منه ، وردّ من أخر، منصّبًا نفسه مؤرخًـا ومحللاً وقاضيًا وحكمًا ، يبرئ هذا ، ويجرّم ذاك ، وشهوده ومحلّفيه : رواية شفهية نقلت عن (قيل) لم تسلم من التغيير والتشويه ، وتحريف متعمّد لنصوص المراجع التاريخية خاصة وأن ما ينشره يستند في معظمه على أوراق يقدّمها كوثائق تاريخيّة منسوبة إلى مجاهد ، أو قائد من قادة الجهاد ، وقد أثبت الباحثون أنهـا خضـعت لعمليّة تغيير متعمّدة كما سيرد ذكره لاحقا ، أو شاعر جمح به الخيال وهو بعيد عن أرض الواقع ، فقال شعرًا تصوّره حقيقة ، ورغم كل الردود التي تناولت كتابـات القشاط ، وقناعاته على المستوى الشخصي بعدم صحّة الكثير مما ينشره ، إلا أنـه ظلّ مستمرًا في اتّباع هذا الأسلوب عنادًا وجدالاً والذي ربّما كـان لـبعض تلـك الردود إسهام في ذلك .

يهدف هذا الكتاب الذي نقدّمه للقارئ ، إلى دراسة ونقد المنهج الذي يتّبعه القشاط في الكتابة التاريخية ، من خلال تحليل مصادره ، ورواياته ، وتفنيد آرائه بالأدلة والوثائق ، ثم محاولة فهم شخصيّته ، برصد كتاباته منذ الستينيّات ، لمعرفة الثوابت والمتغيّرات التي تحكم اتجاه الكتابة لديه ، بمعنى هل أن كتاباته تستند على قيم ومبادئ ثابتة آمن بها القشاط ، ولم تتغيّر بتغيّر الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة في ليبيا ، أم أن تغيّر تلك الظروف والأوضاع سواء على المستوى الخاص بمعنى تغيّر وضع ومركز الفرد اجتماعيًا ووظيفيًا واقتصاديًا ، أو العام بمعنى تغيّر المجتمع أو قوانينه أو مؤسساته أو نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى نحو مخالف للواقع الأول أدّى إلى تغيّر مواقف ومبادئ القشاط باتجاه معاكس للوضع الأول ؟ .

وإذا كان هذا الكتاب ، يتناول بشكل عام المنهج الذي اتبعه القشاط في الكتابة التاريخيّة في جميع كتبه التي أصدرها ، فإنه يركّز في التحليل على نصوص كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي:الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي)) لأن هذا الكتاب تجاوز في مضمونه وأسلوبه أية قيود أو ضوابط منهجيّة أو أخلاقيّة ، ينبغي على المؤلف التقيّد بها مراعاة لقيم المجتمع الليبي وخصوصيته .

ويتضمّن هذا الكتاب مقدّمة ، وثلاثة فصول ، بالإضافة إلى الخاتمة وملحقٍ يضمّ عددًا من الوثائق أغلبها ينشر لأول مرة .

– **خصّص الفصل الأول** كمدخل عام للدراسة تم التركيز فيه على جانبين : **الأول** التعريف بمفهوم التاريخ ، وأسس المنهج العلمي في الكتابة التاريخية ، والشروط والضوابط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتناول هذا المجال ، إضافة إلى لمحة حول الإشكالية التي تواجه الباحث والكاتب في التاريخ الليبي خصوصا حول مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين ، لعدة اعتبارات أهمّها التعصّب القبلّي والاجتماعي الذي لا يتقبّل تناول تلك الأحداث التاريخية بروح من الموضوعية ، والنظر إلى أن وقائعها وحوادثها هي نتاج كل الظروف المحيطة بها آنذاك ، وأن فهم تلك الأحداث بروح علمية منصفة دون تعصّب من شأنه أن يسهم في تمتين اللحمة الوطنية وتقوية المناعة الاجتماعية ضد محاولات التفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، **والجانب الثاني** اعطاء القارئ لمحة عامّة حول أوضاع المجتمع الليبي في أواخر العهد

العثماني الثاني ، وحتى بداية الغزو الإيطالي لليبيا ، وذلك من النواحي الاجتماعيّة والسياسيّة والعسكريّة ، مقارنة بالاستعدادات الضخمة التي أعدتها إيطاليا لإنجاح حملتها العسكرية العدوانية لاحتلال ليبيا ، والتي يتبيّن من خلالها حجم التضحية الهائلة التي قدّمها ذلك الجيل ، وحجم المأساة التي كان يعيش فيها .

- **أما الفصل الثاني فتناول** نقد منهج القشاط في الكتابة التاريخية من خلال مراجعة ونقد كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي...)) من حيث التزام المؤلف بالمنهجية العلمية في الكتابة ، ودقة مصادره ، ثم تفنيد ما حواه مضمون الكتاب من مغالطات بالأدلّة ، والوثائق ، وتبيان الأسلوب الذي اتبّعه في تحريف الاقتباسات من المصادر المكتوبة ، لغرض تشويه صورة هذا المجاهد ، أو تلك القبيلة .

كما نشير إلى أننا في هذه الدراسة النقدية لم نتعرّض بالتحليل أو النقد لدور الشيخين علي كله والمبروك الغدي إلا في الحالات التي تستوجب ذكرهما فقط رغم أن القشاط تناولهما بهزليّة ورسم لهما دورًا كرتونيًا في المشهد العام لحركة الجهاد ، وذلك بمواقف وسلوكيات لا تليق بمن أراد لهما القشاط أن يكونا في هرم قيادات الجهاد الليبي ، حيث أساء لهما بالغ الإساءة .

- **وخصص الفصل الثالث** لمعرفة دوافع مثل هذه الكتابات ، وذلك بإجراء دراسة تحليليّة على نصوصه المكتوبة ، والمنشورة منذ الستينيات وحتى الآن ، وبيان كيف تتغيّر الكتابات والمواقف لدى القشاط بتغيّر الظروف والأوضاع .

- **وتركزت الخاتمة** ، على استخلاص النتائج ، ودعوة الجميع من أبناء ليبيا إلى تفادي مثل هذه الكتابات التي من شأنها أن تؤدّي إلى تصدّع الوحدة الوطنية والتلاحم الاجتماعي ، وتنشر الفتنة والتعصّب بين قبائله ، ومناطقه المختلفة.

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في تناول الموضوع قيْد الدراسة بكل منهجيّة، ودون تحيّز أو تعصّب أو مغالطات أوتجنّي على أحد.

المؤلفان

طرابلس - 2008

الفصل الأول

مدخل عام

أولا :- أسس المنهج العلمي في كتابة التاريخ

*- تعريف التاريخ

يتفق العلماء والمختصون العرب في أن التاريخ في اللغة العربية هو بيـــان للزمن والوقت ، وسردٍ للأحداث والوقائع ، ويرى ابن خلدون :- ((**أن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشدّ إليه الركائب والرحال ... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ... وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق**))[1].

أما بالنسبة للغات الأوروبية فإن الكلمة مـــأخوذة مـــن الأصـــل اليونـــاني **((Historia))** والتي تعني البحث والمشاهدة والتقصّي ، وعلى هذا المعنى يلاحـــظ أن هناك اختلاف واضح في تفسير معنى التاريخ لدى العرب والأوروبيين يتجـــاوز الشكل إلى ما هو أعمق من ذلك ، ففي حين توقفت الكتابة التاريخية لـــدى العـــرب عند بيان أخبار الزمان ، وسرد الوقائع ، ورواية الأخبار دون الاهتمام بـــالتعرّف على الدافع الذي وراء الوقائع ، فإنها عند الأوروبيين أضافت بعدًا آخر تمثل فـــي أنها مجال للبحث والمشاهدة والتقصّي ، وتحليلها وفق منهج علمي منطقي متكامـــل وتعدّ دراسة التاريخ والإحاطة به من الأمور التي لا غنى عنهـــا بالنســـبة للفـــرد والمجتمع ، إذ من خلال دراسة الماضي يمكن للفرد والمجتمع من تحديـــد أســـس عوامل تطوّره ، ومعرفة مشاكله ، بما يسهم في تلافي الســـلبيات ، واســـتخلاص الإيجابيات.

لذلك يلاحظ أن التطوّر الذي حصل في كتابة التاريخ بعد المراحل المنهجيّة منذ القرن التاسع عشر ، وهو رصد حركة الإنسان في مواجهة الطبيعة وتطويعهـــا لخدمته ، واتساع مجالات حركته لتشمل مجالات اقتصادية واجتماعيـــة وسياســـية وثقافية ، وبالتالي فإن كل مجال من هذه المجالات كان يحتاج إلى درجة تخصصية لرصد ظواهره ، مما يتطلب وجود مؤرخين متخصصين في كل جانب معرفي أي وجود المؤرخ الاقتصادي ، والمؤرخ السياسي ، والمـــؤرخ الثقـــافي والمـــؤرخ

---

1 – عبد الرحمن بن خلدون ، **مقدمة ابن خلـــدون** ، تحقيق حـــجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيـــروت، 1983، ص 13.

الاجتماعي ، ويحتاج كل منهم إلى إعداد منهجي كي يمتلك القـدرة علـى الكتابـة والمعالجة في مجاله .

***- خصائص المنهج العلمي في كتابة التاريخ**

أدى التطوّر العلمي في المجالات الطبيعية ، واستخدام المنهج التجريبي في فهم الظواهر الطبيعية ، إلى التساؤل حول إمكانية استخدام هذا المنهج فـي مجـال العلوم الإنسانية ، خاصة وأن دراسة التاريخ أصبحت تقوم على جمع أكبـر عـدد ممكن من الوقائع التاريخية ، بهدف الوصول إلى أحكام شاملة تمكّن الإنسان مـن فهم الأحداث الحاضرة على ضوء وقائع الماضي .

ويستند المنهج التجريبي في دراسة التاريخ على عدد من الخصائص والأسس منها

1- أن يكون الموضوع في إطار زماني ومكاني محدّد .

2- أن يتم توفير أكبر قدر من المعلومات المتعلقة بالبحـث ، وأن يـتم دراسـتها دراسة نقدية تحليلية .

3- أن يتم إعادة تركيب ، وصياغة للمادة التاريخية صياغة علمية ، تتجاوز مرحلة السرد والوصف والتعليل .

4- الوصول إلى استنتاجات وأحكام تتحرى الدقة .

***- الشروط الواجب توافرها في الباحث**

إذا كان كلّ من يكتب في التاريخ يعتبر مؤرخًا ، فإن المسـألة سـتتعدى العمل المنهجي المتخصّص الذي يقوم على أسس معينـة لتصـبح مسـألة هوايـة ورواية دون ضوابط أخلاقيّة ، أو منهجيّة تحدّد إطار البحث ، لذلك فـإن الباحـث لكي يكون مؤرّخاً لابد أن يتحلى بصفات وأخلاقيات معينة ، وأن يمتلـك المقـدرة المنهجيّة في البحث ويحدّد الدكتور السيد عبدالعزيز سالم الشروط التي يجب على الباحث أن يتحلّى بها عند الكتابة في التاريخ وهي :-

((1- **أن** يكون محبًا للدراسة منصرفًا إليها ، غير متسرّعا في بحثه تعجيلاً لمنفعة سريعة ، وأن يكون أمينًا شجاعًا ، لا يكذب ، ولا ينتحل ، ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان ، ولا يخفي الحقائق أو يزوّرها ، وأن يبتعد عن حبّ الشهرة والظهور ، وألا يكون عمله من أجل كسب الألقاب ، أو الجاه ، أو المنصب بل يكون عمله من أجل الحقيقة العلميّة .

2- **أن** يكون دقيقًا في بحثه ، والدقة هنا واجبة ، لأنها شرط أساسي يتطلّبه عمل المؤرخ ، وليست اتجاهًا أخلاقيًا ، وألا يحدّث بكل ما يسمع دون تأكيد وتمحيص.

3- **أن** يكون لديه المقدرة على التنظيم والترتيب ، كي يستطيع التمييز بين الوقائع وتنسيق الحقائق ، وتحديد العلاقة بين الحوادث في الزمان والمكان ، حتى لا تختلط عليه ، ويفقد قدرته على الربط بينها ، ومن ثم يفقد صفته كباحث .

4- **أن** يتمتّع بقدر من الإحساس ، والذوق ، والخيال ، يتيح له إدراك آراء الغير ونوازعهم ، ويفهم بقدر المستطاع الدوافع التي حرّكت الشخصيات التاريخية لاتخاذ مسلك معيّن ، وأن يستطيع أن يشارك هذه الشخصيات مواقفها في ساعات اتخاذ مواقفها التاريخية الفاصلة .

5- **أن** يتمتّع بالروح النقدية الجادة ، بحيث لا يتأثر بالمسلّمات ، أو يقبل المعلومات وألا يصدّق كلّ نصّ ، أو مصدر دون تمحيص ، أو تدقيق ، لأن فقدان هذه الصفة تجعل الباحث مجرّد راوية ، يروي كل ما يبلغه من معلومات على أنها حقيقة واقعة مؤكدة ، كما أن على الباحث ألا يعفي نفسه من النقد الذاتي ، وهذا يعني ألا يراجع الباحث أفكاره ومواقفه السياسيّة نتيجة تغيّر الظروف .

6- **أن** يكون نزيهًا في تناوله للوقائع ، بعيدًا عن الميول الشخصية ، والمصالح وعدم التحيّز الشخصي سواء كان نتيجة محبّة ، أو كراهيّة ، بحيث يعطي لكلّ طرف حقه.

7- **ألا يتأثر** في بحثه بالخرافة ، أو الأسطورة ، التي تقوده إلى المبالغة والانسياق وراء تضخيم الحدث دون تمحيص أو تدقيق ، وعدم الخضوع للآراء المسبقة سواء كانت آراء قديمة ، أو ذائعة الانتشار ، أو لها شهرة بين

الناس ، إضافة إلى عدم التأثر والانسياق وراء التعصّب ، والتحمّس الزائـد لأفكاره أو رأيه على أنه وحده على صواب وغيره مخطئين ، ويبدو ضـرر هذا العامل في البحث التاريخي حين يدخل الباحث لدراسة موضوع ما متأثرًا بوضعيته الفكرية أو الاجتماعيّة ، أو العنصريّة ، أو القوميّـة ، أو الدينيّـة ليقف موقفًا معاديًا للآخرين.))[1].

*- إشكالية الكتابة الموضوعية حول مرحلة الجهاد

تثار الكثير من التساؤلات عند معظم المهتمين بدراسة التاريخ ، حول دوافع وغايات مثل هذه الكتابات التي تناولت حركة الجهاد ، وتأتي بالمتناقضات حول تلك الأمور التي جرت ، مما أوقع أبناء المجتمع في حساسيات ومشاحنات استندت على البعد القبلي الذي أصبح سمة تتحكم في السلوك الفردي ، وأصبح كل فرد يحاول أن يظهر نبل قبيلته وعظم دورها ، وأحيانا يختلق المواقف ، ويضع الروايات ويقـدم الأوراق المشكوك فيها كوثائق يحاجج بها الآخرين .

وتراكم هذه المحدثات في الكتابة تدفع للتساؤل حول : لماذا هناك صـعوبة في مناقشة وكتابة تاريخ الجهاد الليبي ضد الإيطاليين بروح علمية منصفة ؟ وماهي الأسباب التي تدعو الجميع إلى الحساسية المفرطة عند تناول الحـديث عـن هـذه المرحلة ، فلا نقبل إلا أن نكون من أعظم المجاهـدين تضـحية دون الآخـرين ؟ ولماذا يتجرأ البعض منا ليكتب تاريخًا آخر يحاول أن يناقض به ما أجمعت عليـه المصادر ؟ لماذا ، و لماذا ؟ .

ومن وجهة نظر شخصية نعتقد أن هناك عدة عوامل مهمـة كانـت وراء صعوبة الكتابة الموضوعية الجادة والتأريخ العلمي المنصف لحركة الجهاد منها:-

1- التوثيق التاريخي

يقودنا هذا العامل إلى استعراض أهمية دور التوثيق التـاريخي للأحـداث وذلك من خلال التعرف على وجود الدراسات والكتابات التي تؤرخ وتوثق للحدث في حينه سواء كانت كتب أو سير ذاتية أو وصف أو سرد ، ومدى توفرها لأنهـا هي التي تشكل الإطار الذي يتم عن طريقه فهم الأحداث دون اجتهاد كبير ، فمـن

---

1 - السيد عبدالعزيز سالم ، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت الطبعةالأولى ،1981 ، ص40

المؤكد أن تاريخنا في ليبيا يعاني بشكل عام من قلة الدراسات ، والأبحاث العلميـة الجادة التي تتناول تاريخ الإنسان الليبي منذ القدم وحتى الآن ، ويردّ سبب هذا فـي غالب الأحيان إلى عدة أسباب وعوامل منها ما يتعلق بطبيعة وتركيبـة المجتمـع الليبي التي هي في الغالب نتاج بيئة أقرب للبداوة منها للحضر ، إضـافة إلـى أن الإنسان الليبي لم ينل حقه من التعليم بشكل عام إلا مع منتصف القـرن الماضـي ويكفي أن ندلل على هذا أن التقارير التي أعدّت من جهـات أجنبيّـة خـلال فتـرة الأربعينيات من القرن الماضي أكدّت أن عدد الليبيين الذين يحملون شهادات علمية لا يتجاوزون أصابع اليدين وهذا بسبب سياسة التجهيل التي اتّبعها الأتراك تجـاه الليبيين ، وعدم اهتمامهم بنشر العلم والثقافة بينهم ، وإلـى السياسـة الإسـتعمارية الإيطالية التي أتبعت عمدًا لضمان استمرار تفوق العنصر الاستيطاني علـى أبنـاء البلد .

وبخصوص مرحلة الجهاد ضد الغزو الإيطالي ، فإن أغلب المصادر التـي تؤرخ لتلك الفترة هي مصادر إيطالية وثقت لحروبها في ليبيا سواء كانت الدولة أو الأفراد الذين ساهموا في تلك الأحداث ، وأغلب هذه المصادر لم يترجم إلى اللغـة العربية ، أو ترجم ولم ينشر .

ويواجه المؤرخ لتلك الفترة قلة وندرة الوثائق الوطنية لأسباب تعـود إلـى الظروف التي أحاطت بالمجاهدين وقياداتهم من قتل وتشريد ونفـي ، ومصـادرة لأملاكهم بما فيها وثائقهم ، مما أدى إلى ضياع وتلف الكثير من الوثائق التي كانت بحوزتهم ، وإن وجدت فهي لاتزال حبيسة الأدراج ، ولم تـتح الفرصـة لنشـرها لأسباب متعددة ، مما دفع بالبعض إلى محاولة وضع شكل أو نص روائي للحـدث يعتمد في الغالب على مخيّلة أو رواية شعبية تخرج من النص التوثيقي لتدخل مجال النص الأسطوري .

أما الأسلوب الذي تمثل في جمع الروايات الشفهية من أفـواه المجاهـدين فقد جرى إتباعه في فترة زمنية متأخرة عن فترة حدوث الوقائع ، ولم يشمل القادة الذين لعبوا الدور الأهم في تلك الأحداث بسبب وفاتهم ، ولكن يظل هذا الأسـلوب يشكّل مساهمة هامة في توضيح المشهد بكامله رغم ما يكتنفه من محاذير تضـعف من الاعتماد عليه كمصدر رئيسي وأساسي في مواجهة الوثائق المكتوبة الرسمية.

وبهدف إظهار قيمة تلك التضحيات الجليلة ، وبيان حجم المأساة التي عاشتها تلك الأجيال المجاهدة من جميع أبناء الشعب الليبي ، قامت الدولة بإنشاء ((مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي)) والذي تغير اسمه لاحقا إلى ((مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية)) وذلك لغرض توثيق تلك المرحلة ووضع الدراسات والأبحاث حولها ، وفي هذا الجانب قام المركز بدور وجهد يسجل له بتقدير .

2- البناء القبلي للمجتمع الليبي

جغرافية ليبيا الشاسعة وطبيعتها القاسية التي تميل في الغالب إلى النمط الصحراوي حوالي ((90%)) من الأراضي صحراء ، فرض على سكانها الاستمرار في الحياة بإسلوب الحياة الصحراوية التي تعودت عليه القبائل العربية البدوية المهاجرة ، وباستثناء بعض المراكز والواحات في طرابلس أو بنغازي أو مصراته أو درنه أو غدامس التي شكلت تجمعات سكانية تقترب في حياتها اليومية من نمط الحياة في المراكز الحضرية المدنية في الأقطار المجاورة .

ولذلك شكلت القبيلة بشكل عام الوحدة الأساسية في النسيج الاجتماعي للمجتمع الليبي ، ولم تتأثر القبيلة كمفهوم اجتماعي بتلك التغيرات التي مرت بالمجتمع ، أو بتطوّر الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية من حيث تقسيم هذه الرقعة الجغرافية إلى وحدات إدارية منذ العهد العثماني ((المتصرفيات والنواحي والقائمقاميات والمديريات)) إذ لم تسهم هذه النماذج الإدارية في إذابة النزعة القبلية وصهرها في شكل جديد يتماشى ومفاهيم العصر الحديث ، بل إنها ساهمت تحت تنامي سيطرة النموذج القبلي على تأجيج الصراعات بين القبائل داخل التنظيم الإداري الواحد ، فشهدت تلك الوحدات الإدارية خلافات وصراعات تنامت حتى وصلت حدّ الإقتتال الدامي بما جرّه من آلام ومعاناة وضحايا ، وتخندقت كل قبيلة حول مفاهيمها ورؤيتها لما يجري حولها .

وفي ليبيا ماتزال الجماعات البشرية تتقوقع تحت مظلة القبيلة حتى في مجتمعات المدينة التي شهدت انفتاحًا ثقافيًا على الآخرين ، حيث يلاحظ أن الفرد غالبًا ما يعيد تأكيد انتمائه القبلي الذي يظل يلاحقه كظله مهما طال استقراره بالمدينة أو تشرّب من ثقافتها وأسلوب حياتها ، بل شهدت حياة المدينة تراجعًا واضحًا أمام غلبة السلوك البدوي ، فتجاوَرالبشر والأنعام التي وجدت مكانًا لها بين

التجمّعات السكانية ، وأحيانا داخل أو فوق سطوح المنازل المتجاورة والمتلاصقة في حياة تبدو في ظاهرها متناغمة .

والقبيلة كنموذج اجتماعي تصطدم كثيرًا مع مفاهيم التطور الاجتماعي والسياسي والإداري ، وهي تشكل مقاومة لمنطق التطور بشكل عام ، ومفهوم الدولة الحديثة القائمة على منظومة الحقوق والواجبات التي تتحدّد من خلالها العلاقات الأفقية على المستوى الاجتماعي ، أي علاقة الفرد بالفرد ، والفرد بالمجموع والعكس ، وليس علاقة المجموع بالمجموع فقط والعكس ، وكذلك العلاقات العمودية لكل الأطراف على المستوى التنظيمي الإداري للدولة ، ولكن ما يهمنا هنا هو النظر إلى تأثيرالانتماء القبلي على سلوك الفرد والذي يدفعه كحالة فردية إلى التعصّب لقبيلته من واقع العلاقة العاطفية فقط التي تجمعه بأفراد القبيلة التي تنقل هذا التعصّب من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي العام للقبيلة وتتحوّل بذلك إلى سلوك اجتماعي عام يتّسم بالتنظيم والاستعداد لمواجهة الآخر بغض النظر عن صحة منطلقاته ، والآخر بدوره يقابل هذا الموقف بموقف مشابه له تضيع من خلاله أيّة فرصة للتعقل ، وما يهمنا في الحقيقة هو بيان غلبة السلوك الاندفاعي المشحون بعاطفة إثبات الوجود تجاه الآخرين على منطقية الحقائق وسلامتها في كل المستويات والمجالات ، ففي المجتمعات المدنية التي تطوّرت وأذابت الفوارق الاجتماعية ، ووحّدت الكثير من السلوكيات للأفراد ، وجعلت من التجمّعات السكانية قيمة فردية : بمعنى أن الفرد هو من يصنع ذاته وحياته وقيمته بين الجماعة دون أن يستند إلى عوامل أو قوى أخرى تعزّز مكانته أو تحدّد وضعه الاجتماعي والتراتبي القائم على المهنية والكفاءة وليس على نسبه في المجتمع .

أما في المجتمع الليبي ومجتمعات الخليج بشكل خاص لتشابه أنماطها والمجتمعات العربية بشكل عام نلاحظ أن المجتمع لم ينتقل بعد من الحالة التي كانت سائدة قبل ظهور الإسلام ، ونعني هنا بدقة أن مفهوم القبيلة الشامل كوحدة اجتماعية لم يتأثر كثيرا بالمواعظ الدينية ، وأنه ما يزال يسيطر على العقلية الليبية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، وإن هذبته تعاليم الإسلام السمحة ، فالتفاخر والعصبيّة القبلية والنظرة الاستعلائية التي تحمل قدرًا من العنصرية ما تزال تحكم سلوك الجميع تجاه بعضهم ، ودون التوسّع في الشرح حول الموضوع ، فإن ما نشير إليه هو أننا لم نستفد من التطور الذي حدث حولنا خلال القرنين الماضيين الذي نقل تجمّعات سكانية من حالة الجماعية المسيطرة على الفرد إلى مفهوم الدولة

الحديثة الذي أطلق عملية النهوض الاجتماعي والسياسي والثقافي والعلمي الذي يؤثر إيجابًا في الثقافة والمعرفة والموضوعية في تناول الجوانب المختلفة من حياة المجتمع دون أن يثير ذلك الحساسيات أو الشعور بالظلم أو التهميش والإقصاء وبقينا نتعامل بنفس ذلك السلوك والمنهج القائم منذ قرون عديدة دون تغيير ، وكما رسمه الأجداد .

ويجرّنا هذا إلى القول : إن معظم الكتابات التي تناولت حركة الجهاد في ليبيا طغت عليها العاطفة القبلية، وسعت إلى محاولة تفسير الوثيقة أو الحدث بمنظور قبلي ، حتى تلك التي لم تشر صراحة، وضعت إيماءاتها وإسقاطاتها القبلية بين السطور، وبرزت من خلال التحليل الموضوعي لتلك الكتابات النزعة القبلية التي تحاول أن تستأثر بالفضل والدور الأكبر في هذه الملحمة الجهادية دون أن يتم النظر إلى أن المشاركة كانت جماعية وإن تفاوتت الأدوار في الحجم ، أو تلك التي تسعى لقلب الحقائق باتجاه صياغة جديدة ، وإعادة رسم الدور الذي لعبته القبيلة في الماضي بآخر جديد ، من منطلق الشعور بتغيّر الأوضاع الاجتماعية بفعل عوامل التطوّر في المفاهيم على المستوى العام .

ونشير إلى أننا ونحن ننتقد مثل هذه الكتابات قد انطلقنا أيضًا في إعداد مادة هذا الكتاب من مشهد البعد القبلي ، حين شعرنا بأن التهجّم على القبيلة طال الثوابت والقيم ، وبلغ الحدّ الذي أصبح لزامًا علي أبنائها بما يفرضه عليهم الانتماء القبلي من قيود وواجبات ضرورة الإيفاء بحق القبيلة ، ولكن بقدر ما كان هذا الدافع قويًا بقدر ما اتجهنا إلى التحرّر من النظرة القبلية الضيّقة ، والنظر لذلك الماضي الذي نشترك فيه جميعًا بنظرة عامة تحاول أن توضح حقائقه ، دون أن تمسّ ثوابته المتمثلة في أن الجميع دون استثناء أدى دوره ، وتعرّض للقتل والتهجير والنفي وأنه لا يحق لنا أن نتهم أو نحاكم جيلاً مهد لنا طريق الحرية بالدم ، أيّا كانت مواقف أطرافه التي هي دون شك مرتبطة بظروف تلك الأحداث وتعقيداتها وبعوامل كثيرة كانت لها تأثيرات عميقة .

3- المشاركة الجماعية في أغلب معارك الجهاد

هذا التحليل للتركيبة القبلية ، ودورالانتماء القبلي في توضيح صعوبة تناول تلك المرحلة بحيادية وعلمية دون أن يغضب طرف أو يحتج آخر ، تقودنا في الواقع إلى إشكالية أخرى عند التعامل مع مسألة تأريخ وتوثيق الجهاد ضد

الإيطاليين بلغة علمية ، فسيطرة العامل القبلي على أسلوب التفكير والمحاورة يمنع بل يطرد أية فكرة يمكن أن تؤدي إلى القبول بالمشاركة مع الآخر، فما وقع وحدث على أرض القبيلة من معارك ، فالفخر والمجد لها دون غيرها ، حتى ولـو كـان الحدث منسوبًا إلى جمادٍ مفردٍ في قفرٍ مستوحشٍ(*) لم تستقرّ عليه القبيلة بعد، أو أن من صنعوا الحدث جاءوا لفيقًا(**) من نجوع وأماكن بعيدة ، فطوال السنوات التـي سبقت تحرّك الجيوش الإيطالية الغازية للأرض الليبية ظلت إيطاليا تنظر باهتمـام لتقارير بعثاتها القنصلية ، وجواسيسها التي غالبًا ما كانت تتسـتر تحـت غطـاء الجمعيات العلمية التي جابت البلاد طولاً وعرضًا تنقب عن الموارد، وتدرس طبائع الناس وطرق حياتها ، وعلاقاتها فيما بينها ، وإلى مؤسساتها الاقتصادية والتجارية التي كانت تتوسّع في نشاطها بامتلاك الأراضي والمصـانع والمصـارف وإقامـة المدارس والدور، وكانت إيطاليا ترسم خططها للإستيلاء على ليبيا على قناعة بأن الشعور السائد بوجود تعسّف وظلم من الأتراك على الليبيين سيكون أكبر عون لها في نجاح حملتها ، وأن الليبيين سيتقبلون قدومها كمنقذ لهم من عسف وظلم الأتراك لأن التقارير والتحليلات الإيطالية للأوضاع في ليبيا لم يكن مبالغ فيهـا، حيـث إن واقع حال علاقة الليبيين بالأتراك لم تكن على ما يرام، فالضـرائب تثقـل كاهـل الشعب، والجهل والمرض متفشي بين أبنائه، والمشاركة في تسيير الأمـور شـبه معدومة ، إضافة إلى النظرة الإستعلائية وآثار ثورات القبائل ضد السلطة التركيـة وما جرته من حروب وتدمير للحصون والقصورالمنتشرة على أعالي قمم الجبـل وسفوحه ، والتي ما تزال شواهدها ناطقة حتى يومنا على قسوة المعاملـة وعنـف الرد ، وتشتيت للقبائل التي كانت تقود هذه الثورة حتى أنها منعت وتوعّدت بمعاقبة من يحمل اسم أو كنية [المحمودي] نسبة إلى قبيلة المحاميد التي كان منهـا الشـيخ غومة المحمودي يقود تكتّل القبائل في الجبل في الثورة ضدهم .

وقد أشار الرحالة الإنجليزي ((جيمس ريتشاردسن)) إلى الحالة المأسـاوية التي وصلت إليها حالة الليبيين نتيجة للسياسة التعسفية التي اتبعها الأتراك ضـدهم بعد القضاء على ثورة غومة ، وقدم نموذجا لهذه الحالـة وهـي قبيلـة الرجبـان باعتبارها إحدى القبائل المشاركة في ثورة غومة المحمودي ، وذلك أثنـاء إقامتـه فيها لمدة خمسة أيام خلال رحلته من طرابلس إلى غدامس ، حيث لمس عن قـرب

* – القفر المستوحش : المكان الذي لم يعتاده الإنسان مسكنا أو ذاك المحل البعيد عن العمران.

** – لفيقًا : جماعات.

في تلك الأيام الخمس آثار تلك السياسة القاسية ، ومعاناة الناس ، وقد عبّــر عنهــا بالقول :- ((وعلى الرغم من حالة الفقر المدقع ، حلّ بالمنطقة محصّل الضــرائب المتجول في حراسة ستة من الجنود يتجسسون من حولهم ويغتصبون بالقوة ما يسد به هؤلاء المساكين رمقهم ، فما شهدته من مناظر مخزية تدمي القلب لم أسمع بمثله أبدا أيام المجاعة والقحط التي حلت بالإيرلنديين ، فأحد الرجال يؤخذ جمله الوحيــد ويترك بدون ما يمكنه من إعالة نفسه ، وآخر يلقي ثوره الوحيد نفس المصير إنهم ينهبون كل شيء فقد اقتحموا منزلا مجاورا استولوا على كل ما بــه مــن شــعير وقاموا بتفتيش المنازل الأخرى وحطموا كل ما بها وأكثر من هذا فقد جروا سكانها من رقابهم إلى القرى المجاورة وضربوهم بالسياط لا لشيء سوى لأنهم لا يملكون ما يدفعونه لهؤلاء الأشرار الملاعين ... تتراوح قيمة الضريبة الواجب على سكان الرجبان دفعها ما بين خمسمائة إلى ستمائة محبوب تسدد على ثلاثة أقساط ســنويا ومع أن المبلغ ليس كبيرا في حد ذاته، إلا أنه يمثل في الواقع أكثر من قيمــة مــا يملكه جميع السكان.. وبسؤالهم عما إذا كانوا يملكون أسلحة ؟ أجابوا وكأنهم فــرد واحد لا ولا شيء على الإطلاق فقد استولى عليها الأتراك بالكامل. وهكذا فبعد أن كان هؤلاء القوم مرهوبي الجانب، ويحسب لهم ألف حساب، فقدوا الآن كل شــيء فإلى جانب انهيار وتحطم معنوياتهم، وفقدانهم جميع أسلحتهم باتــوا لا يملكون مــا يدافعون به عن أنفسهم ضد أتفه المنغصات ...))[1]

كل هذه العوامل كانت مؤشرًا إيجابيًا في تقديرات الإيطاليين بــأن مســألة احتلال ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي ، ما هي إلا نزهة بحرية بســيطة لجنودها فالعدو الذي سيواجهونه هم الجنود الأتراك ، وهي حامية قليلة العدد والعدة بعد أن تمكنت عن طريق ألاعيب السياسة ومتغيّرات ولاءاتها مــن دفــع بعــض الساسة الأتراك إلى تهيئة الأوضاع في طرابلس الغرب بشكل يجعلها غير قــادرة على مقاومتهم وصدهم ، من خلال نقل أغلب الجنود إلى الــيمن لمواجهــة تــوتر الأوضاع فيها ، ولم يُبْقِ في حامية طرابلس إلا بضع مئات من الجنود.

ولكن ما لم يكن في حسبان وتقديرات الإيطاليين المســتندة علــى تقــارير بعثاتها وجواسيسها ومخبريها ، أنه مهمَا ساءت العلاقة بين الليبيين والأتراك ومهمَا كانت مستويات الظلم والعسف ، فإن ثمّة عامل مهمّ وأساسي مرتبط بوجدان وعقيدة

1- جيمس ريتشاردسون ، **ترحال في الصحراء** ، ترجمة د. الهادي مصطفى أبولقمة ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص 59-62.

الليبيين لا يمكن أن يتأثر أو ينعكس سلبًا على مجريات تلك العلاقة، وهو عامل الارتباط الديني الذي كان موحدًا لهما ودافعًا قويًا للتماسك بينهما في أحلك الظروف خاصة وأن تركيا ((الآستانة)) مثلت المرجعيّة ، ودار الخلافة التي يمثل معناها الكثير للمسلمين ، وأن إيطاليا هي الدولة المسيحية التي تحتضن مقر البابوية وهي مرجعيّة السواد الأعظم من المسيحيين ، وبتأثير منها انطلقت في الماضي جيوش الصليبيين نحو الشرق العربي الإسلامي الذي شهد صدامات وصراعات غاب عنها أن الأرض التي تسعى لإستعمارها ، هي أرض تجذّر فيها الإسلام بما في هذه الكلمة من تناقض حادٍ على كل المستويات التاريخية أو العقائدية للمسيحية التي لم يُعرَف لها أي مظهر من مظاهر الوجود أو التقبّل بين سكانها ، ويعزّز هذا الرأي أن إيطاليا أنشأت في ليبيا عام 1876 **(8)** مدارس إيطالية لنشر الثقافة الإيطالية، وربط البلد ثقافيًا بها ، وفي عام 1888 أوفدت المستشرق (كريسبي) لموافاتها بتقارير عن سير العمل في المدارس وتأثيرها في ليبيا ، وقد قدم كريسبي تقريره الذي جاء فيه:- ((...إن العرب يعتزون بالثقافة العربية ، والعقيدة الإسلامية متمكنة فيهم ... وأن هذه المنطقة لايمكن ربطها بإيطاليا إلا بالغزو العسكري...))[1].

والمتتبّع لمسار حركة الجهاد يلاحظ أن العامل الديني الذي كان يعني الشعور الجماعي بأن الدين في خطر ، وأن النصارى قادمون لتغيير المعتقد الذي كان بالنسبة لهم الهويّة ، فخصوصية البعد الديني لدى الليبيين لم تدركها إيطاليا أو تقدّر مداها مبكرًا ، فالدين لدى الليبي مرتبط بالوجود ، ومن ثم استلاب الأرض التي كانت بالنسبة لهم الشرف والعرض ، ولذلك كان له الدور الأساسي في شحن وحشد القدرات القتالية ، دون اعتبار لمسألة فارق القوة أو الإمكانيات ، فأندفعت جموع الليبيين ، الذين تنادوا من كافة المناطق والقبائل خارج حدود المدينة وكانت هذه الجموع تسارع في تشكيلات قبلية باتجاه الساحل والمدينة ، التي كانت تخوض معاركها الأخيرة مكبّلة بتنظيم قتالي نمطي ، وسلطة تركية تبحث عن مخرج يحفظ لها ماء الوجه .

وقد لمس الصحفي ((جورج ريمون)) أهمية العقيدة الدينية وتأثيرها على شدة مقاومة المجاهدين الليبيين ، وذلك خلال رحلته التي قام بها أوائل عام 1912

1 – ميلاد أبوسلامة المقرحي، **الجالية الإيطالية في ليبيا:** دراسة تاريخية اقتصادية، مجلة قورينا، العددين 4-5، السنة السادسة، مارس 1972، ص 24.

من منفذ (ذهيبة) على الحدود مع تونس حتى منفذ (السلوم) مع مصر فقال :-
((وبالرغم من أنني لم أتمكن من القيام بكل ما طلب مني ، إلا أنني وفقت مع ذلك في أن أرقب الناس والأشياء عن كثب ، خلال ظروف تتكشف فيها الحقائق كاملة وأتيح لي ، فيما أعتقد ، أن أسمع دقات قلب العالم الإسلامي أكثر من أي مراقب غربي آخر ، وقد علمتني تجربتي هذه أنه مهما تكن عظمة القوى التي تتهدد هذا الشعب الليبي ، فإنه من المستحيل عليها أن تقهره ما لم يستسلم لها في النهاية بنفسه وأدركت كذلك أنه واجد الآن في دينه الإسلامي أعظم قوة يستند إليها في مقاومته للإحتلال الأجنبي ؛ ومن ثم فإن على أعدائه أن يتوقعوا منه مقاومة تقاس قوتها ومداها بمدى عمق إيمانه بعقيدته))[1].

ولذلك فإن الوحدة الأساسية القتالية التي تحرّكت كانت القبيلة بواقعها الإجتماعي وبعدها الديني المتشدّد ، الذي يرى أن غزو النصارى يستهدف تغيير الدين والملّة ، وليست الكتيبة أوالسريّة بنمطها التقليدي ، ولذلك خاضت كل القبائل معاركها في عام الغزو الأول متّحدة بشكل تامٍ تحت عامل الدين أولاً ، والوطن ثانيًا ، متشبثة ومستندة على إحساس بالانتماء إلى عمق إسلامي هناك في الآستانة ومتناسية في ذات الوقت خصوماتها ، واختلافاتها ، وعداواتها التقليدية ، التي تكوّنت بفعل طبيعة الحياة .

في كل معارك الجهاد ، وطوال فترة المقاومة لأكثر من عقدين من الزمن لم تتردّد القبائل سواء بشكل جماعي ، أو ضمن مجموعات متفرّقة في منازلة الخصم ، وإن كان الصراع على بعد مئات الكيلومترات من موطنها ، لأن الأرض لم تشكل عنصر ارتباط مكاني ثابت للمجاهدين، ينهي مقاومتهم بمجرد سقوطه في يد الأعداء ، ولذلك لم تستطع الجيوش الإيطالية القضاء على المقاومة في إقليم طرابلس ، إلا بملاحقتها حتى في مجاهل الصحراء ، واستخدام كل الوسائل القمعية من معتقلات وتهجير مثل : – معتقل تاردية بالرجبان ، ومعتقل الجوش ، ونفي وإغلاق منافذ الحدود لقطع التموين والإمداد بالسلاح ، ولذلك يلاحظ أن كل المصادر التي تناولت معارك الجهاد ، أشارت إلى أنها تضمّ العديد من القبائل سواء من المناطق المجاورة مباشرة ، أو تلك التي تقطن مئات الكيلومرات بعيدًا عن موقع المعركة ، فمثلا في معارك الشط ، والهاني ، وعين زاره ، وسيدي المصري

---

1 – جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا**، ترجمة وتحقيق محمد عبدالكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1972 ، ص 23.

على الساحل كانت جبهة المجاهدين تضمّ كل قبائل الساحل والجبل التي تنادت لتلبية نداء الجهاد ، ولم تنفرد قبيلة وحدها بالتصدي للطليان في أي معركة إطلاقا ، وإنما كانت المواجهة دائمًا جماعية سواء من خلال تجمع عدة قبائل ، أو وجود العديد من المجاهدين من قبائل أخرى متعددة ، في تنظيم قتالي عرفتـه معـارك المجاهـدين ومن الأمثلة التي تبدو واضحة على ذلك وتؤيدها كافة المصادر ، ويقـاس عليهـا وضع كل القبائل ، أن قبيلتي الرجبان والزنتان اللتين ذكرهما الإيطاليون في أغلب مصادرهم أعداء لهم طوال الفترة من 1911– 1930 شاركتا في معظم المعـارك التي وقعت في ولاية طرابلس سواء في الساحل ، أو الجبل ، أو القبلة ، وصحارى فزان ، إلا أنه لا توجد معارك تذكر وقعت في مناطق استقرار السكان في القبيلتين في الجبل سوى معركة الكردون بالزنتان عام 1914 نظرًا لوجود حامية إيطالية بها ففي معركة الهاني استشهد من قبيلة الرجبان **(40)** مجاهدًا[1]، وفي معركة العجيلات كان عدد المجاهدين من الرجبان **(54)** ، وحول هذه المعركة نشير إلى أن الأخطاء المطبعية لبعض الكتب التي لا تتم مراجعة مادتها ، والتدقيق في مصادرها جيدًا قبل نشرها ، تؤدي إلى طمس أو تشويه بعض الحقائق ، وتنـزع مـن الـبعض دوره لتمنحه للآخر، ففي كتاب صفحات خالدة من الجهاد الليبي: الجزء الثاني[2] ورد أن الشيخ سليمان الباروني وضع أسماء المجاهدين لمكافأتهم على عظم تضحيتهم فـي هذه المعركة التي يقول عنها أنها من أعظم المعارك ، وفيهـا يتبـيّن أن السـواد الأعظم من المجاهدين كان من قبائل الجبل في حـين أن عـدد المجاهـدين مـن العجيلات، وهم أصحاب المكان الذي جرت فيه المعركة لا يتجاوز **(20)** مجاهـدًا ولكن الخطأ الذي وقع وينبغي تصحيحه والتنويه عليه هـو أن المجاهـدين الـذين ينتمون إلى قبيلة الرجبان تم نسبتهم إلى قبيلة الرحيبات لأن كل الأسـماء الـواردة للمجاهدين **(54)** هي أسماء لعائلات من قبيلة الرجبان معروفة إلى يومنا هـذا ولا توجد هذه العائلات في الرحيبات، رغم أن المؤلفة أشارت إلى إمكانية وجود بعض الأخطاء لعدم وضوح الحروف، ومع ذلك كان ينبغي التدقيق حتى لا تضيع حقـوق وأدوار المجاهدين وتضحياتهم .

---

1 – انجيلو ديل بوكا ، **على مقربة من المشنقة** ، دار ميلالي ، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص 31.

2 – زعيمة الباروني، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** : الجزء الثاني ، بيروت ، الطبعة الأولى 1968، ص 229.

وعندما قامت الثورة المباركة ، وأعادت إحياء ملاحم الأجداد ، ومعاركهم وجهادهم ضد الغزاة ، كان من بين الإجـراءات والإنجـازات ، إقامـة النصـب التذكارية في مواقع المعارك تخليدًا لها وإبرازًا لدور المجاهدين ، وهنا كان علـى القائمين بتنفيذ هذا العمل التوثيقي الخالد أن يضعوا في لوحة الشرف التـي تشـير للمعركة أسماء المجاهدين ، وقبائلهم ، أو أسماء القبائل فقط إذا لم يتيسّر الحصـول على كل الأسماء ، حتى يكتمل العمل ويوثق الحدث كجهـد جمـاعي ، لأن هـذه النصب التذكارية ، تحولت مع مرور الأيام ، وتنامي النزعة القبليـة التـي تتّسـم بالعصبية في الحوار بين أبناء هذا الوطن ، إلى ملك للقبيلة تدّعيـه لنفسـها ، وأن التضحيات التي وقعت كانت من القبيلة دون غيرها ، وفي ذات الوقت لا يسـتطيع أحد آخر أن يتباهى أو يشير إلى أن قبيلته ، أو أهله ، كانوا ضمن المجاهدين الذين صنعوا تلك الملحمة دون أن يجد صوتًا يرتفع ولو همسًا بالاعتراض ... !!! أليس هذا من الأسباب التي تجعل من الكتابة في تـاريخ تلـك المرحلـة أمـرًا تكتنفـه الصعوبات .؟ .

وقد أدت كل هذه العوامل إلى بروز اتجاهات ركّزت بشكل مباشـر علـى تناول مرحلة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي بنظرة ضيّقة تنحصر في رؤيـة قبلية ، وهذا الاتجاه يحاول أن يعيد صياغة أحداث تلك المرحلـة بروايـة جديـدة وضمّ هذا الاتجاه عددًا من الكتّاب ، فمنهم من يحاول أن يعيـد تفسـير الأحـداث اعتمادًا على تحليل لا يراعي الظروف المحيطة بالحدث آنذاك ، ومنهم من اعتمـد الشعر ولغة الإطناب والمبالغة ، ليعيد صياغة الأحداث بعقلية شاعر، واستند هـذا الاتجاه على العصبيّة القبليّة ، وإثارة النعرات .

وإذا كان من حقّ كل الأفراد أن يكتبوا عن دور قبائلهم ، أو أهـاليهم ، أو أبناء جلدتهم ، وإسهاماتهم المختلفة في صناعة الأحداث التي مرّ بها المجتمع الليبي في مختلف المجالات ، سوأ كانت أدوارًا علمية ، أو ثقافية ، أو جهادية إلى غيـر ذلك ، فإن هذا الحقّ يصبح مقيّدا حين يتعدّى لإظهار هذه الأدوار، حدّ التهجّم على الآخرين دون وجه حقّ ، لا لشيء سوى الرغبة في مهاجمة الآخرين ، وتحريـف الحقائق ، والطعن في المواقف بما يتعدّى حدود الأدب حتى في المخاصـمة دون الأخذ في الاعتبار **أن** كل الرجال والقادة الذين كان لهم دور في حركة الجهاد الليبي أيّا كان حجم هذا الدور، هم أبناء عصرهم بكل ما تحمله هذه الكلمة مـن معـاني إيجابية وسلبية ، فهم بشر لهم أحاسيسهم ، ومشاعرهم ، وآمـالهم ، وطموحـاتهم

ورغباتهم الشخصية ، وهم غير معصومين من الخطأ ، ومن غير اللائق أن نجعل تصرّفاتهم في غمرة من الانفعال العاطفي فوق مستوى البشر، فنُسْبغ عليهم آيات الثناء والتمجيد والكمال ، ومن غير الأخلاقي أن نجرّمهم أو نشتمهم ، ونطلق عليهم الأحكام والإساءات بمنظور واقع اليوم .

ويلخّص مرامي وأهداف هذا الاتجاه أحمد كريّم بالقول:– ((ولكن الذي يحزّ في نفس القارئ في بعض هذه الكتب، أن هناك عديدًا من المحاولات لتحويل بعض المسارات التاريخية من الوطنية الليبية العامة إلى القبليّة وبثقافة قبليّة وتعصّب ضيّق، ما أفقد هذه المجهودات سمتها الوطنية الشاملة وانحسارها في الإطار القبلي الضيّق ... فكل كاتب يحاول الميل بطريقة أو بأخرى إلى قبيلته محاولاً وضعها في الطليعة، وبالتالي ضاعت القبائل الأخرى في هذا الخضم، لأن هذه القبائل لم ترزق بكاتب أو مؤرخ يكتب ويؤرخ لها، حتى وإن كانت هذه القبيلة قد ضحت بالنفس والنفيس ومع ذلك أصبحت نسيًا منسيًا. إضافة إلى ذلك حاول البعض اختزال قيادات كان لها دور بارز في تاريخ ليبيا بل ذهب البعض إلى محاولات هدفت إلى اختلاق أحداث لا وجود لها بقصد الإضرار بالآخرين..))[1].

ويضيف مؤكدًا :–((أن التاريخ قد آل إلى تأليف قصص ، ولم يعد كما يجب أن يكون تاريخ أسباب ووقائع وأحداث ونتائج ووثائق...))[2].

ثانياً:– الأوضاع في ولاية طرابلس الغرب أواخر العهد العثماني الثاني

*– **أثار** احتلال فرنسا السريع لتونس عام 1881م المخاوف لدى الأتراك من أن تقوم فرنسا بالتوسع شرقـًا لاحتلال ولاية طرابلس، أو أجزاء منها ، خاصة وأنه تواجد في تونس تلك الفترة حوالي **(50)** ألف جندي مزوّد بمدافع وعربات نقل إضافة إلى وجود فيلق فرنسي بقيادة الجنرال ((فورتسمون)) في الجزائر ، وهذه في مجموعها تشكّل قوة لا يستهان بها في حال القيام بأعمال حربية تهدّد سلامة أراضي الولاية ، ولذلك عقد اجتماع بين ضباط الجيش التركي بالولاية يوم 1881/10/21م لدراسة الوضع العسكري واحتمالات التحرّكات الفرنسية ، وسبل مواجهتها ، وقد أعدّ المجتمعون عددًا من التوصيات والمطالب ، تركزت في معالجة مظاهر الضعف التي تعاني منها وحدات الجيش التركي الموجودة في

---

1 – أحمد كريّم علي، **المجاهدون المنسيون** ، دار الكلمة ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص24 .

2 – المصدر السابق ، ص 26.

الولاية، وطالبوا في توصياتهم للباب العالي، ضرورة توفير الأغذية للجنود والأعلاف للحيوانات، سواء في مقرّ الولاية، أو في الوحدات المنتشرة في مختلف الأماكن ، ونقاط المراقبة ، وتوفير وسائل النقل، ومواد التموين ، والالتزام بتسديد مستحقات المتعهّدين، الذين يقومون بتوفيرالتموين للجيش في مواعيد منتظمة إضافة إلى بناء الاستحكامات العسكرية حول المدينة ، والمواقع المهمة ، وإنشاء مخازن الأسلحة والعتاد، وزيادة عدد أفراد الجيش الذي لم يتجاوز عدده ما بين (7–8) آلاف جندي، وهي قوة لا تتمكّن من الدفاع عن مساحة شاسعة في مثل مساحة ولاية طرابلس، إضافة إلى رفع قدرات الجيش القتالية بالتدريب المستمر.

ولزيادة عدد الجنود ، والاستعداد والجهوزية للتصدي لأي مخاطر خارجية أصدر الوالي أحمد راسم باشا توجيهاته لفتح مجال التدريب العسكري أمام الأهالي في المدن والقبائل في دواخل الولاية عام 1885م جاء فيها:– ((لا يخفى على الجملة أن أمر الجهاد الجليل الذي هو من جملة الفرائض المكلف بها كل مسلم عاقل وأهم مهمات شعاير الإسلام متوقف على كسب الملكة والمهارة في استعمال الأسلحة إذ على فرض وقوع تسلط والعياذ بالله تعالى من طرف الأجانب على هذه الولاية فلاشك أن المقاومة مع العساكر السلطانية الموسومين بالنصر لأجل المحافظة على المملكة فرض على جملة أهل الإسلام ... لأجل أن يصير تعليم استعمال تلك الأسلحة من العساكر الشاهانية إلى الأهالي ...))[1].

وقد سارع الليبيون إلى الاستجابة لدعوات التدريب العسكري، وأبدوا استعدادهم ورغبتهم في التدريب ، حيث تشير الوثائق إلى أن مراكز التدريب فتحت في كل من : مصراته – سرت – زليتن – الخمس – مسلاته – ترهونة – غريان – زوارة – الرجبان – الزاوية – العجيلات ، وتشير إحدى الوثائق المؤرخة في 1899 إلى أن أهالي زواره تبرّعوا بالأموال لبناء ثكنة عسكرية.

كما أن أهالي غريان انخرطوا في عملية التدريب حتى بلغ عدد المتدرّبين **(500)** متدرب ، وكذلك مصراته وترهونة والخمس والعجيلات ، وقد أرسل أهالي قبيلة الرجبان برقية للوالي بتاريخ 1899/10/23م أكدوا فيها سرورهم وفرحتهم باستجابة الوالي لطلبهم للتجنيد ، والتدريب على السلاح ، خاصة أنهم سبق لهم التقدم مطالبين بالتدريب ، وتبرز البرقية المدى العالي بالشعور والوعي بالمخاطر

---

1 – د. أحمد صدقي الدجاني، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث**، جمع وترجمة الحاج عبدالسلام أدهم ، منشورات جامعة بنغازي ، دار صياد ، بيروت ، 1974 ، ص 35.

التي تهدد الوطن والدين ، وتعبّر عن المشاعر الوطنية الحقة التي يشعر بها كل الليبيّين ، وتقول البرقية :- ((... **تعالى في أبرك الساعات وأشرف الأوقات تشرفنا بأمركم العالي التلغرافي المؤرخ 313/8 الذي ..... مراحم دولتكم وبه تبليغ ..... بواسطة قائمقام فساطو جوابا لما عرضوه هؤلاء العبيد لأعتابكم العالية الحمد لله على حصول رضاكم وماهي إلا نعمة ومنة عظيمة . إن مصلحتها عايدة أيضا لنا وعلينا لاقامتنا بواجبات الاسلام ومحافظة للأهل والأوطان فإننا والله ممنونين وبرضاكم الذي هو رضا خليفتنا الأعظم حقا وصدقا متشكرين كيف لا وهي درجنا في سلك العسكرية الشريف ..... لمحافظة أرضنا وثغرنا وحرمنا وأموالنا وعليهم تنالوا الرضا الأسنى فإننا داعيين للواسطة بيننا وهو قائمقام .... ثم لمقام دولتكم ...... شوكتكم العلية الذي أنتم الواسطة الكبرى لمتبوعنا الأعظم والخاقان المعظم حامي يقظة الاسلام نصره الله سلطاننا على الدوام الغازي عبدالحميد الثاني نصره الله وأيده خليفة رسولنا سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بأننا لرضائنا وممنونيتنا بادرنا بالعرض عبيدكم أهالي الرجبان والأمر والفرمان لحضرتكم من له الفضل والإحسان . 317/10/2))**[1].

واستكمالاً للاستعدادات ، أصدر السلطان عبدالحميد في عام 1902 فرمانًا بتطبيق التجنيد العسكري الإلزامي لمدة عامين ، وقد أثار هذا القرار احتجاجًا ورفضًا من بعض الفئات ، كالكورغولية الذين رأوا فيه مساسًا بامتيازات وأوضاع كانت لهم كاعفائهم من التجنيد والضرائب ، ولكن في مقابل هذه الاستجابة لمسألة التجنيد والتدريب على السلاح من معظم القبائل الليبية ، كانت هناك قبائل أخرى ترفض مسألة التجنيد والتدريب ، تحت حجّة أنها قبائل بدو رحل غير مرتبطة بالأرض ((لا دار ولا جدار)) ومن بين تلك القبائل : قبيلة الصيعان ، التي يورد عنها فارس العلاوي حوارا نقله بلقاسم كله عن والده علي كله ، حول موضوع التجنيد ، ونورده ((بتحفظ))[*] حيث يقول :- ((أما موقف قبيلة الصيعان من قانون التجنيد الإجباري فقد رواه أبوالقاسم علي ضو كله نقلا عن والده الشيخ علي

---

1 – الهاشمي محمد بالخير، **الحس الشعبي بأهمية وضرورة الاستعداد العسكري قبل الغزو الإيطالي** ، مجلة الشهيد العددالرابع ، 1983 ، ص51 " نقل بتصرف "

* – التحفظ هنا أولاً على صحة الكلام المنسوب وحقيقة ما حدث ، إذ لانعتقد أن يتأخر أهالي الصيعان في الاستعداد للدفاع عن وطنهم والتدريب والتجنيد مثل بقية القبائل الليبية ، ولكن طالما أن المؤلف نشر هذه الحكاية في كتاب وبموافقة من الصيعان فقد أوردناها على أنها تمثل موقفا منهم ، ويمكن للقارئ أن يستنتج منها العديد من التحليلات والمواقف. وثانيا كيف فات القشاط أن يشير إلى هذه الرواية المنسوبة إلى أحد بطلي كتابه والتي تمثل موقفا معينا وتعني وجود أوراق أخرى للشيخ على كله ربما لم يطلع عليها القشاط ، أو أنه تركها لكتاب آخر !!

كله فقال " قال والدي إن مدير الجوش آنذاك محمد بيـري المحمـودي اسـتدعى مشائخ الصيعان الأربعة وأبلغهم أن الباشا استدعانا جميعا أنـا وأنـتم ، وعنـدما استفسروا عن سبب الاستدعاء أخبرهم بأن الدعوة من أجل تنفيذ توصية التـدريب العسكري وقد حرضهم المدير بأن لا يتعهدوا بشيء حيال هذه الخدمـة العسـكرية وقال لهم أنتم أناس تسكنون على الحدود وأن أهاليكم بدو لا جدار يحول بينهم وبين الفرار إلى تونس " ويتابع الشيخ علي كله حديثه قائلا :" اجتمعنـا 60 نفـرا بـين مشائخ ومديرين خطب فينا الباشا ...وقال مفتتحا بالقرآن : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...﴾، **ثم** أن الله سبحانه وتعـالى أوصى بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة الوالـدين ، وقـرن طاعة الأمير الصالح المؤمن بطاعة الله ورسوله إخـواني أولادي : جاءنـا أمـر أميركم – يقصد السلطان العثماني – يأمركم أن ينخرط أولادكم في الجندية ويـتم ذلك بتدريبهم تدريبا عسكريا لأن العدو ماثل أمامنا والاستعمار الأجنبي متغلغل في هذا العالم وسيتم احتلالهم لبلادنا ((الدولة العثمانية)) والشعوب العربية والإسـلامية جميعا ....وعليه أميركم يطالبكم بأن تمتثلوا بطاعة الأوامر الصادرة بشأن الخدمـة العسكرية حتى إذا جد أي طارئ يمكنكم الدفاع عن بلادكم – فماذا كـان جوابنـا نحن وخاصة الصيعان قلنا :-.. لا يمكننا التعهد بشيء حيال هذا الأمر لأن قبائلنا قبائل بدو رحل تسكن الصحراء ولا يمكننا التعهد بجمعها ((لا دار ولا جدار)) كما أن هؤلاء يعتبرون الخدمة العسكرية عبودية وعليه فإن جواسيس الأهالي معنا إن تعهدنا بشيء لن نجد أحدا في المنطقة عند عودتنا سيرحلون عن ليبيا إلى غيرهـا مثل تونس والجزائر .... يقول الشيخ علي كله:- ((لبث الباشا يحاول إقناعنا بالتي هي أحسن...وقبل أن يحين وقت الندم هداكم الله لامتثال أوامر أميركم ، وإلا فإن أميركم يبرأ إلى الله مما يلحق بكم إن لم تمتثلوا لهذا الأمر)) . فما هـو جـواب الصيعان على طلب الباشا الوالي ، يقول الشيخ علي كله ((...لم نستجب وانسـحبنا فتخلى الباشا عن الدعوة إلى التجنيد))[1].

ويبدو من هذا الحوار أن الوالي لم يدخر جهدًا ، وبكل الوسائل في محاولة إقناع الصيعان بالتدرب على السلاح ، إستعدادًا لمواجهة أية مخاطر قد تتعرّض لها الولاية ، باعتبارهم من أهلها ، ولكنه فشل فشلاً ذريعًا أمام رفضهم القـاطع رغـم

1 – فارس أحمد العلاوي ، **تاريخ مدينة تيجي وقبائل الصيعان وبلدانهم** ، مكتبة أوغاريت ، دمشق ، الطبعة الأولى 2000 ، ص 113 .

ما قدّمه من مبرّرات ودواعي تستوجب منهم الاسراع في الانخراط فـي التـدريب على السلاح ، والحقيقة فإن هذا الموقف إن صحّ وقوعه فإنه يفسّر بشكل واضـح موقف الصيعان كما ورد في الوثيقة رقم **(10)** في كتاب القشـاط ((مـن قيـادات الجهاد الليبي...)) ويؤكد في ذات الوقت سلامة تحليل مضمون تلك الوثيقة اعتمادًا على مفرداتها والموقف من كل تلك الأحداث ، والعلاقة بين الانسان وأرضه التـي انحصرت في معنى عبارة ((لا دار ولا جدار)).

*- **ودفع** احتلال فرنسا لتونس إيطاليا إلى الإسراع في ضمان الاستحواذ على ليبيا ووقعت في هذا الشأن عدد من الاتفاقيات مع الدول الأوروبيـة لضـمان تأييـدها لاحتلال ليبيا ، أو على الأقل حيادها ، فأبرمت مع فرنسا اتفاقية ضمنت بها حيـاد وموافقة الحكومة الفرنسية ضمنيًا على احتلال إيطاليا لليبيا[1].

كما استطاعت كسب تأييد بريطانيا ، ذلك انعكس في برقية لرئيس الوزراء البريطاني غراي الذي قال :-((....إذا تغيّر الوضع القائم في حـوض المتوسـط فسيصبح احتلال إيطاليا طرابلس ضرورة ملحة حتى لا يصبح البحـر المتوسـط بحيرة فرنسية ..))[2]، وتم عقد اتفاقية سرية بين البلـدين فـي 12 مـن فبرايـر سنة1883 تم تجديدها عام 1902 بعد أن وافقت بريطانيا على تأييد إيطاليـا فـي احتلال ليبيا وتحصّلت إيطاليا كذلك على تعهّد من ألمانيا خلال الفتـرة مـا بـين 1903-1905 بعدم التدخل العسكري في حال قيام إيطاليا باحتلال ليبيا ، وكـذلك على اعتراف من النمسا بالموافقة على احتلال طرابلس شرط ألا تمتد الحرب إلـى منطقة البلقان[3].

ولتهيئة الأوضاع لغزو ليبيا بدأت إيطاليا عن طريق الجمعيات العلمية في إرسال الرحالة الذين كانوا يجوبون البلاد ويعدّون التقارير والدراسات حول كافـة الأوضاع السياسية ، والقبلية ، والاقتصادية ، والدينية ، كما بـدأت فـي إرسـال التجار، وتشجيع الإيطاليين للاستقرار في أهمّ المدن الليبية ، بغرض تكوين جاليـة ذات وزن عند بدء الغزو وصل عددها في أوائل عام 1911 إلى **(800)** إيطـالي وفتحت عدد من المؤسسات مثل المدارس والقنصليات ، وتم إنشاء فرع لمصـرف

---

1 – د. محمد عبدالكريم الوافي، **الطريق إلى لوزان** ، دار الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1977 ،ص 38

2 – د. عبد المولى صالح الحرير، **التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه** ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي الجزء الثاني ، مركز دراسات جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1984 ، ص 27 .

3 – المصدر السابق ، ص 27.

روما الذي لعب دورًا هامًا في الإعداد لمرحلة الغزو العسكري ، حتى أنه في عـــام 1911 قدّرت قيمة استثماراته في ليبيا بحوالي خمسة ملايين دولار أمريكي[1].

وبحلول عام 1911 كانت كل الظروف على المستوى الداخلي في إيطاليـــا تشجع على احتلال ليبيا ، فكانت الصحف ووسائل الإعلام تلعب دورها في تحريك الشارع الإيطالي ، الذي أصبح يؤيد القيام بعمل عسكري خارجي لتخفيـــف حـــدة الاحتقان الاجتماعي والاقتصادي في بلد وصل عدد سكانه إلى **(50)** مليون نســـمة ويعاني من ضائقة اقتصادية ، أدت إلى هجرة الكثير من أبنائه للخارج .

أما على المستوى الدولي، فالدولة العثمانية بدأت في مرحلة الإحتضار وتواجه تحديّات في أكثر من مكان وبقعة من أراضيها المترامية، التي بـــدأت قـــوى أوروبـــا بالتوافق فيما بينها في التهامها قطعة قطعة، وتشجيع النزعات الانفصالية عنها.

*- **وعلى** عكس المجتمعات في مصر وتونس الجارتين اللتين اتّسم فيهما النمـــوذج الاجتماعي بنوع كبير من الاستقرار للمجتمع المدني ، وتزايد سلطة الدولة الممثلـــة في المدينة ، لتشمل نظمها وضوابطها كافة الإقليم ، وتستقر أنماط الحيـــاة المدنيـــة فيها بقوة من خلال انتشار الوعي لدى الفرد ، ونموّ المؤسّسات المختلفة ، وظهور الثقافة ، وانتشار التعليم ، وما شهدته الحياة السياسية فيها مـــن تكـــوين جمعيـــات وأحزاب سياسية ، بما عكس اتجاه هذه المجتمعات إلى الأخذ بالنموذج الأوروبـــي الحديث . فإن ليبيا بإقليميْها طرابلس وبرقة ظلت تتأرجح ما بـــين الـــنمط المـــدني والنمط القبلي السائد بكل مكوناته ، وسلوكياته التي لم تتفق في الكثيـــر مـــع نمـــط المجتمع المدني المستقر في بعض المدن خاصة في طرابلس ، التي كانـــت تمثـــل حاضرة البلاد ومقرّ السلطة فيها ، وتمثل بداية نواة صغيرة لتشكيل هذا المجتمـــع المستقرّ وسط مجتمع يرتكز بقوة على روح القبيلة والبداوة ، والتي قاومت ســـلطة المدينة حتى جعلتها لا تتجاوز أسوار المدينة .

من الخطإ القول أن العلاقة بين القبائل قبل الغزو الإيطالي كانـــت تســـودها حالة التعاون، والسلم، والوفاق، أو أنه لا توجد عداوات أو خصومات بينها فطبيعـــة المجتمع الليبي الغارق في البداوة، في بيئة شحيحة الموارد، فرضت على قبائله نمـــط الحياة الذي يقوم على الصراع، من أجل الماء والكلأ، ومن أجـــل الاســـتئثار بـــأكبر نصيب من الأرض، كما حدث في الحروب التي وقعت على الحدود أو تلـــك التـــي

1 – محمد عبدالكريم الوافي، مصدر سابق ، ص 47.

وقعت بين قبائل الجبل في أماكن متعددة ، لذلك برزت التحالفات الصفيّة التي استندت على توافق في المصالح والمنافع ، ((صف يوسف وصف شداد)) ولم تقمْ على أسس عرقية ، أو جهوية ، كما أن انتشار السنوسية في بعض القبائل أدى إلى موقف رافض لها من قبائل أخرى ، ترى في اتباع هذه الحركة هرطقة وضلالة عبّر عنها أحمد الجادوي في عدة مقالات كتبها ونشرها في جريدة مرشد الأمة التي تصدر في تونس أثناء زيارة له لمناطق الجبل عام 1908 حيث يقول:-((وللطريقة السنوسية قوة انتشار هنالك إن لم أقل في "كافة الولاية" وعلى الأخص بين الطبقات البدوية ولدعاتها مقدرة زائدة على التدجيل وإيهام التشبث بالأوهام ... وأن أمثال من ذكر في التدجيل كثيرون ، وأكبره في التضليل غير قليلين منهم الشيخ محمد السنوسي(*) نزيل مدينة مزدة في التاريخ فإنه أدخل تحت نفوذه وصيّر من أتباعه كلا من سكان واحات مزدة وقبائل الزنتان وعروش الرجبان وغيرهم والكل يجبون له ضعف ما تجبيه خزينة الحكومة منهم من أموال وقد استولى عليهم استيلاء البابا على العناصر الكاثوليكية، وهو استيلاء مميت منذر بوخامة العقبى دنيا وآخرى))[1].

ونشير هنا بعجالة إلى أن الحركة السنوسية التي استقرّت في شرق ليبيا استطاعت أن تؤثر في سلوك القبائل البدوية هناك ، الذي كان يتسم في الكثير منه بطغيان العرف القبلي، والبعد عن التعاليم الإسلامية ، وتمكّنت في فترة وجيزة من وضع تنظيم اجتماعي ، تحت مظلة دينية ، يضمّ كل قبائل برقة تحت سيطرتها وامتد تأثيرها إلى بعض القبائل في إقليم طرابلس ، فأنشأت الزوايا في مزدة وطبقة على يد الشيخ عبد الله السني والشيخ محمد الأزهري ، والرجبان والحرابة على يد الشيخ أبو القاسم العيساوي(**) عام

---

* – نعتقد أنه يقصد الشيخ محمد السني .

1 – محمد صالح الجابري، **يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية**، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1982، ص14.

** – **الشيخ أبوالقاسم العيساوي**:عالم وأديب، كان له نشاط واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتصل بمحمد علي الخطابي، وبفضل علاقاته مع السلطات العثمانية سافر إلى الآستانة وحصل من السلطان عبدالمجيد على فرمان يسمح بإنشاء بعض الزوايا في ليبيا، وساهم في ذلك بدور بارز. درس على يديه الكثير من أبناء الرجبان وغيرها من أبرزهم المجاهد الحاج محمد فكيني. وفي طرابلس درس على يديه الأديب المصلح محمد كامل بن مصطفى، وقد تولى نقابة الأشراف في منطقة الجبل الغربي خلال العهد العثماني الثاني، دفن عند وفاته عام 1308هـ بزاوية الرجبان ولا يزال ضريحه بها. انظر: محمد مسعود جبران (محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا) منشورات مركز الجهاد، ط2، 1996، ص 70، 71، 227؛ صادق مؤيد العظم (رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا)، ترجمة عبدالكريم أبوشويرب، منشورات مركز الجهاد، ط1، 1998، ص 111؛ محمد مسعود جبران (أحمد الفقيه حسن: الجد) منشورات مركز الجهاد "د .ت"، ص 202، لوثروب ستودارد (حاضر العالم الإسلامي) تعريب عجاج نويهض، تعليقات شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، مج1، ص140.

((1270هـ))[*] والذي يوافق عام 1853م تقريبًا وانضوت تحت هـذه الحركـة قبائل كثيرة منها : الرجبان ، والزنتان ، والحرابة وأولاد بوسـيف ، وورفلـة ، وأولاد سليمان ، والقذاذفة ، وهي القبائل التي ظلت ترفع لواء المقاومة حتى عـام 1930 . ((أنظر الخريطة المرفقة)).

---

*- زاوية الرجبان : إحدى أشهر الزوايا في غرب ليبيا ، أسسها الشيخ أبوالقاسم محمد العيساوي حوالي سنة 1270هـ ، وبعد مدة شرع في إنشاء زاوية طرابلس ، وفرغ منها حوالي سنة 1300هـ ، وبقيت مشيخة الزاويتين في أبنائه ، إضافة إلى مشيخة زوايا أخرى مثل زاوية بنغازي وزاوية الحنية .

وفي رواية للمرحوم المجاهد علي محمد فكيني نقلها عن الشيخ الأخضر محمد العيساوي حول تاريخ تأسيس زاوية الرجبان يقول :- ((نقلت عن الشيخ العالم الكامل السيد الأخضر محمد العيساوي بغرفته قرب الأزهر الشريف في شهر أبريل سنة 1958 ، والشيخ مدرس بالأزهر منذ خمسين عامًا قوله :- حسبما رويت عن والدي أن بناء الزاوية السنوسية ببلدة أولاد عطية بالرجبان ، أذن الإمام الأكبر سيدي محمد بن علي السنوسي تلميذه الشيخ بلقاسم العيساوي ببنائها وسط منطقة الجبل الغربي بوطن الرجبان الذي يعد قلب الجبل النابض مع القبائل المجاورة كالزنتان والصيعان وغيرهم ، ولما تم بناء الزاوية اجتمع رجال القبائل في حفل ابتهاج وتأييد للمبدأ السنوسي – (وهاجا) – شاعرهم بهذا الزجل الحماسي :

بنيناك في عام سبعين وابن السنوسي معانا
ولد فاطمة بنت لامين بكلام ربي هدانا
قوّال للحق والدين رداع لاهل الشطانا
جا منزلك بروس لجبال مع أهل الوفا والامانا
رجبان زنتان صيعان وصفوف جملة حدانا
شجعان ركّابت الخيل ما يعرفوش الخيانا
يوم الخطر عدّالت الميل أهل الكرم والفطانا))

وكان لزاوية الرجبان دور بارز في تعليم القرآن الكريم وحفظه ، وتدريس علوم الشريعة ، وتخرج منها عدد كبير من حفظة القرآن ، ومشايخ العلوم الشرعية . كما أسهمت بفاعلية في نشر الوعي الديني والثقافي والسياسي، وساهمت في حث الناس على التمسك بأهداب الدين والسلوك القويم ، وشجعت على دراسة القرآن ونشر العلم ، وأصبح لبعض الدارسين بها دور فعال في حركة الجهاد .

تولى التدريس بها العديد من المشايخ من مختلف مناطق ليبيا ، وكان لهم جميعا فضل كبير في تأهيل حفظة كتاب الله في أوائل الستينيات من القرن العشرين تم تجديدها ، ولم يبق من بنائها القديم سوى المسجد وضريح المؤسس . وعلى مدى العشر سنوات الأخيرة شهدت تطورا ملحوظاً، وتوسعة لمبناها، وتزايدا في أعداد الدارسين بها من المناطق المجاورة والبعيدة ، وفي المبنى الجديد قاعات وحجرات للدراسة ، ومكتبة عامرة ، وقسم داخلي مجهز للطلبة الوافدين الراغبين في حفظ القرآن الكريم . وفي عام 2002 افتتحت بها ثانوية للعلوم الشرعية وتم تخريج أولى دفعاتها في العام الدراسي 2004- 2005 .



القبائل البدوية السنوسية في منطقة طرابلس

---

*– الخريطة من كتاب: **المجتمع الليبي** ، د .عبدالجليل الطاهر ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1969 ، ص 287

كما ظهرت بوادر خلافات بين مناطق وقبائل الجبل ، ربما كـان لشـعور طرف باستئثار البعض الآخر بالإدارة ، أو مراكز السلطة الإدارية((المتصرفيات)) فسعت لدى الباب العالي لاستصدار قرار لنقل وتغيير المراكز الإدارية إلى منطقـة أخرى ، لإحداث ما تراه توازنًا في المصالح والمراكز ، الأمر الذي دفع بـالطرف الآخر إلى السعي لإفشال هذا المسعى ونجح في ذلك .

ونشير إلى أن السلطة العثمانية لم تهتمّ بشكل جدّي لحلّ الخصـومات ، أو الصراعات بين القبائل إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، وربّما كانت تشجّع مثل هذه الصراعات كي لا تعود تلك القبائل مرة ثانية للتوحّد ضدها ، كمـا حـدث أثنـاء ثورتي : الشيخ ((غومة المحمودي)) والشيخ ((عبدالجليل سيف النصر)) اللتـين صهرت القبائل في ثورة دامية ضد تعسّف الأتراك فترة من الزمن(*) .

*- **خلال** الأعوام التي سبقت الغزو الإيطالي تعرّضت البلاد إلى موجة من الجفاف الحادّ امتدت لحوالي أربع سنوات ، فأهلكت الزرع والضرع ، واضطرّالناس إلـى النزوح في موجة من الهجرة القسرية نحو تونس ، حيث قدّرت أعداد المهـاجرين بما يزيد عن **(200)** ألف نسمة ، وقد بلغ الجفاف ، وغضب الطبيعة من القسوة الحدّ الذي أصبح لا يطاق ، خاصة في مناطق لواء الجبل ، ففي النصوص التاليـة مـن البرقيات التي وجّهها وكيل متصرف الجبل ((المحاسب صبري)) إلـى الوالـي ما يشير إلى هذه القسوة ، والحال التي وصل إليها الأهالي قبيْل الغـزو الإيطـالي بشهور معدودة ، وهي بقدر ما تشير إلى الوضع المأساوي للناس ، فإنها تشير إلى أنّ قسوة الطبيعة لم تؤثر في عزم الأهالي ، وإرادتهم في مواجهة الغازي المـدجّج بكلّ أنواع السلاح .

ويقول المحاسب صبري :- ((إلى ولاية طرابلس الغرب .

يفهم من الأخبار التي تردنا من توابع اللواء عن حالة الأهالي بأنها مـؤثرة وتبكي من له حمية ، نسمع هذه الأيام بمن يموت من الجوع في كل الأنحاء وهـذا الحال غير خاف عن الأنظار إن بلدة مركز اللواء(**) بالرغم مـن كونهـا قريـة صغيرة تتألف من عشرين أو ثلاثين منزل فقد أصبحت في حالة لا يمكـن التنقـل

---

* لمزيد من الاطلاع على تركيبة المجتمع الليبي وعلاقات قبائله ، يمكن الرجوع إلى دراسة د/ محمد الطاهر الجراري المعنونة ((**الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار**)) – مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

** – يقصد يفرن.

داخل البلدة لكثرة المتسولين. إن تجمع ثلاثة أو خمسة منهم أمام أحد الأبواب وأنين التألم الذي يصدر عنهم وبالخاصة النساء المسلمات العرايا والمتسولات اللائي يحملن أطفالهن وهم في حالة النزع يشكلون منظرا جدا مؤلم ومؤثر .

بالأمس تعرض أحدهم لخطر الموت من جراء تنقيبه في المزبلة وأكله للفضلات لتسكين آلام جوعه وأخيرا وبكل صعوبة أمكن تخليص حياته واليوم فإن أحدهم في حالة النزع بسبب أكله لفضلات الكناسة . إننا لا نملك أية وسيلة للحيلولة دون هذه النكبة العمومية ومع ذلك فقد شكلنا جمعية من موظفي اللواء والأعيان لجمع الإعانات . إن هذه العملية التي لا تجدي النفع المرجو لها في هذا المحيط الذي يباع فيه كل شيء بأضعاف ثمنه وإن جمع الإعانة من الموظفين الذين لا يكفيهم راتبهم لا يسبب إلا في زيادة ضائقتهم لأنه بعد يوم واحد من توزيع المساعدة يزيد عدد السائلين وإذا ما ذاع في القرى المجاورة نبأ توزيع الإعانة يسبب إلى هجوم الجياع على بلدة المركز ويسبب في عدم جدوى المساعدة الواقعة.

أما الأعيان المحليين فإنهم بسبب فقدهم للأنعام التي ماتت من جراء الجفاف المستمر منذ عدة اعوام فقد أصبحوا ليس غير قادرين على الإسعاف وحسب ، بل غير قادرين على إعاشة أنفسهم وبما أنه ليس ممكنا تجاهل الحال الحاضرة التي يلاحظ أنها قد تؤدي للكثير من المساوي والمحاذير فإني استرحم جدا من مقامكم الكريم المتصف بالرحمة أن تتخذوا إجراء عاجلا لتخليص الفقراء والعجزة من الموت إلى أن يحين موسم الحصاد .

16 مارت سنة 1327 – 29 مارس 1911

المحاسب صبري

الوالي أحال البرقية عاجلا لمجلس الإدارة وهذا قرر بأن يخصص مبلغ لا يزيد عن خمسة آلاف قرش من صندوق بلدية لواء الجبل وتعيين شخصين من أعضاء مجلس الإدارة ومن البلدية لمشترى الخبز اللازم كل يوم وتوزيعه يدا بيد على الجياع . كما طلب من الجهات العليا تخصيص ثلاثين ألف قرش للتهوين على الأهالي ثم صدر الأمر للبلدية بأن تشتري 15 ألف كيلة شعير فتطحنها ثم توزع مرطة من الدقيق على الكبار ونصف مرطة على الصغار ولا أقل ما يكفي ثلاثة أيام من الخبز لإدارتهم في المدة القليلة المتبقية للحصاد))[1].

1 – د. أحمد صدقي الدجاني ، المصدر السابق ، ص 285.

كما أرسل وكيل متصرف الجبل هذه البرقية :-

((عاجل جداً: إلى متصرف الجبل في طرابلس

ج17 مارت سنة **1327** إن عدم الإحساس بالجوع لهذه الدرجة خلال الشتاء ناجم عن سببين الأول لوجود ولوالقليل من الحبوب بيد الأهالي لأجل البذار وكان لديهم التين والتمر . ثانيا كان لدى أفقرهم على الأقل عنزا أو اثنين .

إنهم زرعوا البذار في الأرض وأكلوا وتمموا تينهم وتمورهم وكلما مستهم الحاجة باعوا واحدة أو اثنين مما يملكون من الماعز وبمرور الأيام استهلكوا ما بأيديهم وفرغوا منه . الغيث لم ينزل في وقته وما هطل منه كان قليلا لم ينبت العشب فضعفت الأنعام ونفق أكثرها ولم يبق لهم أملا في الاستفادة من الأراضي لأن شجرة الزيتون التي كانت من قبل تساوي مائتان وثلاثمائة قرشا لايوجد لها مشتر حتى بمجيديين (أربعون قرشا) . إنهم يموتون بعادية الجوع الذي يقاسوه في قبائلهم ولذا فإنهم يرحلون إلى جهات أخرى حتى قيل أن الرجال يهيمون على وجوههم تاركين زوجاتهم وأطفالهم في الطرق . إن الاحتياج يشمل ثلثي الأهالي بما فيهم فساطو ونالوت في حالة الخروج للظاهر أو للغابة يرى بكل حزن وأسى النساء والأطفال جالسون يأكلون المزروعات التي اصفر لونها من العطش وحتى إن أفرج الله بالغيث فإن هذا الاحتياج الشديد يستمر حتى نضوج الزرع . بعد ذلك يستطيع الذين لهم مزروعات أن يهونوا احتياجاتهم ، أما الذين ليس لهم زرع فلا شك أنهم سوف يغرقون في هذه المهانة .

إذا فإن الإبقاء على أرواح الذين لايملكون شيئا وناصبين آمالهم على نضوج الزرع والذين لايملكون أي زرع كلاهما متوقف أمرهما على توزيع الطعام عليهم بطريق الإعانة من طرف الحكومة ، وفيما بعد إذا استكملت أسباب البدء فيإنشاء بعض الطرق بين مركز الولاية والأقضية يمكن استخدام الكثير من العمال والتقليل بذلك من عدد المحتاجين والتهوين من ضائقتهم معروض بإفادة مجلس إدارة اللواء .

17مارت سنة 1327

30 مارس سنة 1911

وكيل المتصرف المحاسب صبري))[1]

---

1 – المصدر السابق ، 287.

وقد أكدّ التقرير الذي قدّمه نوّاب طرابلس في (مجلس المبعوثان) هذه الأوضاع من الآلام والمعاناة التي عانى منها الليبيون ، ورغم ذلك لبّوا نداء الجهاد جميعهم :- ((منيت البلاد مدة أربع سنوات متتالية بقحط شديد ، وما زلنا من سنتين نخاطب رجال الوزارة ونكاتبهم من أجل تلافي أضراره . وكثيرا ما كان رجال وزارة حقي باشا يعترفون لنا بوجاهة مطالبنا ، ولكنهم مع ذلك أهملوا البلاد وتركوا أهلها يتخبطون في أزمة القحط وآلام الجوع .

ولما عدنا بعد انفضاض المجلس إلى طرابلس وجدنا مائتي ألف نسمة من أهلها قد هاجروا إلى تونس وغيرها فرارا من الجوع والقحط ، ورأينا أربعة آلاف شخص من الشيوخ والنساء والأطفال والمرضى قد لجأوا إلى مذلة السؤال ليسدوا رمقهم وينقذوا حياتهم من مخالب الموت . وكنا علمنا أن خمسمائة وأربعة عشر شخصا من هؤلاء ماتوا جوعا من شهر مارس إلى غاية شهر يوليه الماضي فقدمنا إلى الصدر الأعظم حقي باشا تلغرافا ورسائل بتاريخ 13 يوليه طلبنا فيها من الحكومة أن تصرف في هذا السبيل العشرة الآلاف جنيه التي وضعت في الميزانية اسم التخصصات غير المنظورة بموجب مادة قانونية خاصة ، وافق عليها المجلس في آخر اجتماعه الماضي ، ولكن الحكومة لم تعر هذا الطلب التفاتا .

وقد قررت الحكومة إرسال ألف كيلة إلى طرابلس وتوزيعها على الأهالي بطريق القرض لأجل البذر والأكل ، ووضعت لذلك مادة قانونية خاصة ، ولما عدنا من طرابلس إلى الآستانة ألححنا على الحكومة بطلب الإسراع في إرسال هذه الحبوب ومع الأسف نقول إن الحكومة تباطأت في الأمر إلى أن أعلنت الحرب ولم يرسل شيء من ذلك . وبهذا أصبح أبطال طرابلس المدافعون بأرواحهم عن حوزة الوطن بين عدوين : الإيطاليين المعتدين ، والجوع الذي لا يرحم ...))[1]*.

---

1 - الشيخ الطاهر الزاوي ، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب** ، دارف المحدودة ، لندن ، الطبعة الثالثة ، 1984 ص67.

*- لم يواجه هؤلاء الأبطال عدوين فقط : الغزاة والجوع ، بل زاد عدوا ثالثا هو العقوق من بعض الأحفاد الذين ودون اعتبار لكل الظروف التي صاحبت الغزو الإيطالي لليبيا ، سخروا أقلامهم لمهاجمة ذلك الجيل ، ونصبوا أنفسهم قضاة ، ووصموا قادته بالخيانة ، ومن بينهم محمد سعيد القشاط ، والذين ينبغي عليهم أن يتحلوا بالشجاعة فيقدموا اعتذارهم العلني لكل الليبيين عما بدر منهم من خطأ متعمد تجاه ذلك الجيل المقاوم .

*- لمزيد من الإطلاع على الأوضاع الاقتصادية والصحية في ولاية طرابلس ، يمكن الرجوع إلى كتاب: **الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب 1835-1911** للمؤلفة: أمال محمد مجذوب ، مركز دراسات جهاد الليبيين 2006

***-((نحمل معنا حضارة جديدة ، فإذا انصاعوا طواعية سيكونون قد أدوا خدمة جليلة للإنسانية))**[1].

بهذه العبارة التي تحمل في طيّاتها نذر الإبادة والفناء لليبيّين إذا لم يرحّبوا بهذه الجحافل الغازية ديارهم ويستقبلوهم بالورود ، وهي تحمل أحلام إيطاليا التوسعية أعطى الجنرال كانيفا توجيهاته إلى الجنود المتوجهين لغزو طرابلس الغرب لبدء الحرب التي توقع أن تكون نزهة مسلية لجنوده ، هذه الحضارة التي يتحدّث عنها كانيفا حشدت لها إيطاليا **(18)** ألف جندي ، وأسطول بحري ضخم مكوّن من (12) سفينة حربية ، ووصل عدد الجنود في شهر ديسمبر إلى **(100)** ألف جندي لنقل الحضارة الأوروبية بقوة السلاح ، وزرعها على الأرض الليبية مخضّبة بدماء مئات الألوف من الشهداء من أبناء ليبيا .

وبرغم سقوط واستسلام أكثر من مركز حضري في الساحل ((مجتمع المدينة)) في يد الإيطاليين ، بعد الانذار الإيطالي للحاميات التركية ، وبعد مقاومة عنيفة له ، وهذا في حقيقته يعكس أسلوب الحياة في المدينة بشكل عام في كل أنحاء المعمورة والتي في العادة تبدأ بالمقاومة المنظّمة المرتكزة على السلطة القائمة ، ثم تميل في حالة الشعوربقوّة الخصم، وعدم المقدرة على مواجهته، إلى اتباع قرارالسلطة القائمة بالتسليم ، ومن ثم التفاعل مع المحتّل على أرض الواقع الجديد إمّا بمقاومة سريّة ، أوالاندماج معه والتأثر والتأثير فيه ، ولعل هذا من أحد الأسباب المهمّة التي جعلت تقديرات الإيطاليين حول غزوهم لليبيا ، يقوم على هذا التخطيط من خلال دراسة طريقة الاحتلال الفرنسي لتونس ، أو الانجليزي لمصر وغير ذلك في أماكن أخرى ، واعتقادهم أنّ الغزو هو مجرّد نزهة بحرية ، ستلقى الترحيب من الأهالي ، وأنّ المقاومة ستكون فقط من الحامية التركية الضعيفة ودون الأخذ في الاعتبار مكوّنات المجتمع الأخرى ، التي لا تخضع بشكل مطلق أو مركزي للسلطة القائمة في المدينة ، لأن الشقّ الثاني من التركيبة الإجتماعية في ولاية طرابلس الغرب المقيم خارج أسوار المدينة ، والممثل في القبائل البدوية ((الرحل)) أو تلك التي تجمع في حياتها نمطيْ البداوة والحضر ((شبه الرحّل)) والتي بالرغم من كل العوامل والظروف القاسية من صراع وخصام ، وجوع

---

1 – أورخان قوادغلو ، **مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا** ، ترجمة وجدي كدك ، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ، ليبيا ، 1979 ، ص19

وجفاف فقد تناست كل خصوماتها ونزاعاتها ، وسارعت إلـــى التجمّـــع والتوحّــد لنصرة المدينة ، ومواجهة الغزاة ، ولم يتمكّن الغازي من استغلال هذه الخصومات والنزاعات ، إلا بعد أن برزت الرغبات والمطامع الشخصيّة مرّة ثانية ، في لحظة من لحظات التاريخ الحرجة التي تختلط فيها الرؤى والمصالح .

الفصل الثانـــــي

نقد كتاب

من قيادات الجهاد الليبي

الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي

((إذَا كَانتْ الأمّة لا تَزالُ علــى الفِطْــرَةِ ، أو فــي طــور بَدَاوتِهَا كثُر اهْتِمَامُ العَامّة مِنْ أهْلِهَا بروَايــة تَاريخِهــا فيَمِيــلُ تَاريخُهَا المَرْوِيّ – الذي يَنْبَعِثُ مِنْ حَاجَــاتِ العَامّــة ويُوَافِــقُ هَوَاهُمْ – إلى أنْ يكونَ قِصّة .

فإذا ارْتَقتْ الأمّة كَثُر اهْتِمَامُ المُثقفِينَ مِنْ أبنَائِهَا بالتّــاريخ فيصْبِحُ حِينَئذٍ تَاريخُهَا الْمَبْنِيُّ على الْبَحْثِ في حَيَاتِهَا هي وعلى مُقَارنَةِ أحْدَاثِهَا بأحْدَاثِ الأُمَمِ الْمُحِيطَةِ بهَا، أقْرَبُ إلى أنْ يكــونَ عِلْمًا))[1].

1 – عمر فروخ ، **العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط**، المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1966 ص7.

مراجعة ونقد الكتاب

في عام 2002 طبع محمد سعيد القشاط كتابًا بعنــوان ((**مــن قيــادات الجهاد الليبي الشيخ علي كلّه والشيخ المبروك الغدّي**)) ، وتم نشره عـــام 2004 وجاء هذا الكتاب تتمّة لكتبه الثلاثة السابقة التي أصدرها حول حركة الجهــاد فـــي طرابلس وهي :-

- خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام / الصادرعام 1978م .
- معارك الدفاع عن الجبل الغربي / الصادر عام 1983م .
- الصحراء تشتعل / الصادر عام 1998م.

وكسابقيه أثار الكتاب موجة عارمة من الانتقادات والآراء ، اتّســمت فـــي معظمها بالانتقاد لما احتواه الكتاب من نقد وتجريح ، ومغالطات واتهامات ، وأحكام طالت أدوار العديد من القبائل ، وقيادات الجهاد الليبي في تلك المرحلة الهامّة مـــن تاريخنا بل حاولت كذلك إحياء النعرات القبلية تحت إدعاء البحث عن الحقيقة لجــرّ المنطقة التي تتّصف بتركيبة قبليّة معقدّة فرضتها طبيعة المنطقة ، وتشابك المصالح والتحالفات التي قامت بين القبائل منذ عهود بعيدة ، إلى فتن وعداوات ، ولو كـــان على حساب القيم والأخلاق والتعايش السلمي السائد بين الناس الذين نسوا مشاحنات الماضي ومآسيه.

وقد خرج المؤلف عن إطار البحث العلمي ، والمنهجيّة فـــي تنـــاول تلـــك الأحداث إلى الجدل المبني على روايات منسوبة إلى أفراد عاديين غيـــر خاضـــعة للتمحيص والتدقيق في صحة الرواية ، وكذلك تفسيره المسْبق الذي يعتمـــد علـــى تطويع النص الوثائقي في الاتجاه الذي يخدم أغراضه الشخصــيّة ، دون مراعـــاة لضوابط التأليف والبحث العلمي ، متخذًا في ذلك شعار ((الغايـــة تبرّرالوســيلة)) إضافة إلى التعمّد في الاستناد على الأوراق المنسوبة إلى أحد المجاهدين والتي لـــم تتأكد صحتها بعد ، بحجّة أنها وثائق دامغة في إصدار الأحكام القطعية تجـــاه تلـــك الأحداث ، وفي هذا المقام ينبغي القول إن المؤلف لم يستثن حتى قبيلته من التجريح والدّم ، وإلصاق الصفات السيّئة التي تنكرها الأديان والأخلاق السمحة ، والعـــادات والقيم العربيّة الأصيلة واصفًا قبيلته بها ، وهو يظنّ أنه يمدحها ملصقًا بها صـــفات الغدر والخيانة، والنهب والسرقة، والجهالة بإتيـــان المنكـــرات والمحرّمـــات، دون

التفريق بين الحلال والحرام ، والجبن والخوف ، إضافة إلى أنه أكّد بالوثائق التـــي أرفقها بكتابه واعتمد عليها في حججه لمواجهة الآخرين ، أن قبيلته الصيعان ليست من القبائل الليبيّة . وهذا ليس بجديد عليه ، فقد هجا قومه ذات يــوم فـــي الـــزمن الماضي ، وأقسم ألاّ يعود إلى مسقط رأسه .

وهذه الصفات السيّئة إذ ننكرها ، فإننا نبّرئ منها قبيلة الصيعان ولا نوافقه عليها إطلاقًا تحت أية حجّة أو ذريعة ، حتى وإن كان ذلك بحسن نيّة ظنًا منه أنها صفات حميدة ، وسجايا عظيمة ، ولكن نجد أنفسنا ملزمين بــذكرها لأنـــه ألزمنـــا ضرورة الرّد عليه بالحجّة والدليل ، وفي هذا لن نتعدّى ما ذكره في كتابه ، ولـــن نأت بجديد إلا لتوضيح مسألة مدعّمة بالوثائق والأدلة .

ولا يملك المرء حين يقرأ كتاب [من قيادات الجهاد الليبي الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي] إلا أن يفاجأ بمدى جرأة محمد سعيد القشاط وهو يتنـــاول الأحداث التاريخيّة الهامّة في حياة الشعب العربي الليبي، ويضـــع نفســـه مؤرخًـــا وقاضيًا، ومحللاً سياسيًا وعسكريًا، ويتخذ مواقف ويصدر أحكامًا قطعية تبرئ هذا أو تجرّم ذاك. وهذه الجرأة لم تكن مؤسّسة على منطقيّة الطرح، أو الموضـــوعيّة، التزم فيها بمنهجيّة البحث العلمي السليم، ووازن فيها بين الآراء والمواقف المختلفة بحيث اتخذ الموقف، أو جاهر بالرأي الأقرب إلى الموضوعيّة ومنطقيّة الأحـــداث، ولكن الجرأة كانت في التعمّد المسْبَق في تحريف وتغيير النصوص، والوقائع وتقديم معلومات مغلوطة، وإصدار أحكام قاسية تنطلق من روايات وحكايات فرديـــة ، أو مبالغ فيها تتسّق في نمطها مع قصص [الحكواتي]، وهذه الجرأة الغريبة والتي لا تصدر إطلاقًا عن عاقل فطنْ يتوخّى أن يقدّم شيئًا لأجيال بلده ينير بـــه طريقـــا أو يهدي به سبيلاً، لتبقى في ذاكرتهم دفعت كل من اطلّع عليه، أو قرأه إلى حالة مـــن الغضب، نتيجة للشعور بأن مستوى الكتابة في تاريخنا وصل إلى هذا الحدّ.

كما يدفع محتوى الكتاب القارئ رغمًا عنه أيًا كان مستواه الثقافي إلى حالة من الحيْرة والقلق الفكري المشوشّ، ليس لقوّة حُجَج المؤلف، أو براعة تحليلـــه أو منطقيّة أحكامه، ولكن لأن الكتاب جاء مزيجًا من بعض الحقيقة، وكثـــرة الخيـــال والمغالطات، فشخوصُه أناس حقيقيون ، وأماكنهم حقيقية ، ومداهم الزمني حقيقـــي لكن الحكايات التي نسجها المؤلف عن كل شخصيةٍ وحدثٍ ، كانت في الغالـــب لا تخضع للقياس، ولا للاستدلال، وكانت كل محاولة لوضع منهج أو خطة عمل لنقـــد كتابه والردّ عليه، رغم وجود الأدلّة والبراهين والحقائق الدامغة التي تفنـــّد ما كتبه

تصطدم دومًا بالسطحية في التحليل والتناقض في المضمون، فما كُتِبَ في المتـــن لا علاقـة له بما تَصَدّر الغلاف، ومن كان الجميع يتوقع أن يعرف عنهم حقـائق جديدة من عنوان الكتاب تلاشوا بين عبثيّة كلماته عنهم، وقسـوة أحكامـه علـى الآخرين.

وإذ نؤكد مجددًا ونحن بصدد نقد منهجه في كتابة التاريخ ، أننا لا نحـطّ من قدرِ أحدٍ جاهد ، فكلّ جاهد حسب قدره وقدرته ، وكلّ عـانى وقاسـى مـن طغيان هذا الغزو الغاشم ، ولكن لحقيقة الحدث وصناعته مواقع وأقدار، كلّ أدى دوره في موقعه وحسب ترتيبه ومنزلته ، رحم الله الجميع من مجاهدين مقـاتلين، وشيوخ ونساء وأطفال عزّل ضعفاء ، كما نؤكد أيضًا أن هذه الدراسة بشكل عام، لا تقبل المسّ أو التشكيك إطلاقًا في جهاد كل الليبيين ، وكذلك في دور وجهـاد أهالي قبيلة الصيعان ، فهم جاهدوا مثلهم مثل بقيّة كل القبائل الليبيّة التي اكتـوت بنارِ هذه الحرب ، وتعرّضوا للنفي والاعتقال والتشـريد ، ودفعـوا كـل غـالٍ ورخيصٍ في سبيل دينهم ، وبلدهم ، وإن تعرّضنا لهم خلال هذه الدراسة ، فإننـا بذلك نحلل موقفًا لنوضح فكرة أو ننفي مزاعم ، أو نصحّح معلومة أوردها القشاط في كتاباته ، من واقع الوثائق المنشورة وغير المزوّرة ، أو من جزء من وثـائق تنشر لأول مرة .

وتحاول هذه الدراسة قدر المستطاع الوصول إلى نتائج منطقية باسـتخدام المنهج العلمي الذي اتفق عليه العلماء في كتابة التاريخ ، من خلال معالجـة ونقـد نصوص كتابات الشاعر محمد سعيد القشاط عن فتـرة الجهـاد ضـد الإيطـاليين وخاصة كتابه الأخير ((من قيادات الجهاد الليبي ..)) ، ومدى حيادية الأحكام التي يصدرها بحق العديد من الزعامات الجهادية ، ودقة المصادر التي يعتمد عليها وأثر هذه الكتابات على تماسك نسيج الوحدة الوطنية بين الليبيين .

بدأ المؤلف كتابه بالهجوم على الأحياء والأموات ، بالقول:-((كما لاقـى الكثير من النقد اللاذع والتجريح الذي طال المؤلف من قبل أحفاد الذين تهاونوا في الجهاد أو ركنوا للعدو وفضحت أدوارهم))[1]، وكأنه نبي مرسل أحيط علمًا بوقائع الماضي ، وحين يمضي به الخيال بعيدًا ، يصوّر للقارئ أنه وقف وحده بآياته التي تحوي الحقيقة الكاملة ، والتي أصبحت لأهميّتها كما يـدّعي مـن وثـائق مركـز دراسات الجهاد الليبي، يردّ على جموع المعترضين، ويفنّد حججهم ووثائقهم ولكنه

1 – محمد سعيد القشاط، **من قيادات الجهاد الليبي**، دار أؤنيا الجديدة ، طرابلس، الطبعة الأولى، 2002 ص7.

فجأة ينتبه إلى واقع حاله وضعف حججه ، فيقول:– ((وعلى الرغم من ذلك فإنني لا أستطيع أن أدّعي أنني أملك كل الحقيقة ، فالحقيقة كاملة يعلمها الله وحده الذي لا تخفى عليه خافية ، أما في التاريخ فإن الحقيقة نسبية))[1]، ثم يعود فيـــنقض قولـــه السابق ، فيقول:–((إنني إذ أتحدث عن دور أي فرد أو قبيلة إنما أنطلق من وثائق ومخطوطات لا تقبل الجدل ثابتة مثبتة في ذيل الكتاب))[2].

ولأن غايته من التهجّم على الآخرين ، هو استخدامه كوسيلة لطرح أفكاره القبلية الضيقة التي يروّج لها في هذا الكتاب ، فقد انتقل بسرعة من الإطار العـــام إلى الإطار القبلي مستهجنًا أن ينسبه البعض إلى قبيلة الزنتان ، لأنه ذكر في بعض كتبه السابقة دور قبيلته الصيعان ، واصفًا منتقديه بأنهم ينطلقون من حديث عاطفي خاليًا من المنطق والتوثيق ، وللتوضيح فإن من أشار إليه المؤلف بأنه نســـبه إلـــى قبيلة الزنتان كان الأجدى أن يذكره بالاسم فهو باحث أكاديمي معروف وكتابه يُعَدّ من المراجع المهمّة في التاريخ الليبي ، وإن أخطأ في نسبه إلـــى قبيلـــة الزنتـــان لاشتباه الأمر عليه فتلك ليست مسبّة أو تهمة يتبرأ منها القشـــاط ، أو يـــرى فيهـــا انقاصًا لقدره .

أما تلك الإشارة فقد أوردها الدكتورعلي عبد اللطيف حميدة في هـــامش كتابه **[** المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيـــا**]** فقـــال فـــي الهـــامش **(101)**:– ((معظم المؤرخين الليبيين تجنّبوا الحديث عن الحرب الأهلية في الجبـــل لأنهـــا أدت إلى كارثة أنهت المقاومة ، كما نجد في كتاب: الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ص 309، التليسي...بعد القرضابية ... ومحمد سعيد القشـــاط: خليفة بن عسكر: الثورة والاستسلام " ... ومعارك الدفاع عن الجبـــل الغربـــي، ولكن رغم شجاعة محمد سعيد القشاط في تنـــاول الموضـــوع إلا أن تحليلاتـــه متحيزة إلى موقف قبيلته الزنتان وحلفائها في الحرب كما أن كتاباتـــه تنقصـــها المراجع والتوثيق))[3].

---

1 – المصدر السابق ، ص8.

2 – المصدر السابق ، ص9.

3 – د. علي عبد اللطيف حميدة، **المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995 ، ص 176.

* – لم تكن حرب الجبل هي التي أنهت المقاومة، وهي مغالطة تاريخية ، لأن المقاومة في إقليم طرابلس استمرت بعد ذلك **8** سنوات في مواجهة غراتسياني حتى عام 1930 ، وتناولها من طرف القشاط ليست شجاعة ، فهو لا يملك وثائقها وحقائقها، لأن الكتابة فيها على نحو ما يفعله القشاط هو إيقاظ للفتنة، وندعو إلى عدم الكتابة عنها دون وثائق وتحليل موضوعي ودراسة شاملة لها . المؤلفان.

ويذكر في هذا المقام أن ردّ لجنة الباحثين في كتابهم :**[السير والرد علـــى التزويـــر]** جانبه الصواب حين أرجعوا معنى كلام القشاط إلى قبيلتـــه بقـــولهم :- ((...ونقول نحن أن الضمير عائد علـــى قبيلـــة الصيـــــــعان حســـب مقتضـــى الكلام))[1].

ونستعرض فيما يلي أوجه النقد المختلفة للكتاب مـــن النـــاحيتين المنهجيـــة والموضوعية:-

أولا:- من حيث المنهجيّة :

*- التناقض بين عنوان الكتاب ومضمونه:-

من المتعارف عليه أن عنوان الكتاب عادة يعبّر عن محتواه ، ولكن في هذا الكتاب يلاحظ القارئ أن هناك تناقضًا وتداخلاً في الشكل والمضـــمون ، إذ حمـــل الكتاب عنوانًا عريضًا ملفتا للانتباه كتب بالخط العريض بعبـــارة **[مـــن قيـــادات الجهاد الليبي الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي]** وهي جملة تســـبّب مـــن الوهلة الأولى دهشة للقارئ الذي لم تختزن ذاكرته المرتبطة بحركة الجهاد الليبـــي هذين الاسمين من ضمن الزعامات والقيادات التي تتبادر للذهن كلما تطرّق الحديث إلى مرحلة الجهاد وصراع المجاهدين ضد الغزو الإيطالي . وهذه الدهشـــة تربـــك عقل القارئ الذي تعوّد على أسماء قيادات الجهاد الليبي المعروفة بدورها في حركة الجهاد ، مما يدفعه إلى محاولـــة قـــراءة الكتـــاب لمعرفـــة هـــاتين الشخصـــيتين [البارزتين] اللتين ربّما أغفلهما التاريخ والمؤرخون ، وقد يكـــون ذلـــك بقصـــد التحامل على دورهما ، أو لعدم توفر المصادر والوثائق التي تبـــرز [الـــدورالهام والخطير] الذي لعبته كل شخصيّة في مراحل حركة الجهاد الليبي ، وفي اعتقاده أن بالكتاب وثائق جديدة غير منشورة ، استطاع المؤلف الحصول عليها ، ولدى تصفّح الكتاب يلاحظ أن مضمونه لا يتناول الشخصيتين المشار إليهما إلا في نسبة ضئيلة من محتواه ، فمن مجموع عدد صفحات الكتاب البالغة **(559)** صفحة ، كان نصيب الشيخ علي كلة من حيث ورود اسمه فقط **(50)** صفحة وبنسبة **(9%)** وكذلك كان نصيب الشيخ المبروك الغدي **(41)** صفحة وبنسبة **(7%)** من مجمـــوع صـــفحات

---

1 – د. محمد عبد الوهاب وآخرون ، **السير والرد على التزوير** ، الدار الأطلسية ، تونس ، الطبعة الأولى ، 2006 ص 32.

الكتاب. وفي هذه الصفحات تم تناول الشخصيتين ببيانات ومعلومات سطحية يغلب عليها الطابع السردي المشحون بالعبارات العاطفية التي تزخر بها الروايات الشعبيّة على نسق روايات عنترة بن شداد ، والزير سالم والسيرة الهلالية ، والتي تميل إلى التفخيم في العبارات والخيال الأسطوري ، مثل قوله :- ((كان كريمًا صبورًا فارسًا شجاعًا صموتًا إذا تكلم كان قوله الفصل...إذا صمم على شيء لا تستطيع أي قوة أن ترجعه عن تصميمه ...وطنيًا من الطراز الأول حمل السلاح ولم يلق به حتى النهاية.))[1].

أو قوله ((وكان... مفكرًا حصيفًا ... يخشاه الأعداء أيّما خشية ...ويتوقع خططهم التي رسموها فينقضها وينكسها))[2].

إضافة إلى تسجيل وذكر مواقف متناقضة للشخصيتين ورسم صورة كاريكاتيرية لهما بحيث أساء إليهما قبل أن يُحْسِنْ ، ولم نشأ في هذه الدراسة أن نتعرّض لهما بالنقد أو بيان الطريقة التي تناولهما بها القشاط .

أيضا من مجموع **(33)** وثيقة أرفقها بالكتاب ، يلاحظ أن هناك عدد **(4)** وثائق فقط جاء فيها ذكر للشيخين ، وأما من ناحية المراجع التاريخية التي تؤرّخ لتلك المرحلة فلا يوجد أي ذكر له قيمة معرفيّة حول هذين الشيخين ، وباستثناء ما ذكر سابقًا فإن أغلب صفحات الكتاب تضمنت تهجّمًا متعمّدًا على أدوار القبائل والزعامات الوطنية في مرحلة الجهاد ، ومحاولة النيل منها ، وإطلاق العبارات وأحكام التجريم والتخوين ، استنادًا على قول شاعر يسمع دويّ المعارك دون أن يختبرها ، أو راوٍ لا حظّ له في مجالس القوم إلا ما نقل له ، أو سمعه صدفة إضافة إلى حشو الكتاب بأحداث وأمور لا علاقة لها بعنوانه ، وإثارة النعرات بذكر أحداث جرت في الماضي ، وكان لابد لها أن تقع لأنها مرتبطة بطبيعة أوضاع المجتمع الليبي آنذاك .

*- المصادر :-

من المتّفق عليه أن الكتابة في التاريخ ، أو في أي موضوع تحكمها ضوابط وقواعد وأسس تراعي الجانب العلمي والمنهجي ، ولابد للباحث والمهتمّ من معرفتها ؛ ولذلك جرت العادة أن يتم إعداد وتكوين الباحث على أساس أكاديمي

---

1 - محمد سعيد القشاط ، المصدر السابق ، ص19.

2 - المصدر السابق ، ص 20.

قد يستغرق السنوات كي يتمكن من الإلمام بهذه القواعد والمنهجية ، أو ببعض منها ومن أهم هذه الأسس ، هي المصادر التي يستعين بها الباحث في بحثـــه ، ومـــدى صحتها واتفاق الرأي حولها ، وكثيرًا ما يتم التحفظ على القبول ببعض المصادر لسبب أنها لا تتسّم ولا تنطبق عليها الخصائص ، والشروط الموضـــوعية ، ممـــا ينقص من قيمة البحث ، أو ينفي صحة ما يرد فيه من آراء ونتـــائج واســـتنتاجات ويلاحظ أن القشاط استند في كتابه على عدد من المصـــادرالتي اعتبرهـــا أساســـية ورئيسية :-

1- الرواية الشفهية .
2- قصائد الشعر الشعبي .
3- الكتب التاريخية
4- كتب المؤلف .
5- الوثائق
6- الأوراق المنسوبة إلى مجاهد .

1- <u>الرواية الشفهية</u>

من الحقائق التاريخية الثابتة أن نشأة كتابة التاريخ بالاستناد على الروايـــة الشفهية اقترنت بكتابة السيرة والمغازي والفتوحات ، وأن هذه النشـــأة اعتمـــدت الأسلوب العلمي الخالص ، والالتزام بالشروط التي وضعها علماء الحديث ، والتزم بها المحدثون ، وهذه مأثرة من مآثر علماء الحديث الذين عرفوا بالأمانة في نقـــل الحديث، وفرضوا وجوب تدقيق النص، والتزموا توخّي الدقة حفاظًا على سلامة ما سمعوه، بعد أن أصبح تحرّي الرواية، والمجيء باللفظ منهجًا متبعًا، وقاعدة متعارفًا عليها ، وبعد أن أجمع جمهور أئمة الحديث والفقه على وضع الضوابط المشروطة بمن يمتحن بروايته ، واتفقوا على أن يكون عدلاً ضابطًا لما يرويه عاقلاً ســـالمًا من خوارم المروءة ، متيقظًا غير مغفل ، حافظًا إن حـــدّث مـــن حفظـــه عارفًـــا بالمعاني التي يذكرها . وقد هيأت هذه اللوازم لعلم التاريخ قاعدة كبيرة أسهمت في تنشيط حركة التأليف لتصبح بداية تنطلق منها ، وسمة ينفرد بها ومنهجًا متخصصًا بضوابطها، واقترنت رواية الخبر التاريخي بمصـــطلحات الحـــديث مـــن ســـماع، وقراءة، وإجازة، ومناولة، ومكاتبة، وأخبار، ووصيّة. كما حرص المؤرخون على

السند الذي يمثل الركن الأساسي للمنهج التاريخي، وعلى الرغم من تفاوت المؤرخين واجتهادهم، وطريقة نقل الأخبار التاريخية، والتزامهم بمناهج مختلفة، إلا أنهم ظلّوا حريصين على دقة الأداء، وسلامة الحرص وأمانة النقل، لأن هذه الخصائص كانت تشريعًا يحرص على تطبيقه المؤرخ ليأخذ مكانه في عالم يتوخّى الدقة ، ويحرص على الضوابط المتفق عليها[1].

ومن المعروف أن أهم الأسباب التي دعت مركز جهاد الليبيّين للدراسات التاريخية أن يتبنّى إطلاق مشروع الرواية الشفوية، هو الحرص على تدوين أحداث تلك المرحلة من أفواه المشاركين فيها، وكي يؤسّس لعمل توثيقي يأخذ بالمنهج العلمي فقد أعدّ مجموعة من الباحثين علميًا، من خلال إقامة الدورات التدريبية لهم لتمكينهم من الإحاطة بطرق جمع الرواية، وتمحيصها، ومقارنتها ببعضها لاستخلاص رواية متكاملة، ومتقاربة حول الوقائع والأحداث، تكون مرجعًا مساندًا للروايات الرسمية، وهذه العملية بطبيعة الحال لن تكون متكاملة إلا إذا خضعت للتدقيق، والتمحيص، فذاكرة المجاهد ترى الحدث حسب موقعه، وبالتالي تتفاوت الروايات من حيث إحاطتها بالتفاصيل من مجاهد إلى آخر، فمن كان في موقع القيادة، يراها وفق حسابات ومتغيّرات مختلفة عن ذلك المجاهد الفرد، الذي سمع دويّ الطبل فلبّى نداء الجهاد، كما أن عامل الزمن يؤثر دون شك على ذاكرة المجاهد، فينسى بعض الأحداث، وقد يرسم صورة للحدث غير واقعية، ولذلك فمسألة الرواية الشفهية، وإن كانت من المصادر المهمّة، إلا أنها تظلّ مرتبطة بضرورة التمحيص، والتدقيق، والمقارنة، إضافة إلى عوامل أخرى ترتبط بالشخص نفسه، ومدى صدقه، وأمانته في نقل الحديث، وموقعه ودوره في المعركة أو الحدث.

ولكن محمد سعيد القشاط لم يتقيّد بأيّ من الشروط المتعلقة بضبط صحة الرواية الشفوية ، لأنه لم يكن من الباحثين الذين أعدّهم المركز لتسجيل الرواية الشفوية ولذلك فمن المآخذ عليه أنه أخذ يجمع وفق طريقته وأسلوبه ، أي كلام ومن أي راوٍ ، وأية رواية ، ويضعها مستندا وحجة في مواجهة الوثائق ، دون التثبّت من صدق الراوي ، أو محلّه وموقعه في الحدث ، كما أن أغلب رواته هم من قبيلته ، أو أنه يستشهد برواة من قبائل لها عداوة ، أو موقف عند توجيه نقد

1 – د. نوري حمودي القيسي ، **منهجية البحث التاريخي عند العرب** ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 43 ، السنة السادسة عشرة ، بغداد ، 1990 ، ص 209.

أو اتهام لقبيلة أو شخص ما ، وهذا من أبرز مظاهر الضعف ، والشكّ الذي يعتري كتاباته ، ويقلل من الصدق في حديثه ، ويثير الجدل حولها ، والذي ينبع ليس من القيمة العلمية ، ولكن لما تسبّبه من حساسيّات ومشاحنات .

والملاحظة الجديرة بالانتباه هي تركيز القشاط على الرواية الشفوية كمصدر أساسي في كتاباته ، وحصرها في أفراد عاديين من قبيلته ، يضع رواياتهم كضد للوثائق والمصادر التاريخية ، سواء تلك التي تؤرخ للحدث لحظة وقوعه أو تلك التي كتبت كأبحاث ودراسات استندت على وقائع الماضي ، والملاحظ أن القشاط في كتبه الثلاثة التي تدور حول نفس الأحداث والمواقع ، قد أخذ يتوسّع في كل مرّة بتناول شخوص أو وقائع ، ليضيف مزيدًا من البناء الروائي لكتبه ، ونراه يتوسّع باضطراد في الاستناد على الرواة من قبيلته ، مع انخفاض نسبة الرواة من القبائل الأخرى الذين يخضعون لعملية انتقاء في الرواية والحديث .

وهذا الأسلوب الذي اعتمده محمد سعيد القشاط في الرواية الشفهية ، دون التثبت من صحّة الرواية ، أو صدق الراوي ، أوقع أحد الباحثين الذين أعدّهم مركز دراسات جهاد الليبيّين – عند مراجعته ونقده لأحد كتب القشاط – في مصيدة الأخذ بصحّة الرواية التي أوردها القشاط ، وتفسيرها بشكل يسيئ لإحدى شخصيّات تلك الرواية ، وفي هذا الخصوص نوردها كمثال يعبّرعن هذه الحالة التي تعكس مخاطر الاعتماد على الرواية الشفوية دون التحقق من صحتها ، ومقارنتها مع الحقائق التاريخية .

اعتمد محمد سعيد القشاط في كتابه (خليفة بن عسكر) عند حديثه عن فرار بن عسكر من سجنه في الزنتان ، على رواية امحمد بن يوسف بوصوة الذي قال:- ((...فقال لنا – [يقصد خليفة بن عسكر]- الشيخ سوف يبات الليلة في الرّجْبان عند محمد فكيني فامشوا باتوا معاه واشبحوا لحكاية وهو توه يمشي للصيعان .

فخرجنا من عنده وتوجهنا للرّجْبان حيث التقينا مع الشيخ سوف في منزل الحاج محمد فكيني وفي ضيافته وبقوا حتى الصباح الشيخ سوف وعيسى تفوشيت ومحمد فكيني وخليفة قرقاب يتحدثون . وكان الحاج محمد فكيني يتحسر وهو غير مصدق على تسليم خليفة بن عسكر للطليان فكان يقول :- **صحيح مصحح خليفة يدفعوه للطليان ؟ لوكان واحد زي مطلين حتى يدفعوه معليهش ولكن فارس جهاد**

اللي ما سلمش للطليان ... كيف يسلموه ؟))[1]، وقد علّق محمد سعيد القشاط على القول المنسوب للحاج محمد فكيني بقوله:- ((وقول فكيني "واحد مطلين زي" نوع من التواضع في الجهاد ويقصد أنه لم يهاجر كسوف وغيره)).

وقد قام مصطفى هويدي- [أحد الباحثين الذين أعدّهم المركز في مجال الرواية الشفهية][2] - عند نقده كتاب خليفة بن عسكر في الفقرة (9) بالتعليق على ما ذكره الراوي ، وتعليق القشاط بالقول في الفقرة (9):- يفسر الكاتب بعض الأقوال بطريقة غير سليمة ، فمثلا في ص (49) يقول محمد فكيني :-((... لو واحد مطلين زي حتى يدخلوه للطليان معليهش)) ، وهذا اعتراف صريح وواضح وجاء أمام بعض زعماء المجاهدين ، إلا أن الكاتب يفسر قول فكيني بأنه نوع من التواضع في الجهاد ومن المعروف أن فكيني له مواقف معروفة تجاه الإيطاليين وأذكر بالبيت الذي قاله الربعي:-

افكيني وبن شعبان لحقوا احسونة وباعوا ضراري حبهم طواحي

وأذكر كذلك - ومن داخل الكتاب - [يقصد ص369 من كتاب خليفة بن عسكر] برسالة فكيني إلى المريض التي يقول فيها :- ((ونحن اتفقنا على أنه من لا يخضع للقانون الأساسي نخضعه له حبا أو كرها ..)) وهنا يظهر تواضع فكيني بوضوح كما أن غراتسياني أورد في كتابه :- " نحو فزان" ص423 رسالة فكيني إلى جالياني يقول له فيها :- ((إن ابني حسن قد درس في المدرسة الإيطالية وانضم إلى حزب الأحرار فإنه ذهب إلى وزارة المستعمرات للتحدث مع المسئولين فيها وعند عودته قمنا بمقاتلة الباروني وابن عسكر ومات ابني حسن في ساحة المعركة..)) ، **وجاء** في نفس الرسالة :-((ولما رأيت أن الباروني يعمل لنفسه "ولجماعته" فقط فإنني كنت أول من استسلم ... ولم أتأخر عن العمل في القتال معكم وعن عمل كل شئ لمصلحتكم كما يعرف جنابكم))[3].

وهكذا من رواية شفهيّة وقع الباحث ((مصطفى هويدي)) في الخطأ العلمي ولم يتّبع الأسلوب والمنهج الذي تم تكوينه وتدريبه عليه ، حين استند في نقده للرواية التي قدّمها القشاط على أن القول المنسوب للحاج محمد فكيني صحيح

---

1 - القشاط ، خليفة بن عسكر : **الثورة والاستسلام** ، دار المسيرة ، بيروت، الطبعة الأولى،1978، ص49.

2 - شبكة المعلومات الدولية ، **موقع مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية** ، شعبة الرواية الشفوية ، ص86.

3 - مصطفى هويدي ،**عرض كتاب خليفة بن عسكر** ، مجلة الشهيد ، العدد الرابع ،1983 ، ص270.

لاغبار عليه والذي كان من أولى أبجديّات البحث العلمي النزيه ، هو التشكيك في صحّة القول والمطالبة بإثبات صحّته ، مما أدّى به إلى إصدار أحكام ، وتقديم حجج اعتمدت على قول الشاعر ((خليفة الربعي)) – ولمن لا يعرف من هو خليفة الربعي يمكنه الاطلاع على ترجمته في كتاب القشاط " خليفة بن عسكر " الصفحة (232)– رغم أن هويدي في موضع آخر من نقده في الفقرة (20) ناقض كلامه ، وشكّك في تاريخ بيت الشعر المنسوب لخليفة الربعي ، أما في الفقرة (24) فإنه يشكّك في الرواية الشفهية من أساسها بالقول:– ((أما عن المنهجية فإن الأستاذ محمد سعيد القشاط لم يراعها ولم يتبع الطريقة العلمية السليمة في الكتابة ، إضافة إلى اعتماده على الروايات الفردية التي غالبا ما تكون قاصرة وناقصة لأنها تمثل وجهة نظر محدودة ، ومن جانب معين فقط . ولايستطيع كاتب أو مؤلف أو باحث الاعتماد على رواية واحدة لأنه حتما سيقع في الخطأ الذي أملته عليه تلك الرواية))[1].

ولا ندري كيف تيّقن مصطفى هويدي من صحة الرواية الأولى، وما هو المعيار الذي اتّبعه للتأكّد من صحّة القول المنسوب للحاج محمد فكيني، إضافة إلى اقتباسه لنصوص تتحدث عن أمور متباعدة زمنيًا للاستناد عليها في غير محلها!!؟.

أما مناقشة صحّة الرواية من عدمها ، والتي تتّضح أنها غير صحيحة وتقع في مجال ((الكلام الموضوع ، أو الكذب الفاضح)) ، فهو ما يرويه الحاج محمد فكيني في مذكراته والتي يقول عنها المؤرخ الإيطالي [انجيلو ديلا بوكا] أنها من أدقّ المصادر التي تناولت تلك المرحلة ، وأن المعلومات الواردة فيها تفوق قيمة يوميات الحرب الليبية التي كتبها أنور باشا[2]، حيث ينفي الحاج محمد فكيني وجود أو مبيت الشيخ سوف عنده في الرجْبان في تلك الليلة من أساسها فيقول:–

((... وقبل ذلك بيومين أو ثلاثة مرّ علينا ذوات من نالوت اخوان ابن عسكر وقصدهم نظره في الزنتان ، فقلت لهم : فهموا خليفة بن عسكر أن يهرب لطرفنا ويقصد الشيخ سوف في الجوش وألا يخاف شيئا ، ولما أخبروه هرب في الحال على طريق قصر الحاج أدنى الجبال حتى وصل إلى الشيخ سوف في الجوش وأتى رجال نالوت وكاباو وبقوا كلهم مع الشيخ سوف ....))[3].

1 – المصدر السابق ، ص276.

2 – انجيلو ديل بوكا ، المصدر السابق ، ص 8.

3 – محمد فكيني ، **البدر المنير لحقائق من حوادث طرابلس في العهد الأخير** ، غير منشورة ، ص11 .

وهكذا يتّضح من هذا المثال ضعف الاعتماد على الرواية الشفهية ، التـــي أوقعت كاتبين ((باحثين عن الحقيقة في التاريخ)) في نسيج قصة اخترعها راوٍ.

ونشير إلى أن هناك الكثير من الروايات في كتب القشاط يمكـــن إيرادهـــا كأمثلة على ضعف الرواية الشفهية ، ومن الملاحظات النقدية الهامّة على كتابـــات القشاط تتمثل في أن القاعدة العامة أن الباحث أو المؤرخ يـــزداد اطلاعـــه علـــى المصادر بحكم البحث المستمّر ، ممّا يعطيه القيمة العلمية مع مرور الزمن ، ولكن في حالة القشاط الذي يسعى لأن يوصف بالمؤرخ ، نجد أنه ينكفئ على ذاته وقبيلته فتأتي كتاباته في التاريخ مستندة على أقوال ، وحكايات ينقلها في الغالب عـــن رواة من قبيلته ربما في لحظة سمر ، مع إهمال لما يرد في الوثائق ، أو من الرواة مـــن القبائل الأخرى ، كما أن الرواية الشفوية عند القشاط لا تثبت علـــى نســـق واحـــد فتتغيّر الرواية حسب ظرف الزمان أو المكان ، ففي كتابه : ((سوف المحمـــودي)) الصادر عام 1969م أورد قصة عودة الشيخ سوف من تركيا لاســـتئناف الجهـــاد وأشار بالقول :-((ويقول علي الجواشي : كدنا أن نموت بالعطش إذ نفذ ماؤنا في الصحراء ولم يعرف دليلنا موارد المياه ، ولا حتى الجهة التي تؤدي بنا إلى أقرب بئر . وكاد أن ينفرط عقدنا لولا رحمة الله التي تداركتنا عندما أكثرنا من الـــدعاء بأن سخّر سحابة أمطرتنا كوّنت لنا غديرًا عظيمًا أقمنا حوله ثلاثة أيام وملأنا قربنا وواصلنا المسير..))[1].

في هذه الرواية المنقولة عن أحد رواته ((علي الجواشي)) أن الدعاء كان جماعيًا فاستجاب الله لهم وأنزل عليهم مطرًا غزيرًا ، أما في كتابه الأخير ((مـــن قيادات الجهاد)) فالرواية ولنفس الراوي تختلف كثيرًا ، فيورد الروايـــة المنســـوبة إلى (علي الجواشي) على النحو التالي :- ((في الطريق ضل بنا الخبير ونفذ ماؤنا وبقينا عطاشًا عدة أيام ، الأمر الذي لم نستطع معه السير ولم تستطع جمالنا أيضـــا حملنا . فاسترحنا في قرارة من سدر وصعد سوف المحمودي إلـــى مرتفـــع عـــال وتيمم وصلّى ركعتين ، ودعا الله قائلا : اللهم إن كنت تعرفني أنني مجاهـــد فـــي سبيلك صادق النيّة فلا تقتلني ومن معي عطشًا . وقام سوف من مكانه راجعًا وقبل وصوله إلينا تكوّنت سحابة وبرق فيها البرق وزمجر الرعد وانهمر علينـــا المطـــر حتى امتلأت تلك القرارة ، فشربنا نحن وجمالنا وملأنا قربنا ...))[2].

---

1 – محمد سعيد القشاط ، **سوف المحمودي حياته وشعره** ، الطبعة لأولى ، 1969 ، ص 27.

2 – القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص 296.

ويلاحظ أن هذه الرواية تختلف عن الرواية الأولى رغم أن الراوي شخص واحد ، ففي الأولى : دعاء جماعي نتيجته أقرب للمنطق وتصديق العقـل ، وفـي الثانية : خيال وهرطقة ، وإساءة متعمّدة للشيخ سوف ، حين يضعه القشـاط فـي صورة من يخاطب الله مباشرة ، ويضعه أمام خيارين إما أن يؤكد له أمام الجميـع صدق جهاده وينقذه ومن معه ، أو لا يستجيب لدعائه ، فيفقد الشيخ سوف سـمعته وجهاده !!.

ويتّضح من التراجم التي يقدّمها القشاط عن الرواة ، وأغلبهم مـن قبيلتـه ((الصيعان)) أن جلّهم أميّون بسطاء ، لا حظّ لهم في التعلـيم إلا مـا نـدر، بمـا لايتجاوز حفظ بضع آيات قرآنية ، أو قراءة محدودة في الكتاتيب ، كما أن معظمهم في الغالب يمارس مهنة الرعي ، أو ينتظم في قوافل تمارس التجارة مع أيالة تونس وهذه المهن بطبيعتها تجعل الفرد دومًا بعيدًا عن مواقع الأحداث ، أو المشاركة فيها حيث أنه يقدّمهم في الغالب بالقول : جاهد ثم هاجر وعاد بعـد صـدور العفو مـن إيطاليا ، لذلك تكون روايته للحدث نقلاً عن آخرين .

أما تلك القبائل التي كان لها دور رئيسي في حركة الجهـاد، سـواء علـى مستوى القيادة، أو المشاركة والاستمرارية في المقاومة، باعتراف كل المصادر فقد تجاهل القشاط الاستناد على رواية مجاهديها، بل حـاول أن يطعـن فـي دورهـا وجهادها.

وتوضح الجداول التالية توزيع الرواة حسب القبائل :-

*-جدول رقم (1) يوضح عدد الرواة نسبة للقبائل المنتمين إليها في كتابه "معارك الدفاع عن الجبل الغربي".

ر.م	عدد القبائل	عددالرواة من كل قبيلة	اسم القبيلة / القبائل
1	1	14	الصيعان
2	1	7	ككله
3	2	5	الزنتان – العلالقة
4	3	4	الجعافرة – المحاميد – القواليش
5	1	3	الرياينة
6	1	2	طوارق
7	17	1	قماطة- الحرابة- أولاد بريك- زليتن- مرزق – أولاد بوسيف – القواسم- السبعة- الزاوية- ورشفانة- أولاد محمود – ترهونة- نالوت- أولاد شبل- قنطرار مزده – غريان – النيجر *

*- أورد القشاط رواة من النيجر، وهذا يدعو للتساؤل عن السبب الذي يدفعه لجمع شوارد الرواة وعدم الاعتماد على الرواة من القبائل الرئيسية في حركة الجهاد بالمنطقة.

*-جدول رقم (2) يوضح عدد الرواة نسبة للقبائل المنتمين إليها في كتابه الأخير " من قيادات الجهاد الليبي "

ر.م	عدد القبائل	عدد الرواة من كل قبيلة	اسم القبيلة / القبائل
1	1	48	الصيعان
2	1	7	الرياينة
3	1	6	الزنتان
4	1	5	المحاميد
5	4	4	الجعافرة- القواليش- السبعة- القديرات
6	6	2	أولاد شبل – غريان- مصراته- ورفلة- الزاوية-ككله
7	9	1	نالوت- أولاد بوسيف- المشاشية- الحوامد- الطوارق- أولاد بريك- زليتن- قنطرار -مرزق

2- قصائد الشعر الشعبي

يعتمد القشاط كثيرًا على الشعر الشعبي في تأكيد أحكامه ورواياته حيث يلاحظ أن جميع كتبه تضمّنت العشرات من القصائد الشعبية، والتي في كثير من الأحيان يقدّمها كوثائق، يرى أنّها تفسّر الحدث، بل ويحاول أن يدحض بها الوثائق الرسميّة التاريخية، ويبدو أنّ هذا له علاقة مرتبطة بطبيعة وتكوين شخصية القشاط، الذي هو في الأصل شاعر، والشعر في الأساس موهبة فطرية تخلق مع الفرد الذي ينمّيها ويصقلها مع مرور الأيام، وحينما تتمكّن من الفرد فإنه يظلّ يرى الحياة، وتقلّباتها بعيني شاعر، وقد أكّد القشاط هذه المرجعيّة الشعريّة والتخيّليّة التي تكوّنت لديْه منذ الصغر فقال:- ((...وكان في شهر رمضان يقص على الحاضرين قصة أولاد هلال وكان يتغنى بأشعارهم بصوت عذب رخيم يجعلنا نحن الأطفال في ذلك الوقت نتكدس في مجموعات صامتة إلى جانب الشيوخ نسترق السمع لعمي أحمد بن حسن وهو يقصّ حكايات وبطولات أبوزيد الهلالي والحسن بن علي والجازية الهلالية من كتاب يقرأ فيه ولا يفارقه))[1].

ومن المثير أن القشاط وهو يكتب التاريخ بلغة الشاعر، لا يتردّد في نقض هذه الضوابط العلمية ، حين يقول :- ((لقد كتبت هذا الكتاب على ضوء الوثائق التي تحت يدي واعتبرت قصائد الشعر الشعبي وثائق تاريخية كما اعتمدت ذلك منظمة (اليونيسكو) ولذلك أوردت ما وجدته منها يؤيد موضوع الكتاب))[2]. ولم يوضّح القشاط كيف، وعلى أي معيار، ومتى، وفي أي الدورات قرّرت منظمة اليونيسكو اعتماد الشعر الشعبي مصدرًا تاريخيًا، تؤرخ منه الأحداث التاريخية الهامة؟ ليّقرّر ببساطة الاستناد عليها في تفسير، وتأريخ الحوادث الهامة.

وهكذا يضع القشاط الجميع أمام إشكالية منهجيّة في الكتابة، والقراءة في التاريخ وحقائقه، حينما يفرض قواعد جديدة تعتمد على خيالات، وصور وتكوينات شعرية، ناتجة عن لحظات تخيّليّة لشاعر، تسكنه مشاعر السعادة أو التعاسة، مشاعر التملّق أو العداء، مشاعر الشجاعة التي يداني بها النجوم ومشاعر الضعف والذل اللتيْن يتوارى بهما تحت الثرى، وكلها مشاعر تعبّر عمّا يكتنفه من انفعالات اللحظة. وليفسّر بها القشاط الأحداث الجسام في تاريخ الأمة أو يناقض بها الروايات الرسميّة التي يرويها أحد صانعي الحدث.

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 295.
2 – المصدر السابق ، ص 534.

وعلى ضوء قواعد القشاط فإن تفسير الأبيات الشعرية ينبغي أن يتم وكأنه مطابق لفظًا ومعنى لواقع الحدث، وهكذا يُجْبِرْ القشاط القارئ على أن يفسّر على سبيل المثال لا الحصر، قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة:-

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّ له الجبابرة ساجدينا

وهذا يعني وفقًا لمقياس القشاط ومعيْاره:- أنه عندما يبلغ الرضيع من العمر سنتين وتفطمه أمه ، ويطرق ذلك الخبر مسامع جبابرة العرب فإنهم يتوافدون إلى مضارب القبيلة معلنين لذلك الصبي خضوعهم التام، وانصياعهم لأوامره.

وقد تضمّن كتاب القشاط أكثر من **(30)** قصيدة، إضافة إلى **(29)** مقطعًا شعريًا تضمّن **(74)** بيتًا من الشعر، وكلها موزعة على **(92)** صفحة ، وبلغت نسبة تلك الصفحات إلى إجمالي صفحات الكتاب **(17%)**، وقد أوردها القشاط تأكيدًا وتفسيرًا لأحكامه وآرائه ، وإن كانت بعض تلك القصائد الشعرية قيلت في زمن غير الزمن وفي حدث غير الحدث ، وليت الأمر اقتصر على الشعر الذي يتناول الحدث التاريخي ، ويخلو من الألفاظ التي تخذش الحياء العام، وتقدح في أعراض الناس، فأورد بعض الأبيات الشعرية التي نسبها إلى الشيخ سوف المحمودي في ذمّ الزواج والتصاهر مع إحدى القبائل ، رغم أنها تنتمي لذات الأورمة التي ينتمي إليها الشيخ سوف، أو تلك التي نسبها إلى أحد رواته ((الصغير سعد حلبودة)) حين يصفه في الترجمة مجاهدًا ورعًا ، ثم يسجن في تركيا لفعل اجتماعي مذموم فيقول شعرًا عن سبب سجنه:-

في الحبس والمرماكة وراء الباب ديمه واقفين اتراكه
وتسمع زريره وهرجته وعراكه غلب الترك فينا زخيم ابزار
ومحبوس على سبة مرا هرواكة أخّيه عكسهم ليام لما داروا

وهذه كلها مؤشرات توضّح المدى والمستوى في الفكر، والنضوج في البحث والتحليل العلمي، الذي وصل إليه محمد سعيد القشاط بعد كل هذه السنوات الطويلة من الكتابة والتأليف.

ولكن فات القشاط أن يدرك أن استخدام هذه الوسيلة (القصيدة الشعرية) في الكتابة التاريخية سلاح ذو حدين، يمكن أن يرتدّ على صاحبه، فيوقع به ويحشره في زاوية الاتهام !! ويتّضح ذلك حين يتم الأخذ بقواعد القشاط ومعاييره عند معالجة نصوصه الشعرية حيال الحوادث التاريخية التي عايش وجودها.

3- الكتب التاريخية

استند القشاط في كتابه على بعض المصادر التاريخية مثل: الكتب والمذكرات التي وضعها زعماء وقادة معاصرون ومشاركون في صنع تلك الأحداث، مثل مذكرات الشيخ سليمان الباروني ، كتابات الشيخ الطاهر الزاوي والقادة الإيطاليين أمثال: رودولفو غراتسياني وبيلارديني‌للي، ورابكس وغيرهم. ولكنه في مواضع كثيرة يلاحظ أنه يتعمّد أن يبتر النص الأصلي ولا يكمله، أو يحذف جزءا منه ويربط جملاً متباعدة من النص الأصلي بحيث يتغيّر معناه ويطوّعه بشكل يخدم اتجاه الكتابة لديه، كما أنه كثيرًا ما يستخدم النصوص المقتبسة في غير مواضعها إذ يقتبس نصًا لاحقًا للتدليل على حدث سابق، وهي مسألة تخالف مبدأ النزاهة والحيادية، والأمانة العلمية، فالنصوص الواردة في هذه المصادر كلٌ منها تتحدث وفق طبيعة الحدث الذي تشير إليه، فلا يجوز أن ينقل نصُ يتحدث عن أمر، أو حدث وقع في زمن لاحق ليستشهد به لتأكيد أو نفي حدث آخر وقع قبله، وهو ما سنشير إليها بالنقد في مواضعها لاحقا.

4- كتب المؤلف

ما يلاحظ على القشاط أيضًا أنه يتعمّد الإشارة عند تأكيد الحدث ، أو نفيه إلى كتبه فيقول:- ((أنظر كتابي)) وقد استخدم هذا الأسلوب بكثرة في كتاباته ومن المعروف أن الكتب أو الكتابات التي يدور حولها الشك ، أو الجدل ، تظلّ موضع عدم قبول لها ، ولا يؤخذ ما يرد فيها على أنه صحيح ، خاصة أن كتاباته يناقض بعضها البعض ، فما كتبه في الستينيات يختلف عما سطّره في السبعينيات وهلّم جرّا ولكن المؤلف يحاول أن يقحم الآخرين ، وأن يثبت أن ما يقوله ، أو يحاول أن يطرحه صحيح بالإشارة إلى ما كتبه سابقًا ، وهذا أمر في حقيقته يعبّر عن حالة من الأنا والنرجسيّة ، تعكس الضعف والقصور في البحث العلمي .

ومن جانب آخر يلاحظ أن الكتب التي ألفهــا القشــاط ، وأصــدرها منــذ الستينيات وحتى الآن أي على مدى أكثر من (40) عامًا تصل إلــى حــوالي(75)[1] كتابًا بما فيها الكتب التي يشير إلى أنها تحت الطبع ، وهو رقم كبير يوحي للوهلــة الأولى بغزارة الإنتاج العلمي ، وضلوع صاحبها في التأليف المتخصّص ، ولكــن بمراجعة قائمة مؤلفات القشاط ، وتصنيفها من حيث الموضوع يلاحظ مايلي :-

*- بلغ إجمالي الكتب (75) كتابا منها :-

- (66) كتابًا في مجال الشعر منها :- (53) كتابًا منشورًا ((دراسات – دووابن – تحقيق وجمع دواوين لشعراء شعبيّين)) و(13) كتابًا تحت الطبع .
- (3) كتب في الرحلات .
- (6) كتب تتناول التاريخ ، وهي كلها أثارت الجدل والطعن في محتواهــا لــدى الكتّاب ، والمهتمين ، والمختصين ، وتسبّبت في إثارة الحساسيّات والنزاعــات بين الكاتب ومعارضيه .

وما يهمّ في هذا الطرح هو وضوح أن القاعدة الأساسيّة في غزارة الانتــاج والتأليف لدى القشاط ، ترتكز أساسًا على الجانب الشعري والأدبي ، وهو جانــب يعتمد على المخيّلة ، ولا يتقيّد بالضوابط العلميّة ، فالشــعر صــور ، وتعبيــرات يتصوّرها الشاعر دون قيود ، أو ضوابط تلقى الاستحسان كلّما كان شيطان الشعر بارعًا في نسج الصورة الشعرية ، عندما يتلبّس صاحبه ، وهذا عامل نراه أساســي يصبغ كل كتابات القشاط بطابعه الشعري التخيّليّ ممّا يقلّل من مقدرة القشاط العلميّة والكفاءة ، والنزاهة في التحليل عند الكتابة في التاريخ ، أو معالجــة القضــايا ذات الطبيعة العلمية ، لأن الدراسات والأبحاث العلمية لها معايير ومقــاييس وضــوابط منهجيّة صارمة .

ويقود هذا الاستنتاج إلى جانب آخر مهمّ له دلالة خاصة ، فــإذا مــا تتبّعنــا الدراسة العلمية للقشاط منذ حصوله على شهادة التدريس العامة من معهد المعلمــين بطرابلس ، نلاحظ أنها لم ترتبط أو تتكوّن أكاديميًا على مدرجات الجامعة ، أو بين المكتبات ، والبحوث والدراسات العلمية ، وإنما تكوّنت على هامش الحياة العمليّــة والوظيفية ، إضافة إلى أن مستوياتها العلميّة التخصصيّة تكونت في مجالات مختلفة ولا يوجد رابط تخصصي بينها ، وأثر هذه العوامل التي ذكرناها يمكن ملاحظتــه

1 – القشاط ، **ديوان في ظلال السدر** ، ص 217.

بوضوح في كتاب ((الإيطاليون في الجنوب الليبي : أرتـال ميـاني 1913-1915)) والذي وضع القشاط اسمه على غلافه بعبارة ((مراجعة وتحقيق د . محمد سـعيد القشاط)) ، وقال في تقديمه للكتاب:-((بدأت أبحث عن الكتاب ، وليس من السهولة العثور على كتاب تم طبعه منذ أكثر من ستين سنة. وأخيرًا تفضل مشكورا صديقنا الأستاذ خيري العرادي بإهدائه لي من مكتبته العامرة بالأردن . ولما كنت – مـع الأسف – لم أحظ بمعرفة اللغة الإيطالية . إذ أنني من البدو الـذين هـاجروا مـن الوطن بعد استحالة المقاومة وبالتالي لم نتمكن من تعلم لغة العدو والتي كان تعلمها في ذلك الزمن يعتبر كفرًا ...))[1].

يتلاعب القشاط باللفظ والمعنى في مواجهة القارئ ، حين يضع نفسه مراجعًا ومحققًا لمادة هذا الكتاب بعد أن وضع نفسه مؤرخًا في فترة سابقة ، **والتحقيق** كما هو معروف يتناول في العادة وثيقة تاريخية قديمة مخطوطة ، ولا يتنـاول الكتـب المطبوعة المنشورة ، ولا يدري القارئ ما الذي حققه القشاط في كتـاب مطبـوع ومنشور ، إلا إذا اعتبر ما قام به من تصويبات في الأسماء والمواقـع الجغرافيـة والمدن ، والقرى عملاً يرقى إلى مستوى التحقيق العلمي ينبغي أن يـذكر!! ؟ ثـم يقول في المقدمة أنه لم يتعلم اللغة الإيطالية لأنه هاجر ولم يـتمكن مـن تعلمهـا فحسب صياغة القشاط اللغوية فهو يتكلم عن ذاته في الهجرة والتعلّم ، فمتى هـاجر محمد سعيد القشاط وهو المولود عام **1942** بالجوش وبعد مرور **(11)** عامًا علـى توقف الحرب في ليبيا بعد القضاء على المقاومة الوطنية ، وأيضا انسحاب إيطاليـا من ليبيا في الحرب العالمية الثانية !! ؟ ، أما إذا كان يقصد أن أهله الصيعان بسبب الهجرة لم يتمكنوا من تعلم الإيطالية ، ومن ثم تعليمهـا لأبنـائهم ، فمتـى هـاجر الصيعان وهم قد استقروا في موطنهم بعد استسلامهم في معركة الجوش !!؟.

5- الوثائق

يسعى كل باحث إلى تضمين كتابه أو بحثه بعدد من الوثائق التـي تؤكّـد وجهة نظره حيال المسألة التي يطرحها ويدافع عنها ، وتشكّل الوثائق فـي العـادة مصدر قوة للكتاب والكاتب ، خاصة عندما تكون مرتبطة إرتباطًا مباشرًا بمضمون الكتاب ، وقد درج محمد سعيد القشاط على تضمين كل كتبه التي أصدرها بملحـق

1 – جويدو فورناري، **الإيطاليون في الجنوب الليبي** ، ترجمة عبدالرازق فوقي عبدالرازق عيد ، مراجعة وتحقيق محمد سعيد القشاط ، مبنى فنون الجرافيك إيطاليا ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص 11.

في آخر الكتاب يضم عددا ممّا أسماها :((الوثائق)) إلى جانب مجموعة من التراجم والصور الفوتوغرافية شملت معظم أبناء قبيلته يرى أنها تدعّم وجهة نظره وصواب تحليله حيث بلغ عدد هذه الصور **(31)** موزّعة على **(21)** صفحة وكانت نسبتها إلى مجموع صفحات الكتاب **(4%)** .

وبنظرة تحليليّة لوثائق كتابه ((من قيادات الجهاد الليبـــي...)) يلاحـــظ أن الكتاب اشتمل على عدد **(33)** أسماها وثيقة ، توزّعت على **(93)** صـــفحة وبلغـــت نسبتها **(17%)** من مجموع صفحات الكتاب، وحيث أنه سبق اثبات أن عنوان الكتاب لا يتطابق ومضمونه، فإنه يلاحظ أيضًا فيما يتعلق بنوع ومضمون هذه الوثائق أنها تتطرّق لعدد كبير من المواضيع أكثرها جانبي وهامشي ، وأحياناً لا علاقـــة لهـــا بالموضوع الرئيسي الذي يفترض أنه مخصّص للحديث عـــن شخصـــيتي الكتـــاب ((علي كلة والمبروك الغدي)) ودورهما في حركة الجهاد الليبـــي ، وأن الوثـــائق المرفقة ينبغي أن تكون ذات علاقة بهذين الشخصين ، وتدعم وجهة نظر القشـــاط حسب عنوان الكتاب .ومن الاطلاع على الوثائق تبرز عدة ملاحظات أوليّة هي:-

*- الكثير من هذه الوثائق غير واضح القراءة في نصوصه الأصلية ، إضافة إلـــى شطب وحجب بعض الكلمات أو الجمل ، كما أن البعض منها لم يرفق بـــالنص الأصلي للوثيقة .

*- بعض هذ الوثائق وضعها القشاط بنصّها التركي مكتفيًا بتقديم فحوى مختصـــر لمضمونها يقول أنه نقلها شفاهة ، وكان الأجدى به لتأكيـــد مصـــداقية الـــنصّ والشرح أن يورد ترجمة للنصّ ، رغم أن بعض تلك النصوص سبق ترجمتهـــا ونشرت في كتاب ، ولكن القشاط تجاهل ذلك لسبب يبدو أنه لا يريد أن يطلّـــع أحد على مضمون تلك الوثيقة!!!.

*- ما أسماه بالوثائق الصادرة عن السلطات الإيطالية ينبغـــي مراجعتهـــا وتأكيـــد صحتها عن طريق الأرشيف الإيطالي ، ومركز الجهاد الليبي ، نظرًا للصياغة والشكل الذي قدمت بها.

*- كثير من الوثائق لا علاقة له بالموضوع، وحشرت بقصد التهجم على الآخرين.

وتتوزّع الوثائق المرفقة بالكتاب وفقًا لما يلي:-

***- وثائق تتعلق بقبيلة الصيعان بشكل عام (16) وثيقة، أرقام:-**
(1 إلى 11 - 14-25-26-30-31).

***- وثائق تتعلق بقبائل الرجبان والزنتان بشكل عام (10) وثائق، أرقام:-**
(15- 16- 17- 18- 19- 20- 21- 27- 28- 29).

***- وثائق يشير إلى أنها إيطالية (4) أرقام (12-13-32-33).**

***- وثائق تتعلق بمصراته (واحدة) رقم (22).**

***- وثائق تتعلق بقبائل الحدود (واحدة) رقم (23).**

***- وثائق تتعلق بورفلله (واحدة) رقم (24).**

وبتحليل مضمون هذه الوثائق حسب التقسيم السابق يلاحظ :-

أولا :- فيما يتعلق بالوثائق التي تتناول قبيلة الصيعان وهي (16) وثيقة يلاحظ أنها تتناول أصل الصيعان ، وعددهم وأحوالهم ، وصراعهم مع قبيلة ورغمة.

*- الوثيقة رقم (1) أوردها على أنها شجرة (الولّي الصالح أبوصاع) وأرجع نسبه إلى الأدارسة (أنظر فقرة : مسألة الانتساب إلى الدوحة المحمدية الشريفة ص 77).

*- تتحدث الوثيقتان رقم (2- 3) عن تعداد نفوس قبيلة الصيعان ، وهما مستندان صادران عن الفرعين البلديين ((تيجي)) و((بدر)) وليدلل بهما القشاط على كثرة قبيلته ورغم أن الكثرة أو القلة ليستا دائما معيارًا ومقياسًا لقوة وبأس القبيلة أو ضعفها.

*- الوثيقة رقم (4) لا تعطي معنى يمكن فهمه من النص ، أو يرد فيها أي سبب اللّهم إلاّ بسط الأيادي ، ورفع الأصوات بالنصر ، والعز ، والظفر ، وطول العمر للمقام العالي ، ويبدو أن القشاط وضعها في الكتاب للتدليل على وجود مراسلات لشيخ الصيعان ((سعد حلبودة)) مثل غيره من مشائخ القبائل الأخرى مع المقامات العليّة في الدولة العثمانية .

*- الوثيقة رقم (5) التي أشار إليها في الهامش بالقول أنها توضّح امتناع الصيعان عن تسديد ثمن الأراضي ، وكذلك سبب قتلهم للقائمقام ، وتعنّتهم على أوامر الحكومة ، فإن مطالعة النصّ لا تشير إلى المنحى الذي ذهب إليه القشاط

ولكنها تشير إلى أن الكلام يشمل أهالي المنطقة كلهم وهم : ((الحرابة وكابـــاو والحوامد والصيعان)) الذين تراجعوا عن الالتزام بتنفيذ ما وقعوا عليه ســـابقًا وأثاروا الضجّة والتهجّم على المأمورين ، وفيها يطلب الكاتب إرسال عســكر من السواري للسيطرة وإرجاع الأمور إلى نصابها ، كما يشير إلى أن سبب قتل الصيعان للقائمقام هو بتدبير ومشورة من أهل نالوت ، **إذن فالتدبير والرأي من نالوت والتنفيذ والعمل من الصيعان ، وكم من منقذ لأمر لا يدري لماذا قام به ولأي سبب؟.**

*- الوثائق من رقم (**6 إلى9**) تتحدث عن علاقة الصـــيعان مـــع قبيلـــة ورغمـــة وما تسبّبه هذه القبيلة من دمار ورعب في قبيلة الصيعان ، وتوضـــح الوثـــائق استنجادهم بالسلطات التركية كي تحميهم من غارات تلك القبيلة .

(أنظر الفقرة المخصّصة حول سبب إنشاء قائمقامية نجاد ، ص 100).

*- الوثيقة رقم **(10)** لها طابع خاص ، فهي مؤرخة في جماد الثـــاني 1331هـــــ والذي يقابل عام 1912 م أي بعد الغزو الإيطالي بشهور معـــدودة ، والوثيقـــة ممهورة بتواقيع مشائخ الصيعان ، وموجّهة إلى الوزير الأكبر التونسي ، وذلك للسماح لهم دخول تونس والالتجاء إليها لينعمـــوا بحمايـــة الـــدولتين الحاميـــة والمحميـــة [فرنسا وتونس] .

إن قراءة مضمون الوثيقة ، وتحليلها وفق ألفاظ وعبارات نصوصها_ دون النظر للتركيبة الاجتماعية ، تشير إلى أن الصيعان لم يشاركوا في المعارك التـــي جرت ضد الإيطاليين منذ بداية الغزو وحتى تاريخ تقديم الوثيقة ، حيث يقول هـــذا الجزء من النصّ :- ((**وبعد فإن المصححين أسفل هذا مع جملـــة عرشـــهم أولاد سلام صيعان لما دخلت دولة إيطاليا إلى عمالة طرابلس وشهدنا منها ما أحدثتـــه بالأهالي الذين بقوا تحت نظرها فاقشعرت جلودنا مما شاهدناه عيانـــا فاغتنمنـــا فرصة الدخول إلى العمالة التونسية تحت ظل الدولتين الحامية والمحمية لها لمـــا لهما من العدل والإنصاف الذي عاش في ظلها كل من إلتجأ إلى احترامهـــا ...**)) وفي هذا النصّ يلاحظ أن مشائخ القبيلة يتحدثون من جانب يبدو محايدًا ، ولا علاقة له بما يجري في طرابلس من أحداث ، إلا إذا تماسّت هذه الحوادث بوضع القبيلـــة فهم رأوا ((شاهدوا)) عيانًا ما وقع من تدمير ، وقتل ، ونفي للأهـــالي علـــى يـــد

الإيطاليين فأعتراهم الخوف والرعب حتى اقشعرت جلودهم [والقشعريرة هي أعلى مستوى في درجات الخوف : فيها رجفة وهذيان وغياب عن الوعي] خوفًا أن يجري عليهم ما جرى على أهالي الولاية ، لذلك فقد اغتنموا أول فرصة لاحت لهم ليطلبوا من الوزير الأكبر دام عزّه وتمدّد ظله كي يدخلوا في حمايته ، التي يستمدها من حماية الدولة الفرنسية المشهورة بالعدل والإنصاف !، ولم ترد أية إشارة منهم يفهم منها أنهم قاوموا أو قاتلوا حتى غُلبوا على أمرهم ، فاضطرّوا إلى طلب الدخول في الحماية ، وكأنما الأمر لا علاقة لهم به ، أوكأنهم جالية غريبة مقيمة ، شأنها شأن جاليات كثيرة في طرابلس آنذاك ، وهذا الموقف يقودنا إلى أن نورد مواقف أخرى للمقارنة بينها في مثل هذه الأحداث ، فعندما تسامعت القبائل في الجبل بنزول الإيطاليين على شاطئ طرابلس وبقية المدن الأخرى ، سارعت إلى تنظيم صفوفها لملاقاة العدو ، ومحاربته ، فهاهو الحاج محمد فكيني يقول في رسالة موجّهة إلى الشيخ سليمان الباروني :- ((.... **بعد السلام عليكم ، ورد لنا جوابكم اليوم الساعة واحدة ونصف ، واعلموا أن البارحة لما قدم مدير المال وأخونا مسعود وأخبروني كتبت لأعيان الزنتان وأعيان الرجبان وأكدت عليهم بملاقاتي بالمركز اليوم وأرسلت مخصوصين وبعد ساعتين أو ثلاثة قادم لطرفكم وربنا يحفظ ولايتنا <u>نموت شهداء ولا نرضى بالذل</u>** والسلام))[1].

وكذلك رسالة الشيخ سليمان الباروني إلى قومندان الأسطول الإيطالي في بداية الغزو الإيطالي :- ((**هجمت على بلادنا وعليها العلم العثماني فنزعته بدون وجه مشروع ودخلت البلاد بدون إذن فهتكت عساكرك الحرمات ، وقتلوا الأولاد والنساء والشيوخ ، وارتكبوا أشنع الأمور: من تخريب الديار وتعطيل التجارة ونهب الأموال وقد جئنا لاستخلاص وطننا المعزز منكم وأخرجناكم من الساحل وقصر الهاني واستحكام المصري وما حول ذلك من السواني والبيوت ، ورأيتم من الأبطال شجاعة وإقداما تزلزل الجبال حتى وصلنا الآن المنشية ، فسلموا تسلموا وارجعوا إلى أوطانكم**))[2].

وشتّان ما بين هذه المواقف التي تنمّ عن القوّة والعزّة ، وتلك التي تستجدي الحامي والمحمي كي يجيرهم ، ولتبرير طلب الدخول أشار المشائخ أنهم

---

1 – زعيمة الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** :الجزء الأول ، مطابع الاستقلال الكبرى ، مصر ، 1964 ص165.

2 – المصدر السابق ، ص176.

لا يستطيعون الرجوع إلى ولاية طرابلس ، فلا ملك لهم ولا دشره هناك يـربطهم بها بما يفهم منه أن العلاقة هنا ليست علاقة وطن وانتماء وأصول ثابتـة وإنمـا علاقة ملك ومقتنيات وأصول غير ثابتة :- ((وعليه فإننـا راغبـين مـن جنـاب الدولتين المذكورتين صدور الإذن لنا بالدخول للعمالة التونسية والاستيطان بها فـي المحمل الذي تعينه لنا الدولة والدخول تحت جميع المأموريات مثل أهل العمل **لأننا لا نقدرون على الرجوع حيث لا ملك لنا ولا دشره سوى ملكنـا التـي بنفـزاوه راغبين من مراحمكم إغاثتنا وإجابة مطلبنا ...)).**

إضافة إلى أن هذه الوثيقة تنسف مزاعم القشاط التي أوردها حول صـراع قبيلته مع فرنسا ، حين ذكر عددا من المعارك على الحدود ، فلا يعقل أن تلتجـئ قبيلة إلى عدوها بعد أن سالت بينهما الدماء ، وتصفه بالعادل والحامي والمنصـف هربًا من عدو آخر مماثل ، رغم أنهم لم يشيروا في مضبطتهم إلـى أي صـراع سابق معه.

*- الوثيقة رقم **(11)** فهي أوراق عددها **(14)** ورقة أسماها القشاط وثيقة ، ونسـبها كمذكرات لبلقاسم كلة . (أنظر فقرة : الأوراق المنسوبة إلى مجاهد ، ص 69).

*- الوثيقة رقم **(14)** موضوعها هامشي يتعلق بتكليف الطيف الحطـاب بمشـيخة أولاد امحمد وذلك من طرف علي كله ، وبتصديق من الشيخ سوف المحمودي والملاحظة هنا شكلاً وموضوعًا تتعلق بأنه إذا كانت قبائل الصـيعان قـد تـم وضعها في المعتقل بعد معركة الوخيم والجوش ، فكيف صدر هذا الأمر وأين إذا اعتبرناه صحيحًا ؟ ، إضافة إلى عبارات الرجاء والأمل الصـادرتين مـن الشيخ سوف وعلي كله تجاه الطيف الحطاب كي يقبل هذه المهمة الجسيمة !!؟.

*- الوثيقة رقم **(25)** نقلها القشاط من مذكرات الشيخ سليمان الباروني وهي عبارة عن **(ملحق)** ضمن رسالة موجّهة إلى الشيخ سوف المحمودي ويبدو أن القشاط أراد الاستناد عليها لرسم دور للشيخ علي كله، وإبرازه كقيـادي فـي حركـة الجهاد الليبي ، حين أشار في بعض رواياته في الكتاب إلى أن الشيخ سـليمان الباروني بعد تعيينه واليًا على طرابلس الغرب ، اصطحب على كلـه ليقدّمـه للسلطات التركية كي يتمّ تعيينه قائدًا للمجاهدين في ولاية طرابلس ، لولاَ أن ألّم

بالأخير مرض أقعده عن السفر فبقي هناك ، ولكن تفسير الوثيقة لا يشير من قريب أو بعيد لهذا الموضوع.
(أنظر فقرة : إدعاء تقديم الشيخ سليمان الباروني لعلي كله إلى السلطات التركية ، ص193).

*- الوثيقة رقم (**26**) فهي قصيدة شعرية لشاعر متى قيلت ، وكيف ؟ وما أهميّتها حتى توضع ضمن الوثائق، فهناك عدد كبير من القصائد الشعرية حول مرحلة الجهاد!!!.

*- الوثيقة رقم (**30**) فهي خارطة أخذها القشاط من كتاب المؤرخ خليفة التليسي تظهر مواقع تواجد المجاهدين في القبلة بعد سيطرة الإيطاليين على منطقة الجبل والساحل ، ثم يعلّق بالقول:-((تواجد الصيعان في سنة 1927 في فزان)) وهو يريد بهذا التأكيد على وجود الصيعان كقبيلة ، رغم أنه لم يستعمل كلمة قبيلة كما فعل في كتابه ((الصحراء تشتعل)) حين أخذ الخارطة نفسها من المصدر نفسه وتعمّد إدخال تغييرات على النصّ المرفق بها ، فوضع كلمة (قبيلة) محلّ كلمة (مجاهدون) وقد وضّح أحمد كريم هذا التغيير في الخارطة في كتابه ((مجاهدون منسيون)) . ودون ذكر أسماء المصادر التاريخية التي تؤكّد استسلام الصيعان كقبيلة بعد معركتي الوخيم والجوش في هذا المقام ، فإن القشاط نفسه يؤكّد ذلك حين أشار إلى وضع قبيلة الصيعان في معتقل الجوش في كتابه ((صدى الجهاد في الشعر الشعبي)) . كما أن تواجد جماعات من الصيعان في القبلة خلال تلك الفترة كان صحيحًا كمجموعات مقاتلة ، آثرت الرحيل مع قبائل الزنتان والرجبان بعد معارك الوخيم والجوش والسلامات وتحت قيادة الحاج محمد فكيني ، كما يقول غراتسياني ((..ولقد كان إعادة احتلال هذا المركز كاباو قد نتج عنه نزوح جميع أهالي الرجبان والزنتان إلى القبلة فضلا عن بعض جماعات أخرى))[1].

ويوضّح غراتسياني تلك الجماعات بالقول :-((قد تأكد أن أناسا من يفرن وبئر الغنم وككلة والرياينة وجانب من أهالي الصيعان ممن إنضموا إلى رجال الزنتان والرجبان من بقايا أهالي الوخيم والجوش قد حاربوا في السلامات))[2].

---

1 - غراتسياني ، **نحو فزان** ، ترجمة طه فوزي ، مكتبة الصايغ ، 1976 ، ص 101.
2 - المصدر السابق ، ص103.

*- آخر الوثائق المتعلقة بالصيعان هي رقم (31)، وكالعادة يتحف القشاط الجميع ببعض العبارات التي يقدّم بها الوثيقة فيقول:- ((والكتاب جاهز للطبع وجدت هذه الوثيقة منشورة في مجلة...))، ويبدو لأهميّتها في توضيح وضع القبيلة سارع بإضافتها للكتاب.

ويتضح من قراءة هذه الوثيقة المهمّة في رأي القشاط، وتحليل نصوصها أنها تتحدّث عن حكم جزائي مفروض على أهالي الصيعان، يلزمهم دفع ضرائب وفق جدول زمني، بالإضافة إلى أخذ رهائن وعددهم (16) رهينة حتى يتم تسديد الضرائب، وقد تعهّد عدد من مشائخ قبائل الرحيبات وفساطو على كفالة هؤلاء على أن يكون كافل الجميع أمام السلطات الشيخ علي بن عبد الرحمن أبي سيف.

والملاحظ بشكل عام على مجمل الوثائق المتعلقة بالصيعان التي سبق تحليلها أن القشاط لا يقرأ الوثيقة بتمعّن وتبصّر، بل يضع كل ما يجد فيه كلمة تشير إلى قبيلته، فكل هذه الوثائق التي يوردها القشاط ، وتتناول الصيعان تظهر الكثير من الجوانب السلبية في القبيلة، ولا تبرز الجوانب الإيجابيّة لها خاصة إذا كان القارئ أو المحلّل يجهل طبيعة المجتمع الليبي وقبائله، فمن وثيقة تشير إلى خوف الصيعان من ورغمّة، واستنجادهم بالسلطات التركية لحمايتهم إلى أخرى تشير إلى تنصّلهم من الانتساب إلى القبائل الليبية، وعدم ارتباطهم بالأرض في وقت كانت الأرض في أمسّ الحاجة لمن يدافع عنها ، وطلب الحماية من فرنسا العادلة، الخ.

ثانياً:- الوثائق المتعلقة بقبائل الرجبان والزنتان وعددها (10) وهي بتواريخ مختلفة ومتباينة المواضيع ، والملاحظة العامة أنها ليست لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب ، إذا اعتبرناه يتحدّث ويتناول دورالشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي ولكن القشاط وضع هذه الوثائق بنيّة مسبّقه يفصح عنها حين يقدّم أو يعلّق على الوثيقة ، فنراه مثلا يورد الوثيقة رقم (15) المتعلقة باختيار زنتان القبلة للشيخ أحمد السني رئيسًا لهم ، ويقدّم لها بالقول:- ((وهي تدحض الذين يخترعون قيادات للزنتان غير أحمد السني))[1] ، ولا أحد يدري أهمية وضع وثيقة في

---

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص469.

موضوع لا تتعلق به !!!! ، أو حين يعلق على الوثيقة رقم **(16)** وهـي رسـالة للشيخ أحمد السني موجّهة إلى رئيس هيئة الاصلاح المركزية عام 1922 يطلب فيها إمداده بالعتاد وبعض الرجال، فيقول:- ((الملاحظ لهذه الرسـالة أن الشيخ أحمد السني لم يجد من الزنتان والرجبان القوة الكافية للزحف على يفرن فها هـو يطلب مائة جندي ومائة وخمسين فارسا لدعمه ، وكذلك السلاح والذخيرة من رئيس الهيئة))[1].

ويمكن أن نورد بعض الملاحظات على الوثيقتين والتعليق حتى يتبيّن سوء النية المسبّق لدى المؤلف تجاه القبيلتين:-

*-الشيخ أحمد السني، والشيخ سالم بن عبـدالنبي كانـا يقـودان زنتـان القبلـة والمجموعات التي انضمت إليهم، ولا علاقة لهما بقيادة قبائل الزنتان المستوطنة في الجبل والتي كانت دائما تحت قيادة الحاج محمد فكيني مع القبائـل الأخـرى مثـل الصيعان والرحيبات والحرابه، والعواته، وقسم من الرياينة والقديرات ، باعتبـاره ممثل هيئة الاصلاح المركزية في المنطقة الغربية وليس كما يروّج له القشاط ، أو محاولة البعض الإشارة إلى أن للزنتان قيادتهم المنفردة عن قيادة الحاج محمد فكيني وذلك حتى انتهاء المقاومة في الجبل ولجوء المجاهدين إلى القبلة ، ويؤكد رأينا أن جميع مراسلات غراتسياني الموجّهة إلى الحاج محمد فكيني تبدأ بعبارة ((**رئـيس محلة الزنتان والرجبان**)) وكذلك ما ورد في مذكرات الحاج محمد فكينـي التـي يشير فيها بتبعيّة هذه القبائل لقيادته ، حين يقول عن أحداث عام 1912 بعد صـلح أوشي :- ((**وعندما أتينا إلى بلدنا اجتمعت علينا أعيان الزنتان والرجبـان قـدر خمسين فارسا من غير الرجال ، واتفقوا انهم يمنعوني من الهجرة ، وأن الـرأي الذي ننتجه لهم يقبلوه ولا يسمعوا لسليمان كلاما ولا لغيره وإذا وقع الاتفاق بين الرجبان والزنتان فعموم الجبل لا يخالف لهما رأيا لأنهما أكبر قبايله وهما أقـرب لبعضهما من بقية أهل الجبل ، فجعل لي ذلك الايئتناس وكلفتهم اليمين بكتاب الله العزيز فحضر لدينا مصحف القرأن ودار بين الحاضرين بواسـطة أحـد الطلبـة وحلف به كل من حضر ذلك المجلس من الزنتان والرجبان وبعد أدائهـم اليمـين بالمصحف أردفوا عليه يمين الطلاق بالثلاث ويمين العتق على أننا يد واحـدة ولا**

---

1 – المصدر السابق ، ص 473.

نترك بعضنا ونموت جميعا على صغير منا وما يبديه لنا الحاج محمد فكيني من الرأي والتدبير فلا نخالفه ونتبعه فيما يراه لنا من المصالح لما يعلمون من محبتي لهم ومودتي مع التجربة عندهم مرارًاوالوقوف في مصالحهم فهذا كله بحضور عموم أعيانهم وعلمائهم وحررنا مضبطة على هذا المنوال وجعلنا منها عدة نظاير، وعلى ذلك افترق المجلس الواقع في يوم الجمعة 12 في حجة الحرام سنة 1330 ومرادنا بالنظاير لنرسلها لعموم أوطان الجبل وقبائله ...))[1].

وجاء في المذكرات أيضًا :-((**وفي تلك الظروف صارت كبار السنوسية يراسلون في الحاج محمد فكيني حيث أنه الحاكم بقضاء فساطو ونظارة الجبال وأنه حاكما على الزنتان والرجبان والرحيبات...))[2].**

هذا بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بين قبيلتي الرجبان والزنتان سواء على المستوى الاجتماعي الذي ربط بينهما في نسيج المصاهرة ، أو التحالف القبلي الذي كان يضبط حركتهما في الإطار القبلي كوحدة واحدة في السراء والضراء وكل ذلك أدى إلى بروز هذه القيادة الموحدة لهما.

*- لا يوجد في رسالة الشيخ أحمد السني أي ذكر لقبائل الزنتان والرجبان ، والتي يحاول القشاط بسوء النيّة الواضح أن يخلط الوضع القبلي ، بأن يشير إليها بالقول ((أنه لم يجد من الزنتان والرجبان القوة الكافية للزحف على يفرن))[3]، وإنما كان الشيخ أحمد السني يتحدث عن وضع عام في القطاع الذي يتواجد فيه ، ويطلب إمداده ببعض الأسلحة والمقاتلين.

وكذلك تعليقه على الوثيقة رقم **(17)** التي يشير إلى أنها مضبطة مقدّمة من أهالي الرحيبات ، وعلق عليها بالقول في الهامش :-((هذه المجموعة من الرحيبات وقفت مع الزنتان والرجبان ضد أهاليها الرحيبات . وفي الأخير أساءوا لهم واضطهدوهم ، وهاهم يخاطبونهم بهذا الاستعطاف الواضح))[4].

وبالرغم من أن مثل هذا الكلام لا يحتاج للتوقف عنده ، أو التعليق عليه لأنه يفصح عن قصد ومرام المؤلف ، وإن كان هناك بعض التحفّظ على صحّة الوثيقة التي تخالف صياغتها المضابط الأخرى التي قدمتها القبائل، ولكن نشير إلى

---

1 – محمد فكيني ، المصدر السابق ، غير منشور ، ص 53 .
2 – المصدر السابق ، ص 153.
3 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 473.
4 – المصدر السابق ، ص 476.

أن كل القبائل قدّمت مضبطة الطاعة والولاء للحاج محمد فكيني ، باعتباره ممثـــل هيئة الإصلاح المركزي ، والقائد العام لها خصوصًا في تلك الفترة ، ومن بين هذه القبائل قبيلة الصيعان التي ينتمي إليها القشاط ، ولذلك فلا يجوز لمن يريد أن يكتب في التاريخ ليوصف بالمحلل أو المؤرّخ ، طالما أنه كما يقول لا يملك كل الحقيقـــة أن يتهم الآخرين ، لأن الذين يهاجمهم القشاط ، لهم حقائقهم ووثائقهم وإن صمتوا فذلك احترامًا للتاريخ ، والجوار ، والتعايش ، والمعرفة الحقيقية بالآخر.

(أنظر الفقرة المتعلقة بإدعاء عدم تبعية قبيلة الصيعان لقيادة الحاج محمد فكيني ص 141).

أما تعليقه على الوثيقة رقم **(18)** بالقول :-((هذه الوثيقة نشرناها في كتابنا خليفة بن عسكر، وكتبنا تحتها [رسالة من الشيخ سوف إلى أعيان الزنتان يطـــالبهم فيها بالانضمام للمجاهدين في جهات مصراته] وقد قام من يدحض هذه الحجة وهنا ننشرها للقارئ ليفهم معناها دون تدخلنا وقد تركناها بأخطائها الإملائية))[1].

وبالاطلاع على هذه الوثيقة المنسوبة للشيخ سوف والمؤرخـــة فـــي عـــام 1923م الذي لا نعتقد أنه لا يعرف من هم جمرة ونواة التشكيلات الثوريـــة ضـــد الإيطاليين كما يقول غراتسياني ، يلاحظ أنها تتحدث بشكل عام عن الدعوة للملمـــة الصفوف بعد تراجع المجاهدين إلى القبلة، وفيها يثمّن الشيخ سوف جهاد الزنتـــان وأفعالهم في المعارك ، ولا تتضمّن الرسالة أي طلب بالانضمام إلى المجاهدين في مصراته وإنما أراد القشاط بتضمينها اسمي المبروك الغدي والطـــاهرالعكروت أن يجعلها مقدمة للوثيقتين: رقم **(19)** المرسلة من صفي الدين إلى أعيان الزنتان عام 1924 والتي علّق القشاط عليها بالقول:-((هذه الرسالة واضحة ودون أي شـــرح تطلب من الزنتان الانضمام للمجاهدين ومهاجمة العدو وتطلب قدوم وفد من أعيانهم مع الوفد ولقد سجل الوفد تقريره عن الزنتان))[2]، والوثيقة رقم **(20)** التي علـّــق عليها أيضا بالقول:- ((رسالة من محمد رضا المهدي السنوسي يحرض ويحـــث فيها جماعة الزنتان على الجهاد وهي واضحة ولا يقلل من وضوحها مـــن يحـــاول طمس الحقائق))[3]، بحيث يتوافق تفسيره لهما مع ما ذكره الشيخ الطاهر الـــزاوي في كتابه ((جهاد الأبطال)) من أن وفدًا أرسل إلى الزنتان لدعوتهم للمشاركة في

---

1 – المصدر السابق ، 479.

2 – المصدر السابق ، ص482.

3 – المصدر السابق ، ص485.

الحرب ولكن الزنتان تحجّجوا بأسباب وأعذار عن الجهـاد !!! ولكـن يبـدو أن القشاط لم يأخذ في اعتباره أن هذه الرسالة في الواقع توضح أهميـة دور الزنتـان ووزنهم في حركة الجهاد ، وهذا يجعلنا نتساءل لماذا لم يخاطـب المرسـل قبيلـة الصيعان مثلا !!؟ .

*- أما في الوثيقة رقم (21) المرسلة من متصرّف الجبل ((علي بن تنتوش)) إلـى الشيخ سالم بن عبدالنبي قائمقام القريات ، بشأن تعيينه قائمقام غريان ، والمؤرخـة عام 1920 ، فيظهر المدى والمستوى الذي وصل إليه محمد سعيد القشـاط عنـد تناول وتحليل وشرح الوثائق والأحداث ، حين يعلّق بالقول :- ((هذا التعيين تم من قبل وكيل دولة الوالي الإيطالي الماجور [وليتو] وعندما ذكرنا أن الشيخ سالم كـان على اتصال بالإيطاليين في كتابنا "معارك الدفاع عن الجبل الغربي" هناك من اتّهمنا بالتحامل ؟!))[1].

لم يضع القشاط الوثيقة ويحللها ، ضمن مداها وزمنها ، فهذا التعيين لم يكن مكافأة من إيطاليا للشيخ سالم بن عبدالنبي ، وإنما كان نتاج عملية سياسية مهّد لهـا عمل جهادي كبير، أرغم إيطاليا على أن تقبل بتوقيع صلح ، أتاح للمجاهدين إنشاء إدارة محلية ، والإشراف على تسييرأمورهم بالند والضد مع الإيطاليين ((صلح بن ادم)) وإذا كان محمد سعيد القشاط يتعمّد خلط الأمور، كي يلصـق بهـذا أو ذاك المجاهد تهمًا تصل حدّ الغمز بعدم الثبات على المبدأ، أو التلميح أو التصريح بأفعال تدخل ضمن دائرة الخيانة والنكوص عن الجهاد ، فإن الأمر لا يبدو مختلفًا كـذلك معه عند تطبيق منهجه وقواعده على هذه الأبيات الشعرية المختارة من قصـيدته التي سمّاها وطنية ((إن بعد العسر يسر)) والتي نشرها في باكورة دواوينه [بـين نجوع البادية] وقدّم للديوان بالقول :- ((ديوان من الشعر الشعبي الليبي ضم بـين دفتيه مختارات من القصائد في أبواب ومواضيع شتى تتجلى فيهـا كلهـا عاطفـة جياشة ، وحرارة مخلصة ، وصدق تعبير ودقة وصف ، ورقة عبارة ، هي صور ناطقة عن حياة الشاعر في ربوع ليبيا ومجتمعاتها)) . وفي هذه القصـيدة يتبـيّن مدى التصاق الشاعر وتعلقه بالنظام الملكي الذي يتبرأ منه الآن وذلك من خـلال هذه المشاعر الجيّاشة لديه حيث نجده يترنّم فيقول :-

1 - المصدر السابق ، ص 487.

ادريس فيها للشعب رزم   وقال نبغي استقلال

على الشعب الليبي يخمم   وما يهنا له بال

في قضية ها لوطن خدم   ا ْ لتحقيق الآمـــال

رفعها ا ْ ليا هيئة لمم   واللي يبغي نـــال

اعلن بالمرسوم رسم   اليوم يوم ا ستقلال

والشعب مع الجيش انضم   ورسموا في احتفال

تحررنا والله رحـــــــــم   اتعيش دولة لبطال

والليبية مثل الأم   ما تجيب الدلال

بدي الشعب الليبي ينعم   علم نجمه وهلال

من الحرب اللي فات غنم   قرار واحد وخمسين

وصار الشعب اللي حاكم   وهو المحكومين

صار ابن الشعب رئيس   ايسدد في خطواته

يعيش ملك الأمة الإدريس   عمم باصلاحاته

على رفعتْ ها لوطن حريص   يتمم مشروعاته

على ترفيه الشعب حريص   ويحيي فيه الدين

وكشافه ورئيس عظيم   ولّي العهد الزين

ادريس بحوال البر عليم   ايطول عمره آمين

توّه عشر اسنين قضينا   في عهد الحريه

مروا كيف البرق علينا   باصلاحات قويه

وفيهم حققنا آمانينا   للأمة الليبية

والتعليم امسهل لينا   حتى من الأميـــه

وما ترسم حاجة إلا بينا   في الجامعة العربيه

وفي هيئة لمم بدينا   لينا أصوات قويه

بفضل اخطط ادريس الزينا   وشعب الليبيين

رامي تاجه فوق جبينه   باني مجد متين[1].

---

1 – محمد سعيد القشاط ، ديوان بين نجوع البادية، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1963، ص 16.

*- أما الوثائق أرقام: (27-28-29) المتعلقة بنتائج وغنائم معركـــة القـــاهرة عـــام 1914، فقد وضعت في الكتاب عمدًا، لأنّ ما قام به المؤلف من تعليق لا يحتاج إلى أيّ تحليل أو مناقشة، وينطبق الحال على بقية الوثـــائق أرقـــام: (12-13-22- 23- 24-32-33).

وبشكل عام ، كان على محمد سعيد القشاط وهو يهوى الكتابة في التاريخ أن يدّقق في كتاباته وسلامة وثائقه ، ويستخدم الوثائق فـــي مجالهـــا الصـــحيح ويقدّم لها أو يعلّق عليها بعقلية الباحث المنصف الذي يبحث عـــن الحقيقـــة وأن يتحكّم في عواطفه ومشاعره تجاه الآخرين ، حتـــى يظـــلّ الاحتـــرام والتحليـــل الموضوعي قائمًا بين الجميع ، لأن ما ينشره كوثائق سيخضع حتمًا للتحليل والردّ والمناقشة ، ولا يجوز أن تظل كتاباته محلّ تفنيد كلّما صدر له كتاب .

6- الأوراق المنسوبة إلى مجاهد

يورد القشاط أوراقًا يسمّيها [وثائق صحيحة] وينسبها لقائد من المجاهدين أو مجاهد ، ويضعها في مواجهة الوثائق الصحيحة ، ورغم أن الباحثين قد فنّـــدوا بالحجّة والدليل هذه الأوراق وأثبتوا عدم صحّتها ، إلا أنه استمر في الاستناد عليها ومحاولة إعادة فرضها على القارئ ، ويقدم في كتابه مصدرين يحوم الشك حـــول صحّتهما هما :-

(أ)- الأوراق المقدّمة على أنها مذكرات المجاهد عون محمد سوف.

هذه الأوراق قدّمها القشاط في كتابه **[معارك الدفاع عن الجبـــل الغربـــي]** تحت مسمى ((مذكرات عون بن محمد سوف المحمودي)) ، في مواجهة الوثـــائق التي تؤرخ لتلك المرحلة ، وقد تناولها الأستاذ / مختار الهادي بن يـــونس بالنقـــد وأثبت أنها أوراق غير صحيحة دفع بها القشاط في لحظـــة مـــن لحظـــات الغفلـــة والنسيان وقد تصبح ذات يوم من الحقائق التي يستند عليها ، بالقول:- ((....وقـــد ظلت هذه المذكرات محفوظة بأرشيف الشعبة ولم أطلع عليها إلا بعد صدور كتاب " معارك الدفاع عن الجبل الغربي " لمؤلفه الأستاذ محمد سعيد القشاط فألفيت بـــين دفتيه نصوصا كثيرة عددها 16 نصا تتفاوت في الحجم ما بين سطر إلى الخمســـة عشر سطرا كشواهد منقولة مما قيل عنها أنها مذكرات عون بن محمد سوف الأمر

الذي حفزني أو دفعني إلى الاهتمام بها والاطلاع عليها ومن خلال الأوراق التي اطلعت عليها تبين أو تكشف لي بكل وضوح من خلال تغير أسلوب حديث المذكرات أولا وخلوها من أية بيانات ثانيا عدم صحة نسبة هذه المذكرات لعون إذ أن ذلك أراه غير صحيح وهو مجرد انتحال الأمر الذي يجعلني أتحفظ في نسبتها بالقول " مذكرات مجهول")) .

((.... وجملة هذه الحقائق أسوقها لنستبين الحق من الباطل في هذه القضية التي يظهر فيها إهدار وانتهاك حرمة المتن بالاسقاط والدس . والتزوير في نسبتها بكل وضوح ...... إن أمانة التأريخ والتوثيق تفرض علينا التزام الطريقة الصحيحة باتباع منهج البحث وأصوله وإلا كنا في حالة غياب الضمير ....)) . ((هكذا وبكل بساطة ويسر وفي غفلة يتم تسريب وتمرير الجمل والعبارات وتعدل أخرى وتسقط ثالثة لعلها تصبح على مر الأيام حقائق ثابتة وتكون مصدرا من مصادر تاريخنا الذي لم نفلح بعد في كتابته بصورة صحيحة وشاملة لما يعتريه من عراقيل كعدم التزام الصدق والتجرد من الأنانية والروح القبلية وعدم اتباع منهج البحث التاريخي وأصوله ، وندرة المصادر أيضا ..... فعلى المؤرخ الكاتب أن لا يقبل أو يستخدم كل وثيقة أو أي محررة مهما كانت قبل التثبت من صحة نسبتها لكاتبها وصحة وخلو نصوصها من الدس وأيضاً صحة معلوماتها ، أي قبل استخدامها عليه أن يقوم بعملية نقد منهجي من جميع النواحي حتى لايقع في الخطأ وحبائله مثل ما وقع الأستاذ القشاط الذي ربما كان عن حسن نية ولكن حسن النية لا يشفع ولا يبرر للكاتب موقفه مهما يكن . وعلى العموم فالنسخة السادسة التي استخدمها الأستاذ القشاط بها زيادات واضحة ربما كانت من وضعه))[1].

وقد ردّ القشاط على نقد الأستاذ مختار بن يونس بكتاب أسماه: ((مذكرات المجاهد عون بن سوف)) ، ويلاحظ أن ردّ القشاط جانبه الصواب ، وكان تكرارًا لما ذكره سابقا ، وهذا في الحقيقة مرتبط بتكوين القشاط العلمي ، فهو لم يؤهل أكاديميًا على اتباع منهجية البحث العلمي في الكتابة التاريخية ، وتحقيق النصوص وتدقيق الرواية وفق ضوابط المنهج العلمي المتعارف عليها ، وإنما يمارس كتابته وردوده وفق رؤية شخصية لا تستند على المنهج العلمي . ويمكن إيراد الملاحظات التالية:-

---

1 - مختار الهادي بن يونس ، **ملاحظات نقدية حول المذكرات المنسوبة لعون سوف المحمودي** ، مجلة الشهيد العدد الخامس ، 1984 ، ص 251 .

*- **قدّم** القشاط للكتاب في الصفحة الثالثة بالقول :-((تحقيق وتقديم ...)) والتحقيق كما هو معروف علميًا عبارة عن دراسة شاملة للوثيقة من حيث العمر الزمني وصحّة المضمون ، ونوعية الورق المستخدم ، والحبر المستخدم إلى آخر ذلك من الأدوات والأساليب التي يتّبعها المحقق كي يثبت صحّة الوثيقة ويعطيها البعد العلمي لها . ولكن ما قدّمه القشاط ليؤكد صحّة موقفه وحجته هو تكرار ما سبق أن كتبه .

*- **يُرجع** القشاط عند الحديث عن المذكرات إلى أن كاتبها هو أحمد عون كما سمعها من والده عون سوف ، ولا احد ينكر على عون سوف جهاده ، أو يطعن في حديثه لابنه ، ولكن لا يجوز أن تنسب المذكرات إليه ، وإنما ينبغي أن تنسب لابنه أحمد عون سوف ومن ثم يتغيّرعنوانها ليكون مطابقًا للحقيقة ، وذلك من [مذكرات عون سوف] إلى [ذكريات وأحاديث أحمد عون سوف عن رحلة جهاد والده وجده ضد الإيطاليين] ، وإلا فإن أيّ شخص مطّلع على وقائع التاريخ يمكن له أن يكتب ما يشاء ، وينسبها إلى والده أو جدّه ، أو أيّة شخصية ، مدعيًا أنه أملاها عليه قبل وفاته ، أو أنه عثر عليها في مقتنياته ، وهذا الأمر لا يجوز من وجهة النظر العلمية المنهجية الوثائقية ، ولا يستقيم ولا يؤخذ به ، ويظلّ مجرّد كلام منتحل ، مع العلم أن المسألة أحيانًا قد تحتمل القبول في حالة وجود الأصول التي عليها توقيع أو إمضاء المنسوب إليه الكلام ، مما يمكّن أي باحث قد يشكك فيها من إجراء تحقيق لتحديد الفترة الزمنية التي كتبت فيها.

*- **أورد** القشاط في معرض ردّه في الصفحة (11) من كتابه ((مذكرات المجاهد عون سوف)) أنه التقى المجاهدين الذين أخبروه عن معارك الجهاد كما ذكرتها المذكرات ، وذلك لتأكيد روايته ، كما أشار في الصفحة (13) أنه التقى بأسر المجاهدين وعددهم (12) أسرة أكّدت كلها على صحّة المذكرات ، وهنا يخلط القشاط المسائل في بعضها البعض ، فالحوادث التي ذكرتها المذكرات نتفق جميعًا على وقوعها ، حتى نحن الذين خارج هذه الأسر الإثني عشر ، أو ربما لسنا من ذلك الجيل ، لو طلب منّا تأكيد تلك الحوادث لأنها حوادث عامة وقعت ، والجميع يعرفها من مصادر تاريخية مختلفة ، ولكن تظل هناك مساحة من التفاصيل الدقيقة التي قد نختلف في روايتها لسبب ما ، كأن تغيب عن ذاكرة هذا ، أو تضمها ذاكرة

ذاك . لكن أن يقول القشاط أن هذه الأسر أكدت له صحّة المـذكرات ، فالتسـاؤل حسب رواية القشاط يدور حول ما إذا كانت هذه الأسر جميعها حاضرة لحظة إملاء المذكرات لتأكيد حدوث فعل الإملاء من عون على ابنه ، لأن تعبير القشاط الـذي استخدمه كان بصيغة الجمع ، ويعني الحضور والمشاهدة !!؟.

(ب)- الأوراق المقدمة على أنها مذكرات بلقاسم علي كلة.

يؤكد القشاط أنه اعتمد في إعداد مادة كتابه وبشكل أساسـي فيمـا يتعلّـق بترجمة حياة الشيخ علي كله على ما أورده ابنه بلقاسم ، والمذكرات التـي يقـدّمها على أنها نقلا عن والده .

ويقول في تقديمه لمصدر روايته الشيخ بلقاسم كله ما يلي :-((هو بالقاسم بن علي كله ، ابن المجاهد الذي نحن بصدد الحديث عنه ، تركـه أبـوه صـغيرا بتونس عندما هاجر إلى الشام ....بقي بلقاسم مع أمه وإخوته إلى أن عاد والده إليهم عام 1926 مهاجرا إلى تونس حيث التأم شمل الأسرة .... ولكن الوالد رجع إلـى سهل الجفارة في أواخر الثلاثينات وتوفي عليه رحمة الله وبقـي بلقاسـم بتـونس مهاجرا يدرس القرآن في أحد الكتاتيب .... وفي أواخر الخمسينات رجع إلى أرض الوطن حيث استقبله أهله ومواطنوه بكل حفاوة وتقدير واتفق أهـالي قبيلتـه علـى اختياره شيخا لقبيلته .... بقي بهذا المنصب إلى أن توفي عليه رحمة الله في أواخر الثمانينات (ببدر) ترك ولدا لازال يقيم بالبلدة وبنتا . والشيخ بالقاسم من الشـعراء المجيدين الذين تركوا ذخيرة من الشعر الشعبي أتمنى أن تجد من يجمعها في ديوان كما اعتمدت على روايته عن الجهاد في المنطقة ، وعن مذكراته التي كتبها كمـا سمعها من والده ... وبالرغم من أن الحاج بالقاسم لم يحضر الجهاد لصغر سـنه إلا أننا أوردنا ترجمته هنا لأنه المصدر الرئيسي الذي اعتمدنا عليه في تسجيل حياة الشيخ علي بن ضو كله .... وقد عرفت الحاج بالقاسم بعد عودتـه مـن الهجـرة وجلست معه عدة مرات استمع لحديثه الشيق ، وشعره الرصين ، وحكمته البليغـة وأدبه الجم ، ونوادره الشيقة.... وهو متوسط القامة ، أسـمر البشـرة ، بـه أثـر الجدري على وجهه ، قلق ، لا يستطيع الصبر على سماع الرأي الذي يعتقد خطـأه صريح إلى أبعد الحدود))[1].

---

1 – القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص 420.

وعند تقديمه للأوراق في الوثيقة رقم (**11**) بملحق الكتاب يقول:- ((ضمن أوراق المرحوم الشيخ بالقاسم بن علي كله . ابن المرحوم علي بن ضو كله **عثرنا** على كراسة بها مذكرات قال أن والده علي كله سردها على مسامعه . وهي تحكي قصة جهاد والده وتاريخ حياته وتقع في أربع عشرة صفحة ننشر هنا صورتها بخط يد المرحوم بالقاسم كله وقد استترنا بها في حديثنا عن المجاهد علي بن ضو كلــه وأخبار رحلته إلى تونس وإلى الشام))[1].

وقبل تناول هذه الأوراق ينبغي توضيح ما يلي :-

- إن صاحب الأوراق بلقاسم كله لم يعايش فترة الجهاد حياة ، أو مشاركة في قتال وإنما عاش حياته في تونس بعيدًا عن الحرب ، كما أنه لم ير والده حتـــى عـــام 1926 ، وقد يكون له من العمر آنذاك (**20**) عاما على أقصى تقدير ، كما أنـــه عاد إلى ليبيا في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي ، أي أن معلوماته عـــن الجهاد والمجاهدين ، ومعارك الجهاد ، وأماكنها مستقاة من أفـــواه الآخـــرين ، وليس مشاهدة أو مشاركة ، وحتى فترة بقائه مع والده لم تكن فترة طويلة ، فهو لم يعايشه في صباه فقد تركه وهاجر إلى الشام ، ثم عاد إليهم عام 1926 ، ثـــم تركهم بعد ذلك في أواخر الثلاثينيات.

لهذا تظلّ معلومات بلقاسم كله عن هـــذه المرحلـــة ، [وعـــن المنطقـــة وأماكنها ومشاهد أهلها ، كما يحلو للقشاط أن يشير إليها في كتابه مفـــردًا لهـــا حيزًا كبيرًا] كمعلومات رجل من الصين عن (قرعاة)[*] القشاط التي ذكرها فـــي كتابه في الصفحة (26) عند تعريفه بأراضي الصيعان ، إذا وقع الكتاب بين يديـــه واستهواه عنوانه يسمع بها دون أن يفهم معناها أو أين تقع !!.

- رغم ذلك يقول إنه اعتمد عليه في روايته عن الجهاد في المنطقة ، وعن مذكراته التي كتبها كما سمعها من والده . فهل يعقل أن يروي قصة الجهاد من لم يعش مرحلتها ، أو يقاسي آلامها ، ألهذا الحد يصل مستوى البحث والكتابة حتى يبحث القشاط عن أي كلام أو راوية ليكتب تاريخ شعب عُمّد بالـــدم ، وليســـتخدم أي حديث في مواجهة الحجج والوثائق.

---

1 - المصدر السابق ، ص 446.

* - القرعاة : تعني الأرض المنخفضة الواسعة في الصحراء ، وعادة توجد بها أشجار سدر ، وتمتلئ بمياه الأمطار في فصل الشتاء ، فيقصدها الناس للحراثة ، وسقي أغنامهم .

وقد أطنب في مدح بلقاسم كله فقال أنه استمع لحديثه الشيق ، وشعره الرصين وحكمته البليغة ، وأدبه الجم ، ونوادره الشيقة. ولكنه نسي فناقض نفسه حين قال أن بلقاسم كله ، قلق ، لا يستطيع الصبر على سماع الرأي الذي يعتقد خطأه ، صريح إلى أبعد الحدود . فالقلق نقيض الصبر والحكمة ، والصراحة إلى أبعد الحدود لاتستقيم والأدب الجّم ، فهذه الصفات تتناقض والحكمة والأدب الجم التي تمنح صاحبها الصبر والثقة والرزانة.

- يقول القشاط في الفقرة الخاصة بتقديم الأوراق في الوثيقة رقم (11): ((**عثرنا على كراسة بها مذكرات قال أن والده سردها على مسامعه**)) .

إن كلمة عثرنا التي يوردها في تقديمه للوثيقة تحمل معاني كثيرة وتساؤلات عديدة فهي جاءت بصيغة الجمع ، وتعني مجموعة ، وهنا يبرز التساؤل هل كان المؤلف مكلفًا ضمن فريق بحث علمي من أحد المراكز البحثية لفرز مقتنيات وأشياء تخصّ المرحوم بلقاسم كله ، للاستنارة بها حول تاريخ تلك الفترة ؟ أو كان من أقرباء المرحوم من الدرجة الأولى ، فكان من ضمن الورثة بحيث أتيح له أن تصل يده إلى حاجيات المرحوم الخاصة !! أو أن أهل المرحوم وهم بذلك ربّما غير متعلّمين ، أو لم ينالوا أي قسط من العلم ، فاستعانوا به لمعرفة ما تركه وفرز تلك الحاجيات ، وإبرازالأشياء المهمّة فيها فعثر كما قال على هذه الأوراق !!

كل هذه الاحتمالات أو التساؤلات أشار إليها بكلمة (عثرنا) ، وهي بهذا المعنى صدفة موحيًا بأنه حصل على كشف جديد ، وسبق يؤرخ لتلك المرحلة فقال إنه استنار بها في الحديث عن الشيخ علي كله .

وما يثير الانتباه أيضًا هو أن القشاط في ترجمته لبلقاسم كله قال أنه عرفه منذ عودته من الهجرة ، واستمع إلى أحاديثه ، فهل ضنّ عليه بلقاسم كله ولم يذكر له شيئا عن هذه الأوراق ، أم أنها لم تكتب آنذاك ، حتى يعثر عليها بعد وفاة صاحبها !!!! ؟ حيث يلاحظ أن القشاط عند ترجمته لعلي كله في كتابيه [خليفة بن عسكر ، ومعارك الدفاع عن الجبل الغربي] لم يشر إلى هذه الوثيقة لا من قريب ولا من بعيد ، رغم أن بلقاسم كله كان أحد رواته . فهل من أوراق أخرى ما تزال في جعبته ينتظر أن يموت من يريد أن ينسبها إليهم !؟ .

ماذا تحوي هذه الأوراق التي قال عنها أنه عثر عليها واستنار بها في حديثه؟

رغم التحفظ عن إعطاء أي أهميّة لهذه الأوراق التي لا تشكّل أيـــة قيمـــة علميّة جديدة إلا أن المقام يفرض إبراز ما تحويه من مغالطات .

* مضمون الأوراق التي تقع في **(14)** صفحة تتحدث عن:-

- التعريف بأسرة علي كله ، ويلاحظ أنها تحوي إطلاق ألقاب **[** أميـــر وأمـــراء **]** على أبنائها ، وهي معلومة غريبة عن المجتمع الليبي الذي لم يعـــرف الإمـــارة ومسميّاتها خلال تلك الفترة ، كما لم يعرف الليبيّون أن هناك إمارة في الصيعان
- أخبار خروج المهاجرين إلى تونس.
- اللقاءات التي تمّت مع الكونت سفورزا ونتائجها.
- التأكيد على أن الصيعان من القبائل التونسية.

* نطاق الأوراق يتحدّث عن فترة زمنيّـــة لا تتجـــاوز **(6)** شـــهور مـــن خـــروج المهاجرين ، ومكانيًا تونس ، وهي لا تتناول حركة الجهاد داخل ليبيا ، وإنما تدور محتوياتها حول ظروف وجود المهاجرين عام 1913 في تونس.

* **يلاحظ** على الأوراق الركاكة والضعف في الأسلوب، ومن بين الملاحظات التـــي تؤكد الوضع المتعمّد لنصّ هذه الأوراق من طرف آخر، هـــو اســـتخدام مفـــردات وعبارات ليست من مصطلحات فترة الجهاد، أو حتى الفترة التي عاشها بلقاسم كله حتى الخمسينيات مثل: - المغرب العربي الكبير - الأوساط الليبية - الشعب الليبي - التاريخ العربي المجيد - نحيطكم علمًا - الشرق الأوسط ، العالم العربي بأســـره قابس مدينة من مدن تونس الاستراتيجية دول الغرب - مدينة سوسة أحسن مدينة استراتيجية من مدن تونس الجميلة - الخ من العبارات التي لاتتلاءم مع أســـلوب ذلك الوقت، أما ما حوته من مغالطات فسيتمّ التعرّض لها في مواضعها مـــن هـــذا الكتاب.

ويوّضح د/ عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ المعاصر فـــي ســـياق إبـــراز دورالمنهجيّة في الكتابة التاريخية أن على الباحث ضرورة القيام بعملية نقد للوثيقة من خلال عدة عمليات مترابطة من بينها تفحّص الخط ، ومقارنته بالخط المعروف في تلك الفترة وتفحّص اللغة التي كتبت بها الوثيقة ، مشيرًا إلى أن الذين يزيّفـــون

لغة الوثائق يجهلون هذه النقطة ، فتبدر منهم ألفاظًا وتراكيب غير معاصـــرة ، ثـــم يخلص بالقول :-((والمذكرات السياسية التي تكتب بعد الوقائع بعدة سنوات تدخل في التاريخ أخطاء لا تعد ولا تحصى ، ولذا يجب النظر إليها بارتياب خاص))[1].

ونشك يقينًا في أنه لا وجود حقيقي لهذه الأوراق التي أســماها القشـــاط مذكرات ونسبها إلى بلقاسم على كله ، وشكّنا ينبع من مبرّرات منطقيّة مبنيّة على استنتاجات وتحليلات لمجمل ما اطلعنا عليه حول الموضوع ، فالقشـــاط اســـتغّل الرواية الشفهية ، والأحاديث التي كان يســـجّلها مـــع بلقاســـم كلـــه ، أو تلـــك التسجيلات المتوفرة بالمكتبة الصوتية بمركز جهاد الليبيين ، ووضعها على شكل مذكرات ، وأشار أنه عثر عليها من بين مقتنيات المرحوم بلقاسم كله ، ودليلنـــا يقوم على أن الأسلوب نفسه، والسياق المتبّع في صياغة هـــذه الأوراق ، أورده فارس العلاوي في كتابه [تاريخ مدينة تيجي وقبائل الصيعان وبلـــدانهم] عنـــد الحديث عن موقف الصيعان من قانون التجنيد الإجباري ، بما يؤكد أن المصـــدر واحد في كلتا الحالتين ، ففي حين أشار فارس العلاوي إلى أن مصـــدر روايتـــه المكتبة الصوتية بمركز دراسات جهاد الليبيين ، فإن القشاط استهوته فكرة تحويل هذه الروايات الشفهية إلى مذكرات مكتوبة ، معتقدًا أن التـــاريخ لا يســـجّل كـــل التفاصيل التي تتيح للحقيقة مجالاً للظهور ، ومتناسيًا أن ما بني على غير أساس متين مآله إلى التهافت .

1 – عاصم الدسوقي، **البحث في التاريخ: قضايا المنهج والإشكالات**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 78.

ثانياً: من حيث المضمون

(أ)- روايات وحكايات محمد سعيد القشاط عن قبيلته.

1- حكاية استشهاد جده دفاعًا عن الوطن ضد الفرنسيين

أشار القشاط في صفحة الإهداء فقال :- ((إلى روح جدي الذي استشهد دفاعًا عن الوطن ضد الفرنسيين إلى روح كل شهداء الوطن وشرفائه أهدي هذا الجهد المتواضع))[1].

لم يبيّن القشاط كيف استشهد جده دفاعًا عن الوطن ضد الفرنسيين ومتى؟ خاصة وأنه في تقديمه ترجمة عن والده يناقض نفسه فيقول :-((والدي المرحوم الشيخ سعيد بن صميدة القشاط من مواليد 1903 هاجر إلى تونس مع والده سنة 1913 ضمن هجرة قبائل المنطقة الغربية بعد معاهدة أوشي وعاد إلى أرض الوطن بعد صدور العفو العام من الوالي الإيطالي سنة 1929م.))[2].

فإذا كان جدّه هاجر سنة 1913 وبقي في تونس في ظلّ الحامية والمحميّة : فرنسا وتونس ، كما قال مشايخ وأهالي الصيعان في مضبطتهم التي قدّموها إلى الوزير الأكبر يوسف جعيط ، **فكيف تسنّى لجدّه الحصول على شرف الاستشهاد دفاعًا عن الوطن ضدهم بعد أن دخل في حمايتهم !!!! ؟ ومتى !! ؟ .**

وإذا كان قصده جدّه الآخر الذي قد يكون من جهة الأم فقد ذكره أيضًا في الصفحة (52) بأنه قتل في معركة شقة مزطورة ضد التوازين في معركة حول استياق غنم إلا إذا اعتبر أن سلب أو نهب غنم أو إبل تعتبر من معارك الجهاد.

2- مسألة الانتساب إلى الدوحة النبوية الشريفة

مسألة الانتساب إلى البيت النبويّ الشريف مسألة ينبغي أن تناقش بشكل علمي ومنطقي ، لأن هذه الإدعاءات كثر مروّجوها ، حيث أصبح الكلّ يتسابق لإثبات نسبه إلى الرسول عليه السلام .

ونشير إلى أن ظاهرة المرابطين والرباط شكّلت في المجتمعات المغاربية ومن بينها المجتمع الليبي دلالات ومفردات ومسميّات تختلف عن بقيّة الدول العربية والإسلامية الأخرى ، حيث يؤكد جميع الباحثين عند تناولهم لطبيعة المجتمع الليبي

---

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص5.

2 - المصدر السابق ، ص418.

وخصوصياته ، أن الخصوصيّة الدينيّة من أهم العناصر المرتبطة بالشخصيّة الليبيّة لذلك يلاحظ الباحث عند دراسته لفترات مختلفة من تاريخ هذا المجتمــع ، تمسّــك أفراده بتعلّم وحفظ القرآن الكريم وعلومه ، وانتشار الأضرحة ، والزوايا ، في كل أنحاء البلاد ، وكذلك الطرق الصوفية ، وهذا التأثير أنتج على المستوى الاجتماعي فئات اجتماعية ، حاولت الاستفادة من مزايا هذا المناخ بإسناد مرجعيّتها ، أو نسبها إلى سلالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

ويشير أحد الباحثين في إطار تعرّضه لتكوينات المجتمع الليبي إلى أن من سمات المجتمع الليبي، افراط قبائله وعائلاته في إرجاع نسبهم إلى الدوحة المحمدية الشريفة، موضحًا بأن الانتماء إلى الأشراف أو المرابطين، كــان مرغوبــا لعــدة أسباب، لعل أهمّها النبالة والتنبّل الاجتماعي التي اقترنت بــاحترام وتبجيــل بقيّــة شرائح المجتمع بما فيها الدولة ومؤسساتها، مما درّ على هذه الفئــات كثيــرًا مــن المكاسب والمنافــع لا سيما اقتصاديًا ، كإعفائهم من دفع الضــرائب واســتئثارهم باللقب الشريف الذي أسدل عليهم قدسية دون سواهم:– ((هذه الامتيازات جــذبت كثيرًا من المحرومين والبؤساء لقرع باب نادي النبالة في أهــل الكســاء ، وذلــك بالتصنّع بأنهم علويّو النسب بكل السبل بغض النظر عن شرعيّتها ، حتى يتسنى لهم التمتّع بالسمو والحظوة والأهم تجنّب حملات الدولة الجبائية في عصر اتّسم بضنك العيش وضيق ذات اليد))[1].

وعودة إلى كتابات محمد سعيد القشاط الذي يقــول عنــد تعريفــه بقبيلــة الصيعان ما يلي:– ((الصيعان: تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كــل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد أبو صاع دفــين جوف سبيبه قرب سبيطلة في القطر التونسي . وسيدي امحمد أبوصاع هو امحمــد بن سليمان بن عمران بن أحمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبد القادر بــن عبــد الرحيم بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بــن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليــه وسلم))[2].

وقد أشار في الهامش رقم (1) في الصفحة (23) عند توضــيحه لتسلســل النسب الذي أورده بالقول:– ((اعتمدت على تسلسل النسب من شجرة نسب سيدي

1 – فرج عبدالعزيز نجم ، **القبيلة والإسلام والدولة**، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2004.
2 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 22–23.

سلام أبو غراره الذي يؤكد أنه أخ سيدي امحمد أبوصاع ولو أن بعض الروايــات تقول أن والد أبوصاع يسمى عرفة))[1].

كما أرفق في الملاحق بكتابه وثيقة أعطى لها رقم **(1)** وقال أنهــا شــجرة نسب الولي الصالح سيدي امحمد أبوصاع قدّمها على النحو التالي :-((وثيقة رقــم **(1)** هذه المخطوطة هي شجرة نسب الولي الصالح سيدي امحمد أبوصـــاع عليــه رحمة الله حيث [ينحدر نسبه إلى]* إدريس بن إدريس وإلى الحســن بــن علــي وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم وقد استطاع الأدارسة أو بالأصح إدريس هــذا من إنشاء دولة في المغرب عرفت باسم الأدارسة وعدة إمارات أخرى في المغرب الأوسط وفي الأندلس ، كما ينتسب إليهم [أولاد امحمد]* الذين أسسوا دولــة فــي مرزق استمرت عدة عقود من الزمن وإمارة الأدارسة في عســير . وفــي آخــر المخطوطة هناك شهادة مجموعة من العلماء والقضاة كلّ في عصره سجّل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها . وهي منسوخة من الشجرة الأصلية " بفاس" والنسخة التــي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن [بتيجي] وهــي مــن الموروثات عن جده رحمه الله . والمخطوطة بتاريخ 1292هـ ولها تواريخ أخرى بعد هذا التاريخ ترمز إلى تاريخ نسخ المخطوطة آخرها سنة 1374 على يد سيدي محمد بن محمد العكرمي وتحمل شهادة بعض العلماء منهم محمد بن محمد القايدي الحرابي وآخرهم محمد الخطيب بن عبد الرحيم الجليدي الحامدي))[2].

وفيما يلي نبرز التغيّيرات الذي أحدثها المؤلف في الوثيقة المشــار إليهــا وللتحقظ على القبول بصحّتها فإننا نورد كلمة [الوثيقة] بين قوسين للدلالة .

1- **تتكوّن** [الوثيقة] من (5) صفحات مكتوبة بخط اليد القديم ((الخط المغربــي)) ويلاحظ أن قياس عرض الكتابة في كل الصفحات متقارب جدًا ، يتــراوح مــابين ((**10.5** سم و **10.6** سم)) إلاّ في الصفحة الثانية حيث اختلــف القيــاس بوجــود

---

1 - المصدر السابق ، ص 23.

2 - المصدر السابق ، ص425.

*- هناك العديد من الأخطاء الإملائية في أغلب اقتباسات القشاط نذكرها كما وردت مع محاولة تصحيح ما يمكن تصحيحه في الهامش.

*- الصحيح لغة هو القول " ينحدر نسبه من " أو " يرقى نسبه إلى " .

*- الصحيح " أولاد محمد".

قياسات متعدّدة ، منها أن عرض الكتابة في بداية الصفحة حتى منتصفها حوالي((**9.5** سم)) ، تقلّ بعدها إلى حوالي ((**8.5** سم)) ، وتعود مجددًا في آخر الصفحة لتتقارب مع بقية الصفحات ((10.5سم)) .

2- **الكتابة** في بعض الأسطر في [الوثيقة] غير واضحة بحيث تخفي بعض ملامح الكلمات والأحرف التي ربما تؤثر في اتجاه معنى [الوثيقة] .

3- **عند** قراءة الصفحة الثانية بتمعّن رغم صعوبتها ، بسبب عدم وضوح حروفها كانت المفاجأة أن القياس المختلف في كتابة [الوثيقة] في هذه الصفحة يتحدث عن نسب أبوصاع ، ويرجعه مباشرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعا ، فيقول النص:- ((.....هاذ ذرية الشيخ الكامل العاري سيدي محمد أبوصاع ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ....))[1]، وفي آخر الكلام يشير إلى أنها نسخت من الشجرة الأصلية التي كتبت منذ (**400**) سنة وأخرى منذ (**700**) سنة.

والذي نرجّحه بعد قراءة هذا الجزء من الصفحة الثانية أن هناك نصًا قد دُسّ وسط وثيقة أخرى ، كي يعطيه بعد القبول والصحة لدى القارئ ، ولكنه نسي وهو يحاول ذلك أن يحذف منه آخره الذي يشير إلى أنه نسخ من نسخة أخرى وليس بغريب عليه أن يفعل مثل هذه الأعمال ، فهو يقدّم دائمًا نصوصًا مطعونًا في صحتها كالمذكرات المنسوبة إلى المجاهد عون سوف المحمودي ، والتي أثبت الباحث مختار الهادي بن يونس أنها مزوّرة وكذلك المذكرات التي نسبها القشاط إلى بلقاسم علي كله ، على أنها مرويّة عن والده علي كله ، وهذه أيضا مشكوك في صحتها ، وفق ما أوردناه سابقًا عند الحديث عن المصادر المشكوك في صحتها.

4- **أشار** المؤلف في تقديمه [للوثيقة] بقوله:-((وفي آخر المخطوطة هناك شهادة مجموعة من العلماء والقضاة كلّ في عصره سجّل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها. وهي منسوخة من الشجرة الأصلية بفاس، والنسخة التي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن بتيجي وهي من الموروثات عن جده رحمه الله.

1 – المصدر السابق ، ص 427.

والمخطوطة بتاريخ 1292هـ ولها تواريخ أخرى بعد هذا التاريخ ترمز إلى تاريخ نسخ المخطوطة آخرها سنة 1374 على يد سيدي محمد بن محمد العكرمي وتحمل شهادة بعض العلماء منهم محمد بن محمد القايدي الحرابي وآخرهم محمد الخطيب بن عبد الرحيم الجليدي الحامدي))[1].

إلى هنا انتهى تقديم المؤلف وما يلاحظ عليه هو :-

أ- **[الوثيقة]** التي قدّمها لا تتضمّن تسلسل نسب الولي أبو صاع أبًا عن جدّ حتى ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وفاطمة الزهراء ، بل المستغرب أن هذه [الوثيقة] ترجع نسب الوليّ أبو صاع مباشرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، فهو ابن سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وما يمكن ملاحظته هنا أنه حين أرجع نسب الوليّ أبوصاع بتسلسل في الصفحة **(23)** من كتابه، فإنه قال [اعتمدت في إرجاع النسب إلى شجرة نسب سيدي سلام أبوغرارة]، أي من شجرة نسب أخرى ، وهذا يثبت أن [الوثيقة] التي قدّمها مدسوسة وضعت عمدًا، ولا علاقة لها بالموضوع ، وأن النصّ الذي رجّحنا بأنه مقتطع من وثيقة أخرى، قد تم وضعه ودسّه في هذه ((الوثيقة)) التي قد تكون صحيحة وتتعلق بنسب الأدارسة، ولكنها لا تتعلّق بنسب الوليّ أبو صاع ويبدو التناقض واضحًا وجليًا بين تسلسل النسب الذي أورده القشاط مع تسلسل نسب الأدارسة ، حيث أنه من المعروف أن جميع الأدارسة يتفرعون من ((**12** ابن هم أبناء ادريس الأصغر ابن ادريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه))[2].

أما القشاط حين أرجع نسب أبوصاع إلى عبدالله أحد أبناء ادريس الأصغر الاثني عشر، فإنه أورد تسلسل نسب ادريس الأصغر الذي يفترض أن يكون مطابقًا لكل من ينتسب إلى الأدارسة، فقال ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبدالله بن محمد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه، ووجه الاختلاف هنا في اختلاف اسمي ((محمد ، الحسن المثنى)).

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، 425.

2 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 136.

ب – **حين** أشار إلى أن هناك مجموعة من العلماء والقضاة كلّ في عصره سجّل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها ، فإن المنطقي عند قراءة هذا النصّ أن [الوثيقة] قديمة تسبق وجود هؤلاء العلماء والقضاة ، بحيث تيّسر لهم الاطلاع عليها في أوقات مختلفة حسب زمان كل واحد منهم ، ولكن الغريب أن ثنايا هذه [الوثيقة] تتحدّث عن أمور قريبة الوقوع زمنيًا ، فقال بالنصّ في تقديمه [للوثيقة] ما يلي :– ((....والنسخة التي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن بتيجي وهي من الموروثات عن جده رحمه الله...))[1].

هكذا قال القشاط بالنصّ دون تحريف أو تعديل لقوله المدوّن في كتابه وبما يعني أن هذه [الوثيقة] هي بيد الحاج عثمان بن نصر السلامي وقد ورثها عن جده وبالتالي فهو من المعاصرين ، وربما ما يزال على قيد الحياة ، أو أنه توفى منذ فترة ليست بعيدة وهو من المقيمين بمنطقة تيجي .

ولكن التساؤل هو: إذا كانت هذه [الوثيقة] قديمة وتؤرّخ لنسب الولي أبو صاع منذ (**400**) سنة أو (**700**) سنة على رواية أخرى ، فكيف يمكن أن تضمّ في سطورها اسم الحاج عثمان بن نصر السلامي الذي يمتلكها الآن وهي بحوزته وهو ابن هذا العصر والأوان !!! ؟ .

واسم الحاج عثمان بن نصر موجود على النحو التالي في الصفحة رقم (**2**) من الوثيقة ، وفي النص الذي أشرنا أنه تعمّد وضعه وسط تلك [الوثيقة] حين ورد كما يلي :– ((...من ذريتهم في الجوش نقلة الكلام بيد عثمان بن نصر السلامي الشريف الحسني الإدريسي ...وكان النسب بيد سيدي محمد بن محمد العكرمي الإدريسي الحسيني من نسل سيدي الشيخ الكامل العالم عبد القادر بن صالح وتوى بيد سيدي الحاج عثمان بن الحاج نصر وريح جدهم سيدي امحمد أبوصاع عقب سيدي زيد وعقب سيدي مهل وعقب سيدي ناجي المهير وعقب سيدي محمد بودخان وعقب سيدي ... وعقب سلام وسلام عقب ذريته أولاد سلام ومحمد عقب ذريته أولاد محمد والهميل عقب ذريته الهمايل هاذ ذرية الشيخ الكامل العاري سيدي محمد بوصاع ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهاذي نسخة نقلت من نسخة الشجرة

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 42.

العزيزة في جميع البلاد خيف عليها نقلتها حرفا بحرف ..كما هي مرسومة بجلد الفيل وبأحرف الذهب وشهد بتحقيقها ...فمنهم من الشيخ العالم سيدي علي رجاكم الفاسي ... وهي مؤرخة بأربعة ماية سنة . وأما النسخة المنسوخة منها مؤرخ بسبعة ماية سنة ... بيد سيدي الحاج عثمان بن نصر الشريف نسب جدهم من غير مفقود والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذه الشجرة الشريفة...))[1].

3- **الصاق المؤلف بقبيلته بعض الصفات السيئة.**

سبقت الإشارة أن محمد سعيد القشاط وهو يهاجم كل القبائل الليبية خاصة تلك التي يقف منها موقفًا شخصيًا نتيجة لملاسنة أو خصام مع فرد من أفرادها ، أو تلك التي في سالف الأيام ربّما شعر منها بإهانة في جواب على طلب منه ، فاعتبر ذلك إهانة شخصيّة لقدره ، وجب أن يثأر له ولو بعد حين .

كما أن المؤلف وهو في حمّى التهجّم والتطاول على كل القبائل لم يستثن حتى قبيلته التي أنجبته وآوته ، فأورد عنها حكايات وروايات لأحداث ظنّ أنه حين يذكرها يذكر شيئًا حسنًا ، وأنه يعدّد خصالاً محمودة ، لكنه كان يقدح فيها ذمًا ، فقد وصف أهلها بالجبن والخوف ، والغدر والخيانة ، والسرقة ، والجهالة بإتيان المنكرات ، وعدم التفريق بين الحلال والحرام ، بل أنه نسبها إلى غير قومها ومحيطها ، فأكد بوثائقه التي قدّمها واستند عليها أنها ليست من القبائل الليبية .

وفي الحقيقة نحن لا نتجرأ أن نقول أو ندّعي على أهلنا قبيلة الصيعان قولاً دون سند ، أو حجّة فيردّ علينا فيه ، أو يعاب علينا أننا نتقوّل قولاً أو نشتم قومًا ، وحاشا أن نفعل ذلك ، لكننا ننقل ما يقوله ، ونضعه أمام القياس والمنطق والمعنى ونفسّره وفق الكلمات والعبارات التي أوردها المؤلف نفسه ، فإن كان هذا الفعل حسنًا فتلك شيمة وصفات قوم عرفناهم ، **هم أهلنا** قبيلة الصيعان ، وإن كان هذا الفعل سيئًا فهو قوله هو الذي يسعى ليظهر نقائص في قومه ، ولا نتعدّى ما يقول .

وسنناقش كل صفة أطلقها على قومه على حده ، ونفسّرها وفق عباراته ومدى توافقها مع المنطق والدين والعرف وما جرى عليه سلوك الناس .

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 427.

أ- الغدر والخيانة.

يورد القشاط عند حديثه عن المبروك الغدي رواية تقول أن :- ((جد المبروك الغدي كان له عبد يذهب للصيد فقال له يوما لقد قبضت على أرنب وأعطيته لجماعة مروا بي فقال الشيخ كلمة ذهبت مثلا:- اكمش أرنبك لا يريح غزالك . وفي اليوم التالي رجع العبد بدون صيد إذ افتك أولئك الرجال الغزال الذي قبض عليه ، وقالوا له :- إن غزالك في الأبرق .

فأرتحل الشيخ بأولاده غاضبا حتى نزل بمنطقة سهل الجفارة في مكان يسمى حقفة الشهب ، وقد كان الشيخ بأولاده الكبار يركبون خيولا شهبا فأطلق الناس عليهم اسم الشهب ، وعند الظهيرة سأل الشيخ ابنته عن الإبل التي ترعى قريبا من الخيام فقالت البنت :

راضت بلا نهر لا قدع بنات الجمال الروامس

طرالها كما ساحة الشرع فيها امظلل وشامس

فتشاءم الشيخ من رد ابنته وقد كان القوم الذين تركهم خلفه يتبعون أثره في مجموعة من الفرسان لاقتناص فرصة لاستياق إبله . فقال الشيخ لابنته :- خذيتيها وعند المساء لحق به القوم من الشرق واستاقوا الإبل وقتلوا الأولاد وجرح الشيخ وفي رمقه الأخير سألته النسوة :-

لمن تركتنا ياجدي؟ أجابهم :- إن الذي يحملكم من هذه الأرض هو أبوكم .

وصادف أن جدي السابع المسمى عبد الحميد القشاط يبحث عن إبل له ضالة فوجد الخيام ووجد النسوة والأطفال ، وأخبروه قصتهم ، فوارى القتلى وذهب إلى خيامه وأحضر إبلا وحملهم معه إلى منازله وحماهم ، وكان من بين الأطفال ذكران هما عبد القادر وعطية . وكان عبد القادر هو الأكبر .

سمع عم الأولاد المسمى دبدوب بالخبر وجاء ليحمل بقية العائلات إلى خيامه ، رفض جدي ذلك واشتكى دبدوب إلى متصرفية الجبل الغربي في يفرن وحاول عبدالحميد القشاط أن يضع سمة الإبل لهؤلاء الأولاد كسمة إبله (أولاد شراده) وأقسم أن يفعل ذلك وكان الغزي قد بقيت منه عدة مواشي كانت ضالة .

وأقسم دبدوب أنه لا يمكنه ذلك ولابد من وضع سمة قبيلة أولاد امحمد. وأخيرًا اجتمع الصيعان ووضعوا سمة أولاد شرادة وسمة أولاد امحمد على الإبل ووضعوا علامة مميّزة تحت التفنة للبعير ... ولما طال على عبد الحميد الذهاب

والرجوع إلى يفرن طلب من عبد القادر أن يقتل عمه . وفعلا تم ذلك ، وانتهت المخاصمة وبقي الشهب في قبيلة أولاد شراده))[1].

*- **هذه** هي الرواية التي وضعها المؤلف على هذا النسق ، وأراد أن ينشرها بين الناس لتختزنها ذاكرتهم وتتوارثها أجيالهم ، لعلها تصبح ذات يوم من التراث الشعبي للمجتمع الليبي .

ولكن ونحن نوضّح كيف أنه وصف أهله بالغدر والخيانة ، نريد أن نشير أنه حين وضع أسس روايته جعل الجاني أهالي (ورفله) ، الذين لم يراعوا جوار الرجل فطردوه ، وطاردوه لأخذ إبله ، ولكم أن تتصوّروا كوكبة من الفرسان تطارد الشيخ من أراضي ورفلله حتى سهل الجفارة موطن قومه ، وهي مسافة ليست بالقصيرة ، تختفي هذه الكوكبة من الفرسان نهارًا ، وتسير ليلاً ، كي لا يشعر بها لعلّها تقتنص منه فرصة ، فتورده وأهله مورد المهالك !!!.

أما المجني عليه فهو شيخ طيب مسالم من الصيعان ، وأما المنقذ فهو جدّ المؤلف السابع ، وهو أيضا من الصيعان ، ولكنه لم يوضح لنا كيف توافق وصول جده المنقذ ، هل لحظة انتهاء المعركة "هجوم فرسان ورفلله ، وقتلهم لأولاد الشيخ وجرحهم له " أم بعد ذلك؟.

يأتي المنقذ ليواري جثث القتلى ، وينقذ وصيّة الشيخ ولو خاض في سبيل ذلك بحرًا من الدماء ، فقد أصرّ أن يضمّ إليه عائلة الشيخ المقتول ، وأن يخاصم أهلهم وذويهم ، فما الدافع لهذا الإصرار [وإن كان يفهم حسب سياق الرواية أنها تتعلق بضم إبل أبناء الشيخ إلى إبله] حتى يرتكب في سبيل ذلك جريمة نكراء حين حرّض الإبن [ولعله كان قاصرًا] على أن يقتل عمّه كي يبقى معه!!!؟.

أليس هذا غدرًا ، وخيانة ، وقتلاً للنفس ، وبتًا للفرقة بين أفراد العائلة الواحدة فهل يأمرنا ديننا وأخلاقنا أن نقتل الناس دون وجه حق ؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى في محكم آياته:- ((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا))[2].

فهل ما فعله الجد السابع لمحمد سعيد القشاط يعتبر من الأعمال التي يفتخر ويتباهى بها هذا الحفيد أمام جموع الليبيين ... !!! ؟ .

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 20-21-22.

2 – سورة المائدة ، الآية 32.

ب- الأنانية وحب الذات.

يقدم القشاط رواية عن أصل قبيلة الصيعان فيقول :-((تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد أبوصاع دفين " جوف سبيبه" قرب سبيطلة في القطر التونسي . وسيدي امحمد أبوصاع هو امحمد بن سليمان بن عمران بن أحمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبدالله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي بنت أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نزل سيدي امحمد أبوصاع ضيفا على قبيلة " أولاد عوين وكان بين أفراد القبيلة خصام بسبب امرأة " فاتفقوا أن يوسطوا هذا الشريف لحل المشكل وأن يسأل المرأة عن رأيها . رجع الشيخ من عند المرأة غاضبا ، مصفرّ الوجه ولم يتكلم ، فذهب أخوتها إليها يسألونها عسى أن تكون قد أساءت الأدب مع ذلك الشريف . **قالت** لهم : لقد خيّرني بين المتخاصمين فاخترته هو للزواج منه . فرح عقلاء قبيلة أولاد عوين بهذا الاختيار لأنه حل لهم المشكل وزوجوا الشيخ من ابنتهم التي انجبت له ابنه محمد الكوني وبهذا يكون أولاد عوين أخوال الصيعان))[1].

******

هذه حكايته وروايته حول أصل الصيعان ، وتبدو سذاجة الرواية من أن أفراد قبيلة أولاد عوين كانوا يتخاصمون فيما بينهم على امرأة ، وأي امرأة تلك التي كادت أن تهلك القبيلة !!! دون أن يتجرأ أحد منهم على سؤالها ، ومعرفة رأيها فيمن تختاره زوجًا لها ، حتى يأتي ذلك الشيخ الغريب ليتوسّط لهم ، ويذهب ليسألها رأيها ، وطبعًا في هذا الجزء تبدو سذاجة الرواية في تناقضها مع طبيعة المجتمع العربي الليبي الذي يرتكز على سلطة الرجل ، فالرواية تقدّم هنا مجتمعًا يستند على السلطة الأنثوية ، وهو يتشابه في ذلك مع بعض المجتمعات الإفريقية البدائية التي تقوم على تقديس مكانة المرأة وعلو سلطتها ، الأمرالذي أرهب قبيلة بكاملها لم تستطع أن تتجرأ لتسأل هذه المرأة رأيها فيمن تختار.

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 22.

ويصادف وقوع هذه المشكلة مرور ذلك الشيخ الغريب الشريف الذي بدلاً من أن يتوسّط بين المتخاصمين ، فإنه يستأثر بالمرأة دونهم ، وإذا كانت هي قد عرضت نفسها عليه ، فالتساؤل هنا أي قيمة أخلاقية تمتلكها هذه المرأة التي كادت أن تهلك قومها في سبيل الحصول عليها ، ثم إذ بها تلقي نفسها أمام أول غريب يسألها ..!!! ، أما إذا كان الشيخ هو من عرض نفسه عليها فأي شرف وعلّو لمن يخون ما استؤمن عليه؟.

أما المؤلف فيردّ فرح العقلاء من قومها إلى السذاجة والجهالة فقد ظنّوا أنهم اصطادوا صيدًا ثمينًا ، ولم لا ! فالنسيب شريف يدّعي نسبه إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام !!!!.

فأي قيمة أخلاقية ، وصفة حميدة أراد القشاط أن يصف بها أصل نسب قومه.

ج- أعمال السرقة والنهب.

يقول المؤلف عند التعريف بالشيخ المبروك الغدي:- ((...وتحسب له قبائل الحدود الحساب عندما كان يغير على مواشيهم ويستاقها منهم . ولم يحصل أنه أغار على إبل وأرجعت منه يوم أن كانت الإغارة على المواشي من فروسية العصر وبطولاته ... قبيلة المبروك الغدي " الشهب" أصلها من قبيلة أولاد امحمد العظائمة أولاد عمر وقد كان جدهم يغيرعلى إبل الغير- وهو موضوع تستهجنه قبائل الصيعان – لأنهم أشراف. والأشراف لا يأكلون مال الغير، فخاصموه ورحل مغاضبا لهم إلى مناطق ورفلله، حيث بقي هناك زهاء عشر سنوات.))[1].

ويقول أيضًا:- ((...كانت قبائل النوائل تبادل ورغمة الغارات وتستاق حيواناتها وترد المعاملة بالمثل ، بعكس الصيعان الذين يرون أن استياق الإبل من المحرمات فلا يقومون بذلك بل يردون الغارات كمدافعين...))[2].

كما يورد عند تعريفه بـ (علي الغرياني) وهو أحد رواته ، فيقول :- ((...وفي حوالي عام 1946 حاول التسلل عبر الأراضي التونسية مع شخص آخر يدعى حفيّظ امحمد الجدي لجلب التموين لأسرته وتهريبه عبر الحدود فاصطدموا

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص20.
2 – المصدر السابق ، ص 56

بدورية من سباييس الفرنسيين وتبادلوا معهم إطلاق النار وجرح علي الغرياني في هذه المعركة وقبض عليه مع رفيقه وأودعا السجن لعدة سنوات ...))[1].

يفتخر القشاط هنا بما يراه عملاً من أعمال البطولة والفروسية ، حين يصف إغارة أحد بطلي كتابه [المبروك الغدي] على إبل الغير واستياقها ، بأنها من فروسية العصر وبطولاته ، وقد نسي وهو يفتخر بمثل هذه الأعمال التي كانت حقيقة واقعة في دنيا العرب في جاهليتهم قبل أن يرحمهم الله ، ويختصّهم برسالته السماوية التي جاءت لتعزّز مكارم الأخلاق لديهم ، مثل الشجاعة والمروؤة والكرم وحفظ الجوار ونصرة المظلوم ، ولتقضي على عاداتهم السيئة ، وأفعالهم الرديئة مثل الاعتداء والقتل ، والنهب والسلب ، ومنكر الأفعال ، وقد صدق جعفر بن أبي طالب حين قال في حضرة النجاشي ملك الحبشة:- ((أيّها الملك ، كنّا قومًا أهل جاهليّة نعبد الأصنام ، ونأكل الميْتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القويّ منّا الضعيف ، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ...))[2].

بل أن الإسلام وهو يبطل هذه العادات والأفعال ، ويحرّمها ويعتبرها من أعمال النهب والسرقة ، وضع لها عقوبات وحدود أنزلت من السماء ، فأعتبرها من أعمال الحرابة ، ومن يفعل ذلك تقطع يديْه ورجليْه بخلاف وينفى في الأرض ، قال تعالى:- ((**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**))[3].

فهل من أحد عاقل يرى في ما يستوجب إقامة حدّ الله فيه مفخرة يفاخر بها الآخرين !!!!! ؟.

---

1 – المصدر السابق ، ص 345

2 – عبدالحميد جودة السحار ، **محمد رسول الله والذين معه: عام الحزن**، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ص194.

3 – سورة المائدة ، الآية 33.

كما أنه من المعروف أن التهريب عبر الحدود يعد من الجرائم التي تعاقب عليها كل القوانين الوطنية والدولية ، وتعرّض مرتكبها إلى أقصى العقوبات ، ولكن القشاط أوردها مفتخرًا بها ، إضافة إلى أن هذه الحكاية فيها تعريض بسمعة شخص وعائلته بعد أن طواها الزمن .

د-الجهالة واتيان المنكر من الأعمال.

لم ينسَ محمد سعيد القشاط حين اخذته الحميّة ، حميّة الجاهلية الأولى وهو يعدّد مناقب قومه من أن يذكر بلاده ، وهواءها ، وتربتها ، وحجارتها ، ومشاهد رجالها ويضفي عليها قدسيّة ، حتى جعلته يصوّر أفعال قومه وهم يدورون ، ويتوسّلون بالحجارة لعلّها تقرّبهم إلى الله زلفى ، على أنها من الأفعال التي يحسن ذكرها والتفاخر بها .

يقول القشاط :-((كما بدأ الصيعان أخيرا في الاستقرار وبدأوا ينشئون مزارع من تيجي إلى الأراضي التونسية ، وكذلك من تيجي إلى بدر وحول قرية بدر ، وينتشرون من الحدود التونسية إلى عمق حوالي مائة كيلومتر شرقا ، ولهم مجموعات من الآبار المسماة باسم حافريها مثل ..... كما لهم أراض يسمونها بأسماء الأشخاص الذين يتولون حراثتها أو يقطنون بها مدة طويلة ... كما يسمون مناطق بأسماء أشخاص الذين قتلوا أو توفوا بها مثل .... والمشهد هو كومة من الأحجار يضعها البدو في المكان الذي قتل فيه الرجل المهم أو توفى فيه ...**وكان الناس إلى وقت قريب عندما يمرون بمشهد من المشاهد يقرؤون عليه الفاتحة ويدورون برواحلهم عليه سبعة أشواط إن كان مشهورا**))[1].

****

هذا ما كتبه وثبّته محمد سعيد القشاط في كتابه ، وهو يتناول ما أورده من أحداث تتعلّق بقومه ، فالمؤلف يعرّض بقومه ، وهم كما يقول من نسل الرسول عليه السلام أنهم يمارسون وثنية ، كوثنية الجاهلية حين يتمسّحون بالحجارة ويدورون عليها سبعة أشواط ، كأنهم يطوفون بالكعبة الشريفة ، وكأن لسان حالهم يقول متمثلاً إنما نعمل ذلك لتقربنا إلى الله زلفى.

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 25-26.

فهذا الضريح الذي يراه القشاط مقدسًا ، ما هو إلا مجرّد تــراب ، وطــين ورمل وأخشاب ، وتحته رفات ميّت ، وهذه المواد كثيرًا ما يدوسها الناس بأقدامهم ومع ذلك تصبح مقدّسة يخشع البعض أمامها ويطوف حولها . والسبب كما يقال أنها تقوم فوق رفات رجل صالح ، أو هكذا يدعى . إذن فأين هو العقل والإيمان الــذي يدفع البعض بالوقوف خاشعًا وعابدًا ومتضرعًا أمام ذلك الضريح الذي يراه مقدسًا ألم يحرّم الله هذه الأفعال لأنها من عمل الشيطان ؟ ، وتؤدي إلى الانسياق وإتبــاع الشيطان ، فالأنصاب هي القبور المنصوبة للتقديس أي الأضــرحة .. والله تعــالى يحذر المؤمنين من عبادتها ويأمر باجتنابها ، فقال تعالى :-((**يأيها الــذين أمنــوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكــم تفلحون**))[1].

وقوله تعالى:- ((**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب لــه إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**))[2].

وقد صدق الشاعر وهو يصوّر حالة الجهالة والاعتقاد الخاطئ في مثل هذه الحالات حين يقول منتقدًا هذه الأفعال:-

في المرابط يمسى ويبات	ليا كان صغيره اجدم
يطلب ينده في رشادات	بجاهك ياسيدي العالم
وناسي اللي في سبع سماوات	اللي في يده تفريج الغم
اللي مــا خلّى رسميــات	ولا داير في الوسط صنم[3]

ومع ذلك فإن محمد سعيد القشاط لا يتورّع عن التباهي والتفــاخر علــى جميع الليبيّين بالقيام بمثل هذه الأعمال ، وينسبها بفخر لقومه ، وهي من أعمــال الشيطان التي نهانا الله عن اتباعها ..!!!.

*- **كما** يروي قصة الثورة التي أطاحت بحكم عائلة بني تليس في ورفللــه فيقــول عن صيعان ورفلله :- ((ينتمون إلى قبيلة امحمد صيعان بدر وقد رحــل جــدهم النجار ... وقد ساهم النجار بعد وصوله إلى المنطقة في إسقاط حكم بني تليس فــي

---

1 - سورة المائدة ، الآية 90.

2 - سورة الأحقاف ، الآية 4.

3 - أبيات مختارة من قصيدة للشاعر يونس الصادق البصير يعارض فيها قصيدة " أرسم ولدي ناقة وجمل ..."

بني وليد .... وتحكي الرواية أن شخصا من بني وليد كان عاجزا لا يستطيع العمل وليس له أولاد ذكور فطلب من الحاكم أن يعفيه من العمل فأجابه الحاكم أن لا مانع لديه شريطة أن يحضر ابنته للعمل مكانه .

وجاءت الطفلة الشابة تشتغل مع العاملين في نقل الحجارة ، وكانت إذا رأت أحدا من أفراد جماعة بن تليس تغطي وجهها لتحتجب منه ، أما إذا كان معها الآخرون من العاملين فإنها لاتحتجب فسألها أحد الشباب من رجال ورفلله العاملين معها :- لماذا لا تحتجبين منا نحن في الوقت الذي تحتجبين من أولاد تليس ؟ أجابته غاضبة ومختصرة :-إنني احتجب من الرجال ، وأنتم مثلي نساء ، فالرجال هم الذين يفرضون علينا العمل أنا وأنتم .

جواب مؤلم ومفعم بالاحتقار والإزدراء ، أغضب الرجل ، وأيقظت قولتها في نفسه شيئا أضمره وفي اليوم الثاني اجتمع ثلاثة رجال :-

1- النجار جد الصيعان ببني وليد وهو الضيف القادم للمنطقة.

2-القجدار جد الصرارة أو السبايع.

3- خمخم جد السلاطات المناسلة.

واتفقوا على الثورة ضد أولاد تليس ، ومهاجمتهم يوم الجمعة في المسجد **وكانت بجانبهم جيفة حمار ميت ، اتفقوا على أن الذي يصمم على الثورة ينهش من جيفة الحمار تأكيدا على التصميم . وفعلوا ذلك** وهاجموا أولاد بن تليس وأبادوهم وخربوا مدينتهم التي لا تزال بقاياها حتى الآن ، وفر من بقي من أولاد بن تليس والتحق بقبيلة ورشفانة حيث حمتهم وكونوا بها قبيلة لا تزال حتى الآن بورشفانة))[1].

في هذه الحكاية لم يتورّع محمد سعيد القشاط عن الإساءة المتعمّدة لقبيلة معروفة ذات بأس وشجاعة ونخوة ، وهي قبيلة ورفلله ، حين وصف رجالها بالخنوع والخضوع لسيطرة وجبروت ابن تليس ، حتى اضطرت الحرائر ذوات الخذور للعمل مع الرجال ، وليبلغ به درجة الاستهزاء بالقبيلة ورجالها ، أن يشير إلى أن من رفع الظلم والحيْف عنهم وأسقط حكم بني تليس ثلاثة رجال أحدهم ضيف قادم من الصيعان !!!!.

---

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 29.

فالمعروف أن تعريف الثورة في علم السياسة أنها ظاهرة نبيلـة تسـتهدف تغيير واقع المجتمع إلى الأفضل ، وتبعًا لهذا فإن وسائلها ومنطلقاتها وأدواتها مـن المنطقي أن تكون نبيلة وطاهرة ، لكن المؤلف هنا يرسم صـورة سـلبية لوسـائل ومنطلقات الثورة حين يجعل من كلمة السرّ فيها أكل جيفة حمار ميّت، ومتى؟ يوم الجمعة !!! **فهل كان على هؤلاء الثوار الثلاثة أن ينهشوا جيفة حمار لكي تتولّد فيهم شراسة الضباع فيفنوا ويبيدوا حكم بني تليس؟** فهل هذا كلام يقولـه مـن يسعى إلى أن يوصف بالمؤرّخ أو الكاتب!!؟.

*- **ويقول** أيضًا:- ((أما مجموعات الغرب التـي وصـلت إلـى فـزان صيعان ، جعافرة ، زاوية ، وغيرهم فإنهم قرروا الهجرة إلى تونس ... سنة كاملة منذ انطلاقتهم في اليوم الأول من إدري ومنطقة الشاطئ إلى أن وصـلوا الحـدود النساء والأطفال حفاة ملابسهم رثة ، يتساقطون عبر الطريق الحافي المؤلم الطويل من المرض والعطش والجوع ، **شربوا كل شيء سائل وجدوه تحت أيديهم وفـي متناولهم الدم ، الفرث ، الأبوال ، في محاولة للوصول إلى شاطئ النجاة**))[1].

أما في رحلة العذاب والتيْه هذه، فمن هم القوم الذين يصوّرهم المؤلف على هذه الحال البدائية المتوحّشة: يشربون الدمّ، والبول، والفرث، وأية طهارة وكرامـة تحلّ بهم ، فهذه صور لأناس متوحشين، لا يقيمون بالاً أو وزنًا لقيم أو أخلاق فـي أسوأ صورة بدائية للإنسان، حتى يرى القشاط في عمل كهذا مصدر فخر يتباهى به أمام الآخرين ، إذ لم يسبق لأحد من المؤرخين على اختلاف أجناسهم أو ممّن كتب عن معاناة الليبيين المرّة والقاسية خلال مرحلة الجهاد أن استخدم مثل هذا الوصف الموغل في السوقيّة والابتذال اللفظي.

أما قول القشاط:- ((...وكان الصيعان لا يزوّجون بناتهم لغيـر الصـيعان **ترفعا** بهن عن الآخرين))[2].

هذه مسألة اجتماعية صرفة ما كان على الشاعر محمد سـعيد القشـاط أن يتباهى بها في المجتمع الليبي تحديدًا ، خاصة وأن الـدين الحنيـف يـدعونا إلـى التقارب ، والتصاهر ، والتزاوج بهدف خلق الألفة والمحبّة بين الناس ، فقال تعالى

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص268–269.
2 – المصدر السابق ، ص 27.

((يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائـــل لتعـــارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم))[1].

ولكنه أيضًا نبّه المسلمين ودعاهم إلى ضرورة حسن الاختيار ، فعنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :- **((تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس)).**

إن ما أورده محمد سعيد القشاط من حكايات ليس بمستغرب منـــه ، فقــد وجدنا ونحن نقلّب صفحات من دواوينه أنه سبق له هجاء قومه ، وقوم آخرين أقام بينهم ، وله في هذا المقام قصائد أظهرت أنه لا يتورّع عن هجاء أحـــد حتـــى وإن كانت عشيرته أو قبيلته أو أهله إذا اختلف معهم أو شعر بتقصير تجاهه من أحد من أفرادها ، أو أنه لم يطق المقام في مكان ما فيهجوه ويذمه مكانًـــا وناسًـــا ، وهـــذه القصائد منشورة في دواوينه القديمة والحديثة ، وهذا يوضّح أن ما يقوم بـــه مـــن تهجّم على رجال التاريخ خلال مرحلة الجهاد ضد ضد الإيطـــاليين ، لـــيس بـــأمر مستحدث يتفاجأ به الناس، وإنما هو نتاج طبيعته التي جبلت علـــى الـــتهجّم علـــى الآخرين دون مراعاة لأية قدسيّة أو حرمة، أو وازع أخلاقي يمكن أن يشكّل رادعًا لذلك، ونورد فيما يلي أمثلة لأبيات شعرية من هذه القصائد:-

***- القصيدة الأولى ((جفي وطنا))**

قدّم محمد سعيد القشاط القصيدة بالقول :- ((اغتاظ الشاعر من بلدته لأمر وسافر إلى المدينة ولما أطال بالغيبة بعث إليه أحد زملائه يطلب شعراً فكان هـــذه القصيدة :

جفي وطنّا نجفوه جفو الجافي	**وكيف ما جفي يأخذ جفانا وافي**
نجفوه كيف جفانـــا	**وطن الصغى والمرمده والهانا**
جافي جفانا موكره شقانـــا	**وجيت منه من مر الحناظل كافي**
دار الجـــفي نجفـــوها	**حلال نبعدوا وحرام كان انجوها**
وكيف ما نستنا دارنا ننسوها	**ونصبر ونغصب وحشتي واريافي**
يجف دمعهم لنظار ويهونوها	**كيف هنت هاذاكه الحبيب الصافي**
نجفاه للشماته	**للـــي جفـــانا عنـــدهم ما تاته**
وطـــن المـــرار جفـــيتـــه	**ولا جيهته عندي بدت تلفيته**
ولا الموح جابدني بدي ناحيته	**و والله ما دون الحبايب خافي**

1 - سورة الحجرات، الآية 13.

ستنسيت والغالي العزيز انسيته　　　كيف ما غبي داره هبوب السافي

نجفاه　ما　نتفاجـه　　　وطـن لمعلق واسعات انهاجه

وماليه نجفي الجفو للهراجه　　　على الهدرزة كيف لقدور مكافي))[1]

***- القصيدة الثانية ((مكاتيب ربي))**

صادف أن جرى تعيينه في بداية حياته في إحدى قـرى الجنـوب الليبـي ولكن لسبب لم يستطع أن يتأقلم مع البيئة ، فنظم قصيدة ضمنها شعوره ومشاعره تجاه هذه البيئة وناسها التي لم يألفها .

وقال عند تقديمه للقصيدة :- ((ذهب الشاعر إلى فزان فوجد أسماء قرى لم يألفها من قبل فرتب هذه القصيدة :

مكاتيب ربي العين يا ما تاره　　　زيغن و سمنو والجديد وقاره

مكاتيب　بينشوفوها　　　محلات لازم نتعبوا وانجوها

رقاقات كيف الحبر بنخشوها　　　فيها القبالي دايره غباره

اخطا اللي كتبها خالقك نمشوها　　　بغت ناجسه والا بغت طهاره

من قال يصبح مسكني في (القرضه)　　　بالطوب مبني حوش شين اديارة

ويا موسعه ملك الاله في آرضه　　　وكل ذيب عل لونه وطاته داره

من　قال　نهدف　تاوي　　　افيومن يصبح مسكني سبهاوي

متلقطه من تارقي وتباوي　　　من اتشاد جوها اتجهز السيارة

وكل شكل فيها يلتغي بلغاوي　　　لا هم عرب لا هو حديث نصاره))[2]

***- القصيدة الثالثة :- (تقصير)**

قال القشاط في تقديمه للقصيدة :-((لم يقم بعض الأقربـاء بزيـارة ابـن الشاعر في المستشفى فلامهم على ذلك

اعمامك اللي نحتار كان احتاروا　　　لا نشّدوا عل حالتك لازاروا

اعمامك اليـــوم تـــوازوا　　　فريقين رزناهم اليوم ارتازوا

فريق للثوابت وين ما نعتـــازوا　　　ذهب صرف مايرجع نظيف اعيارُ

---

1 – محمد سعيد القشاط ، ديوان ريم على الغدير .

2 – محمد سعيد القشاط ، ديوان بين نجوع البادية ، ص 147.

وثمه فريق آخر رفيق امعازوا ... مشغول سعيه كاثرات انفاروا
بين الظواهر والجفير ايزازوا ... لا يعرفوا للصايبات احكاروا
واخرين بازوا وبوزوا وابوازوا ... عقاب مندرة كرفة شعير جفاروا
حازوا براد اقلوبهم وانحازوا ... لا يكرفوا لا يسمعوا لا ياروا
ما ابهـا الشدايـد ساعـه ... اتحز الوكايد من خبيث اطباعه
وموحال تثمر صحبة الطماعه ... واحيوط بنيان الخـوا ينهاروا
ولا يوكدوا عند الشرق تبّـاعه ... اللي خشـومهم والمكنسه يتباروا
أخ تف– حشاكم – على القنباعه ... اللي في الوجوه وجوههم يصفاروا
افعرض لعباد الغايبه رتاعه ... وكان قابلوك اعيونهم يحداروا))[1]

ويلاحظ أن القشاط أوضح في القصيدة من هم الأقـارب ، فأشـار إلـيهم صراحة بأنهم أعمام ابنه ، فإن كان يقصد الأعمام بالدم فهم إخوته وأبناء عمومتـه وإن كان يقصد الأعمام بالعصبية فهم رجال القبيلة كلهم ، وفي كلتا الحـالتين لـم يتحكم القشاط في مشاعره تجاه الآخرين فلامهم وإن كانوا أقرب الناس إليـه ، وإذا كان هذا لومه فكيف يكون هجاه؟ وصدق حين قال في إهـداء ديوانـه:– ((إلـى المواقف التي أثارت مشاعري فنطقت شعرًا)) وهذا الديوان احتوى على عدد كبير من القصائد التي تضمنت في أبياتها هجوًا وتعريضًا بالآخرين .

و–التأكيد أن قبيلته (الصيعان) ليست من القبائل الليبية.

من الغريب أن القشاط وهو يتحدث عن مرحلة الجهاد ، ودور القبائل الليبية في مواجهة الإيطاليين ، والتي يهاجمها ويتّهمها بالتقصير ، أو الخيانة أو النكوص أو التراجع عن المواجهة ، وفي الوقت نفسه يعطي بعدًا قياديًا مشرقًا لقبيلته ، التي يؤكد بذاته ، وفي كتابه نفسه وبوثائقه التي يستند عليها في مهاجمة الآخرين للنيـل من أدوارهم ، أنها ليست من القبائل الليبية ، بل أنها من القبائل التونسية المهـاجرة فعندما يعرّف بقبيلته يقول:– ((تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كـل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد ابو صاع دفـين " جوف سبيبه" قرب سبيطلة في القطر التونسي))[2].

---

1 – القشاط ، **ديوان في ظلال السدر** ، ص148.
2 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 23.

كما يقول:– ((...ومن قائل أنه كان يدرس بالمغرب مع أخيه سلام ، ولما رجع إلى تونس وجد أباه قد توفى وترك مالا وأراض كثيرة ..))[1].

كما نجد في الوثيقة رقم **(10)** بالملحق :– ((.... **وإن كنا نحن في الحقيقة سابقا استقرينا بتراب تونس وأصحاب أملاك به منها عدة غابات بنفزاوة وعدة أبيار ماء أنشيناها وأراضي محارث لزراعات بعمل ورغمة ولنا جالية كثيرة تسكن الآن بالسواسي الذين كانوا مقيدين بعلم مدنين وعليه فإننا راغبين من جناب الدولتين المذكورتين صدور الإذن لنا بالدخول للعمالة التونسية والاستيطان بها في المحمل الذي تعينه لنا الدولة والدخول تحت جميع الماموريات مثل أهل العمل لأننا لا نقدرون على الرجوع حيث لا ملك لنا ولا دشره سوى ملكنا التي بنفزاوه .....))**[2].

وحين يؤكد أنه استند في كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي : الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي)) على المذكرات التي قال: إن الشيخ علي كله أملاها على ولده بلقاسم كله . **ودون الخوض في هذه الأوراق التي نتحفظ على صحتها** إلا أننا نجد أنفسنا في هذا المقام بالذات نتجاوز عن الموقف والتحفظ ، ونجاريه في أن هذه الأوراق صحيحة وموثقة ، وغير مزوّرة كما يدّعي ، وأنه يصحّ الاستناد عليها كوثيقة دامغة لتوضيح أو تأكيد حدث ، أو معلومة وقعت خلال تلك المرحلة والتي أجهد نفسه وأقحم الآخرين بأنها صحيحة ، وأنها أساس الكتاب في مواجهة كل الوثائق الدامغة الصحيحة التي تفنّد مزاعمه ، ولذلك سنقرأ في ثنايا هذه الأوراق ونثبت ما يرد فيها كحقيقة لا تقبل التشكيك أو الرفض ، لأن القبول بصحّة ما يرد فيها نحو قضيّة ، أو موقف معيّن كان المؤلف في كتابه قد ألزم كل الليبيين على ضرورة القبول بها كوثيقة صحيحة ، لا بد وأن تشمل صحتها كل ما تضمّنته هذه الأوراق من معلومات وبيانات .

أورد المؤلف هذه الأوراق المنسوبة إلى بلقاسم كله في ما أسماها الوثيقة رقم **(11)** وتبدأ صفحاتها من الصفحة **(447)** وحتى الصفحة **(460)** من الكتاب.

ففي الصفحة **(455)** نجد النص التالي :–((.....فكان الوفد الليبي المهاجر للمقيم يقولوا **نحن من أهالي تونس أصل من قبائل تونسية ومن أشرافها وقبيلتنا تسمى الصيعان من أشراف البلاد التونسية وما يدل على صدق قولنا هذا أجدادنا**

---

1 – المصدر السابق ، 27.

2 – المصدر السابق ، ص 444.

الكبار موجودين ضريحاتهم بالبلاد جدنا الكبير السيد محمد أبوصاع موجود ضريحه بسبيبه وعلي أبو صاع بلجم عبد المؤمن بسوف وجيهاتنا التي كنا نستوطنو فيها هي سبخة بلاد غرب وسدرات الحاج قاسم إلى المزوانة هذه بلادنا الأصلية ولا كن لما دخلت فرنسا سنة 1881 للبلاد التونسية وبموافقة باي تونس نحن حسب أوامر ديننا هاجرنا لبلاد تحت رعاية الدولة العثمانية من ذلك التاريخ إلى 1911 حيث دخلت إيطاليا غازية البلاد الطرابلسية ووقع الحرب بين الدولة الغازية وأهالي طرابلس فحينئذ رجعنا إلى تونس بلادنا الأصلية ودخلنا تحت طاعة الدولة الفرنساوية وباي تونس فكان هذا جوابنا نحن الصيعان قدام استجوابنا مدة خمسة عشرة يوما ونحن في هذا الكلام مع المقيم الفرنسي)) .

وإذا كان الشيخ علي كله يؤكّد أن قبيلة الصيعان من القبائل التونسية وأن تونس هي بلادهم الأصلية . فهل يتنصّل القشاط من هذا الكلام الذي ورد بمذكرات كله التي اعتمد عليها في مواجهة كل الوثائق الصحيحة ، وألـف كتابًا تتجاوز صفحاته الخمسمائة صفحة استنادًا على ما ورد في هذه الصفحات التي يبلغ عددها بخط اليد **(14)** ورقة ، وينكر ذلك ، أم يقرّ بأن هذه المعلومات صحيحة وأن قبيلته كما أكّد صاحب المذكرات أنها ليست من القبائل الليبية، أم أنه سيدفع بعدم صحّة ماورد فيها بما يجعله يطعن في صدق قائده وشيخه؟.

إن كلّ أبناء الشعب الليبي يسجّلون بكلّ فخرٍ وتقديرٍ وعرفانٍ ، مساهمة أخوانهم العرب والمسلمين ، الذين تنادوا لتلبية واجب الجهاد ، وساهموا مساهمة فعّالة في مواجهة الغزو الإيطالي ، وقدّموا الغال والرخيص نصرة لإخوانهم الليبيين وخاصة أبناء الشعب التونسي الشقيق ، الذي لم تقتصر مساهمته على القتال فقط ولكنّه احتضن المجاهدين وأسرهم ، بعد أن تغلّبت عليهم القوّة ، فآووهم وقاسموهم رغيف الخبز ، وأتاحوا لهم الحياة المستقرّة ، إلى أن كتب الله لهم العودة إلى ليبيا وقد تحرّرت من نيْر المستعمر .

غير أنه في هذا المقام ، وردًا على ما يكتبه القشاط من مهاترات ومغالطات فإن كل من يطّلع على ما يقدّمه من أوراق ، أو ما يسمّيها وثائق على أنها تحوي الحقيقة ، يندفع إلى التساؤل بكل عفوية فرضتها عليه وثائق القشاط:-

ما شأن محمد سعيد القشاط ، وشأن الجهاد في ليبيا ، وهو غير مكلّف به فهو فرض عين على الليبيين فقط ، وإن ساهم في نصرة إخوانه الليبيين فهذا لا يمنحه حق التخوين والمفاخرة عليهم ، ولماذا يقحم نفسه في مهاترات وخصومات مع القبائل الليبية !!! ؟ .

(ب)– الرد على المغالطات في الوقائع والأحداث التاريخية

تضمّن الكتاب الكثير من المغالطات في الوقائع والأحداث ، والتغيّير والتحوير في المعلومة لغرض في نفس المؤلف ، الذي قام بحشو كتابه بأحداث لا علاقة لها بموضوعه ، وليس هناك سبب لإدراجها في الكتاب ، ونورد بيان هذه المغالطات عند مقارنة هذه النصوص المحرّفة بنصوص الوثائق الأصلية ، أو شهادات أصحاب الشأن حيالها ومنها :–

1– معركة درج

دسّ المؤلف في الفصل الأول وتحت عنوان " الحرب مع فرنسا 1881–1911" هذه المعركة من ضمن المعارك التي أوردها على أنها معارك مع فرنسا حيث قال:– ((شكلت قبيلة "ورغمة " التونسية "غزيا" سنويا يتوجه إلى بلدة درج النائية والقريبة من مدينة غدامس وذلك في فترة نضوج التمر حيث يتم قطع تمر درج والرجوع به على ظهور قوافلهم إلى بلدانهم . استمر هذا ديدنهم عدة سنوات وقرر أهالي درج تشكيل وفد والذهاب للقبائل المجاورة للاستنجاد بها . وصل الوفد إلى الزنتان والرجبان الذين لبّوا النداء وشكّلوا مجموعة من الرجال المقاتلين يسبقون ورغمّة إلى درج ، ويكمنوا في غابة النخيل ليفاجئوا فرسان ورغمة ويطلقون عليهم النار ويمنعونهم من الاستيلاء على ثمار النخيل . عند الموعد المحدد قدمت قوافل ورغمة يتقدمها الفرسان الذين فوجئوا بمقاتلي الزنتان والرجبان في الواحة ونشبت معركة سقط فيها عدة قتلى من الطرفين انسحبت بموجبها قوافل ورغمة دون أن تتمكن من قطع الثمار .

احتفل أهالي درج بالانتصار، وأكرموا الزنتان والرجبان الذين كانوا سببا في هذا النصر ، غير أن الزنتان والرجبان رفضوا الانسحاب إلى بلدانهم وقرروا اقتسام قرية درج بين قبائلهم ، بحيث أصبح لكل قبيلة من القبائل شارعا من شوارع درج يدفع أهاليه إتاوة من محصولهم من التمر كل عام للقبيلة من الزنتان المخصصة لهم وأصبحت قرية [تفلفلت] من نصيب الرجبان . وفي الأعوام 1959–1960 كنت مدرسا في هذه القرية ، وكان محل إقامتي بالمدرسة التي تقع خارج القرية يجاورها ضريح أحد الأولياء يسمى "سيدي الأخضر" . وكانت قوافل الزنتان تأتي في فصل الخريف ، وتستقر قرب ضريح سيدي الأخضر ويقوم أهالي الشارع المخصص لقبيلة القافلة بإطعام رجال القافلة وتوفير العلف لإبلهم

طيلة مكوثهم " بدرج " في انتظار التمر لتحميل القافلة . كما تقوم النساء من أهالي درج بتقديم مجموعة من الصناعات التقليدية كالأطباق وغيرها لرجال القافلة كهدية لنسائهم بعد عودتهم . وقال لي أحد الظرفاء من أهالي درج :- [ليتنا تركنا ورغمة تستولي على تمورنا لعدة سنوات وانقطعت عن ذلك بدلا من هذا الاستعمار الذي وقعنا فيه منذ قرن من الزمان وأصبحنا كالمستجير من الرمضاء بالنار واستمرت هذه الحالة لأهالي درج إلى قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 حيث تم إبطال هذه الإتاوة التي يدفعها أهالي درج سنويا للزنتان والرجبان))[1].

إن قراءة متأنيّة للنصّ تظهر الاتجاه الذي سلكه القشاط في حشو هذه المعركة ضمن معارك أخرى لا علاقة بينهما ، لدق إسفين في السلم الاجتماعي الذي يسود المجتمع الليبي الذي بنى على علاقات مزجت في أغلبها بالدمّ والتضحيّة والمناصرة للضعيف ، وردّ المظالم عنه ، وهو حين يطرح هذه الحادثة على هذا النحو فإنه يسعى إلى زرع بذور فتنة ، ليس بين قبيلتي الرجبان والزنتان من جهة وأهالي درج من جهة أخرى ، ولكنه يسعى في الأساس إلى نشر الفتنة بين أهالي القبيلتين المقيمين بمنطقة درج ، وأصبحوا من سكانها ، وبين أهالي درج الأصليين بعد أن تمازجت علاقاتهم ، وتصاهروا وترابطوا بعلاقات المودة والرحم.

<u>ويمكن أن نورد الملاحظات التالية</u> :-

أ- ان هذه المعركة وقعت حقيقة لا خيالاً وكانت نجدة لأهالي درج ضحّى فيها رجال قبيلتي الرجبان والزنتان بأرواحهم حماية لأهالي درج المسالمين.

ب- لم تكن هذه المعركة ضد فرنسا،أو يمكن أن تحسب على هذا الأساس ،وإنما كانت ضد قبيلة ورغمّة التي وصفها فيرو بالقول:- ((لم تكن هذه القبيلة سوى عصابة من قطاع الطرق الذين يتراوح عددهم ما بين ألفين وثلاثة آلاف من الفرسان الذين كانوا يقومون بنهب الأراضي التونسية تارة وبنهب الأراضي الطرابلسية تارة أخرى))[2]، ولذلك كانت هذه القبيلة تعتدي على القبائل الضعيفة المجاورة للحدود التونسية ، وكذلك على القبائل القوية التي كانت تماثلها في القوة والفروسية والشجاعة مثل: الرجبان والزنتان والنوائل والتي

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 71.

2 - شارل فيرو ، الحوليات الليبية ، نقل وتحقيق د محمد عبدالكريم الوافي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، الطبعة الثانية ، 1983 ، ص 687.

كانت دومًا تتصدى لهذه الغزوات ، وقد أشار عالم الاجتماع الفرنسي "جيـاني ألبرغوني" إلى قوة تلك القبائل وفروسيتها حـين قـال أن بعـض الوجاهـات الودرنية (جهة تطاوين) أسرّوا إليه في معرض وصفهم خليفـة بـن عسـكر [بالجبالي العفريت] ((بأن زعيم نالوت ساوق بشجاعته وبطولاتـه الفرسـان العرب من الزنتان والرجبان وورغمة ..))[1].

جـ - استنجاد أهالي درج بالقبائل المجاورة إلى حين وصولهم إلـى قبائـل الرجبان والزنتان ، وهم على مسافة بعيدة جدًا منهم تتجاوز (**400**) كيلومتراً بعد أن مرّوا بعدة قبائل من بينها الصيعان ، يدعو إلى التسـاؤل لمـاذا لـم تنجدهم القبائل الأقرب لهم ومن بينها قبيلة الصيعان ؟ ويبطل التساؤل إذا ما عرفنا أن قبيلة الصيعان تعاني مثلها مثل أهالي درج من ظلم قبيلة ورغمّـة التي كانت تهاجمهم وتنهب ممتلكاتهم ، وكانوا هم في أمـسّ الحاجـة لمـن ينصرهم ضد قبيلة ورغمة حسب ما هو مثبت في وثائق الدولة العثمانية.

د - العلاقة التي قامت بعد المعركة بين أهالي درج والقبيلتين ، كانت علاقـة حلف وتحالف ، ما تزال حتى الآن تجد لها كل تقدير واحترام في قلوب أهالي الرجبان والزنتان ودرج .

هـ - ربط هذه العلاقة الاجتماعية بظاهرة الاستعمار ، وإقحام الثـورة فـي مسألة اجتماعية ، ونسبه إليها أنها قامت بفعل إبطال هذه الأتاوة كما يـدّعى ، أمر ينبغي عليه إثباته بالدليل والبرهان ، فالثورة جاءت لتعزيـز العلاقـات الاجتماعية والسلم الاجتماعي وتأكيده ، ولا يعتقـد عاقـل أن الثـورة التـي واجهت وطردت ثلاثة من أعتى أشكال الاستعمار من إيطاليين وبريطـانيين وأمريكيين ، قد رأت في هذه العلاقة بين الرجبـان والزنتـان وأهـالي درج علاقة استعمارية تطلب مواجهتها بفعل ثوري ، كما يدّعي القشاط .

1 - فتحي ليسير ، **خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض**، مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية، مطبعة صفاقس، الطبعة الأولى ، ابريل 2001 ، ص 49.

2- **حوادث الطابو ، والأسباب الحقيقية لإنشاء قائمقامية نجاد**

أورد المؤلف في الفصل الثاني عند حديثه عن حوادث الطابو وإنشاء قائمقامية نجاد، النص التالي:- ((لجأت تركيا لبيع الأراضي لمواطنيها في البلاد العربية، وأصدرت قانونا عرف باسم قانون الطابو عام 1358هـ ولم يبدأ في تنفيذه بالنسبة إلى ليبيا إلا بعد إصداره بعدة سنوات. وعندما حاولت تركيا بيع الأراضي لأهالي المناطق الغربية وجاء قائمقام نالوت المسمى سليمان العزابي في لجنة لهذا الموضوع، ثار أهالي الصيعان وقتلوا القائمقام ومساعده سليمان بن ساسي وحملوا إبلهم وارتحلوا حيث نزلوا بالقرب من الحدود خوفا من البطش التركي واستعداداً للمعركة التي قد يكون الأتراك يعدون لها ثأرًا للقائمقام. ولكن [رجب باشا] والي طرابلس كان أبعد نظرًا من أن يهاجم هذه القبائل من أجل موظف قتلوه. فبدأ معهم في سلسلة من المراسلات أقنعهم فيها بالرجوع بعد أن أثبت لهم حسن نية الدولة ، وأنها عفت عنهم شريطة أن يدفعوا لأسر القتلى فدية. وأرسل إليهم ابنه [نجاد] صحبهم في طريق العودة ترافقه فرقة من العساكر. وقد جمع الصيعان ستة وستين حقة دفعوها لأسر القتيلين. وسمى رجب باشا قائمقامية الحوض باسم ابنه [نجاد] وسمى الصيعان منذ ذلك التاريخ قوم [نجاد] ونجد مراسلات الشيخ سوف المحمودي باسم [قائمقام نزاد] وكانت هذه القائمقامية تضم الصيعان والنوائل والحرارات القديرات، وأولاد شبل وقصر الحاج. وفي عودة الصيعان من الحدود إلى أراضيهم برّ المشير رجب باشا بوعده وسجل باسمهم الأراضي التي بحوزتهم دون أن يدفعوا شيئاً...))[1].

كما أن المؤلف أورد نصّ وثيقة إنشاء قائمقامية نجاد في صفحة (443) ولكن باللغة التركية مشيرًا إلى أن الأستاذ عبدالسلام أدهم قد قام بشرح محتواها له لتأكيد ما أراد أن يشير إليه في هذا الموضوع.

وقبل أن نورد نصوص الوثائق التي تفنّذ ما رواه محمد سعيد القشاط نشير إلى الملاحظات التالية:-

*- بدأ القشاط روايته عن حوادث الطابو بمغالطة تاريخية تنّم عن التسرّع وعدم التدقيق في المعلومة ، حين أشار إلى أن تركيا أصدرت قانون الطابو عام1358هـ

---

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص75.

وهو العام الذي يقابل في التقويم الميلادي عام " 1939 " ، مضيفًا أن تركيا لم تبدأ في تطبيقه إلا بعد عدة سنوات ، ولا أحد يدري على أي مصدر تاريخي ، أو راوٍ استند "المؤرخ" محمد سعيد القشاط على وجود دولة عثمانية قائمة إلى العام الـــذي يسبق ميلاده ببضع سنوات !!!! .

مـــن جهة أخرى ، ثمة فكرة تتأكّد للقارئ كلما ركّز على تحليـــل كتابـــات القشاط هي أن القشاط لا يكتب بناء على قراءات وتحلـــيلات لوثـــائق ونصـــوص تاريخية ، بل يكتب المحكي والمروي عن الرواة، دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتدقيق والتمحيص ، ويستخدم كلمات ومفردات تبتعد عن المعنى الحقيقي للحـــدث ولا يجوز أن يستخدمها من يطمح أن يدعى بالباحث ، أو المؤرخ ، فهـــــو يقـــول على سبيل المثال في هذا الموضع:- ((لجأت تركيا لبيع الأراضي لمواطنيها فـــي البلاد العربية ، وأصدرت قانونا عرف باسم قانون الطابو ......)).

هذه الجملة التي بدأ بها القشاط حكاية طويلة تبيّن للقارئ العربي العادي أن تركيا نتيجة لضائقة مالية ألمت بها ، أو لتعسّف ظالم منها ضد العـــرب ، قامـــت بالاستيلاء على أراضيهم ثم أعادت بيعها لهم ، ونظّمت عملية البيع وفـــق قـــانون أصدرته وأسمته قانون الطابو، وتدفع به إلى اتخاذ موقف عـــدائي تجـــاه سياســـة الدولة العثمانية .

أما الحقيقة التي يذكرها التاريخ ، وكان ينبغي على القشـــاط أن يتناولهـــا بعقلية الباحث المنصف، فهي أن من انجازات الدولة العثمانية أنها وضعت قواعـــد التسجيل العقاري الذي حفظ الملكيات الخاصة والعامة منذ ما يزيد عن **(300)** ســـنة بعد أن اقتبست ذلك النظام التوثيقي من أوروبا، ثم قامت في عام 1858"1247هـــ" بإصدار قانون سمي [قانون الأراضي] وهو يتكون من **(132)** مادة وفيه تم تقسيم الأراضي في جميع أنحاء الدولة إلى (**5**) أنواع من بينها الأراضي الأميرية ، ثم أصدرت بعد ذلك ما سمي [بنظام الطابو] وذلك عام "1275 هـــ" كما أصـــدرت [تعليمات سندات الطابو] عام 1276 هـــ وهذان القانونـــان يعتبـــران كلائحتـــين تنفيذيتين لقانون الأراضي ، وهما يوضّحان كيفيّة القيام بإجراءات التسجيل ، وبيـــع الأراضي الأميرية ، وتحديد الرسوم الواجب دفعها وما إلى ذلـــك مـــن إجـــراءات قانونية.

*- **قام** المؤلف بسبك رواية أساسها امتناع أهالي الصيعان عن بيع أراضيهم وقيامهم بقتل القائمقام ومساعده لهذا السبب ، وقد أجبرت قوة القبيلة الدولة العثمانية على ترضيتهم ، ومن ثم انشاء قائمقامية نجاد حسب الرواية المذكورة ، وقد استعان بوثيقة أشار إليها بالهامش رقم (1) وتحمل هذه الوثيقة رقم (5) في ملاحق كتابه وبالرجوع إلى نصّ الوثيقة رقم (5) وهي عبارة عن تقرير مقدّم من قائمقام نالوت وجملة من الأعضاء حول امتناع الصيعان وتراجعهم عن تنفيذ ما جاء في مضبطة الأراضي التي سبق أن وقعوا عليها بالقبول بمناصفة الأراضي بينهم وبين أهالي نالوت، وفي إشارته إلى مقتل القائمقام ومساعده السابق ، أوضح أن السبب كان بتدبير من أهالي نالوت دون أن يشير أو يؤكد أن السبب هو بيع الأراضي أو غيرها ، والنصّ هو : - ((وعلى ما بلغنا وصار مسموعنا سبب قتل الصيعان لسليمان بن ساسي المومي إليه بتدبير من أهالي نفس نالوت ...)) ، أي أن التدبير كان من أهالي نالوت وليس من الصيعان.

*- **ذكر** في الفقرة الثالثة أن رجب باشا كان أبعد نظراً من مهاجمة هذه القبائل ويقصد (الصيعان) ، وبدأ معهم مراسلات الخ ، وللقشاط غاية من الزجّ باسم رجب باشا في الموضوع ، فهو يقصد حين يذكر الأمر على هذا النسق أن يتشبّه بنفس الموقف الذي اتخذه الوالي رجب باشا حين رفض التدخّل لوقف الحرب الدائرة بين قبائل الرجبان والزنتان من جهة ، وأولاد بوسيف من جهة أخرى ، وقد أورد الحكاية عبدالرحمن عزام في مقال بعنوان [عبرة الحرب في الجزيرة] جاء فيه : ((كان رجب باشا رجلا فذاً غريب الأطوار بعيد النظر فوقع أثناء ولايته حادث جرّ إلى حرب طاحنة بين قبائل الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف . وكان بين يدي رجب باشا من الوسائل المادية ما يمكنه من منع الحرب أو إيقافها على الأقل كما أن له من النفوذ الأدبي ما يعينه على عمل ما يريد ولكنه أبى أن يتدخل وواجبه – فضلا عن آمال الناس فيه – إن يتدخل فعجب الناس من أمره وألحفوا في سؤاله وهو لا يجيب . فلما جاء دور الإجابة عمل لإنهاء الحرب وإقرار السلم ثم همس في أذن الناس أنه أراد أن تتعلم هذه القبائل صناعة الحرب وأنه لذلك يأمل أن يكون الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف أعصى القبائل على الطليان وأمنعها في الدفاع عن البلاد يوما ما .. ولم يعش رجب باشا طويلا ليرى كيف تحققت نبوءته. فإن

هذه القبائل استمرت في الكفاح ضد الطليان عشرين سنة حتى خرجت من أوطانها مهاجرة إلى الجزائر في سنة 1930))[1].

لقد أراد محمد سعيد القشاط من سبك روايته على هذا النسق المشابه أن يرسم لقبيلته صورة القبيلة المقاتلة المنيعة ، كي يؤسّس بعدها لطرح ما يريد أن يطرحه من أدوار بطولية ، حين ذكر لاحقًا أن قبيلته هي القبيلة الوحيدة التي ظلت تقاتل الطليان بعد انسحاب كل القبائل الأخرى.

*- **أما فيما** يتعلق بأسباب إنشاء قائمقامية نجاد ، فيلاحظ التحريف ، وعدم صحة الرواية التي قدّمها ، فالحقيقة أن الأسباب التي دعت السلطات العثمانية لإنشاء قائمقامية نجاد ، ليست حوادث الطابو كما يزعم القشاط ، أو كما ورد في بعض المقالات[*] ، وإنما كان السبب هو السعي لحماية الصيعان من ظلم وتعدّيات قبيلة ورغمّة التي أضرت بقبيلة الصيعان ، حيث تشير الحقائق المنقولة عن الوثائق العثمانية أن قبيلة الصيعان هاجرت إلى الأراضي التونسية هربًا من تعسّف بعض الولاة الأتراك (متصرف الجبل راغب بك المصري)، وجوره بالاعتداء بالضرب على أحد مشائخها، مما اضطر الوالي التركي حسن حسني إلى توجيه رسالة تعنيف وتحذير لمتصرف الجبل مؤرخة في 29 ذي القعدة 1304 يقول فيها:- **((...يروى أن بسبب ضربكم أحد مشايخ الصيعان رحلت قبيلته إلى تونس كما أن عدم ذهاب مشائخ النوايل إليكم وقدومهم إلينا كل سببه الخوف من الضرب إن هذا الإجراء من الأسباب الموجبة لنفرة الأهالي وتوحشهم .... إن أفراد أولاد خليفة وبني حامد يلحقون الأضرار بأهالي جانبنا وعدى ذلك فإن السماح لأهالي منطقة في حالة نزوحهم عن موطنهم بالبقاء بل الإقامة على حدود تلك المنطقة سياسة لا يجوز ...الأمر الذي قد تؤدي هذه الأعمال إلى قيام الفرنسيين بالشكوى وأخيرا يضطرون للتحرك ضدنا أفيدكم بأن تحسين العلاقة بينكم وبين الصيعان والنوايل في هذه الآونة ليساعدوا مقام متصرفيتكم في ترحيل من ذكرت لجانب الشرق سياسة لها أهميتها ووجوبها))**[2].

---

1 – د. محمد عبدالوهاب الزنتاني ، حقيقة الدفاع عن معارك الجبل الغربي ضد الغزو الإيطالي ، الجزء الأول الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ودار اليوم للإعلام المحدودة ، طرابلس ، 1993، ص 255 .

* – جاء في مقالة للدكتور محمد عريبي بعنوان ((الإرشيف الوطني في الجماهيرية) أن سبب التسمية هو تكريما لإبن رجب باشا "نجا"د" وهي معلومة غير صحيحة وتتناقض مع ماورد في رسالة الوالي حسين حسني المتعلقة بسبب إنشاء القضاء واقتراح تسميته .

2 – د . أحمد الدجاني ، المصدر السابق ، الوثيقة رقم 38، الصفحة 64.

ويورد القشاط أيضا في ملحق كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي)) عـددًا مـن الوثائق المتعلقة بهذه الأحداث، ومن بينها الوثيقة رقم (6) وهي عبـارة عـن رسـالة موجّهة من والي طرابلس إلى أهالي الصيعان المقيمين في تونس يحثهم فيهـا علـى العودة إلى أوطانهم، ويتعهّد فيها بحمايتهم من اعتداءات قبيلة ورغمـة علـيهم عنـد عودتهم، ويخبرهم بنيّة الولاية إنشاء قائمقامية لهم، وتقول الوثيقة:- **((... وإنكم راودتم الأهالي إلى الرجوع إلى وطنكم وأنتم خائفون من ورغمة والعمال إلى آخر ما ذكرتم ... فإذا تقرر هذا في أذهانكم وكان لكم مانع ترددتم في أجله وتـوقعتم أن ورغمـة يصدونكم أو يجبروا عليكم فعرفونا ونحن نعرف حضرة ذي الدولـة والـي تـونس ونلتمس من مقام علياه أن يزيل ذلك المانع ولا جرم على ما نومله من حسن إنصافه أن يزيله أو نرسل مع ذلك مأمورا من طرفنا في عقد سبيب من العساكر السـواري الشاهنية يستقبلكم عند الحدود ويتلقاكم تمهيدا لبلوغ مرادكم ومن التسهيلات أيضـا أننا جزمنا على جعل قايمقامية مجدده مواليه لكم وتكونوا من جملة أهاليها وبـذلك تنظم الأمور ويحصل بالانتظام ما يريحكم وتحمدون عقباه ...))**[1].

وقد استمرّت قبيلة ورغمّة بتحريض من الفرنسيين على مهاجمـة قبائـل الحدود وإثارة الرعب فيها ، والاستيلاء على مواشيها وأملاكها ، خصوصًا قبيلـة الصيعان التي كانت تتعرّض بشكل مستمّر لعدوان هذه القبيلة ، وكذلك أهالي منطقة درج **وإذا كان القدر قد أراد لأهالي منطقة درج أن يتخلّصوا من تعـديّات تلـك القبيلة بعد أن استنجدوا بقبيلتي الرجبان والزنتان اللتين سارعتا بالتصدّي لقبيلة ورغمّة وهزيمتها شرّ هزيمة ، وإجبارها على عدم تكرار غزو درج** ، فإن الأمـر لم يتيّسر لقبيلة الصيعان التي أخذت تستنجد بالسلطات التركية للتدخّل ، وحمايتهـا ورفع الأذى عنها ، فهاهو الشيخ سعد حلبودة الصويعي يرسل رسالة إلـى الـوالي يخبره فيها بعزم قبيلة ورغمّة الاستيلاء على وادي مغري الذي يشكّل عصب الحياة للقبيلة ، وبدونه ستعاني القبيلة من شظف الحياة وقسوتها ، ويسـتنجد بالسـلطات التركية لحمايتهم ، وهي مؤرخة في20 محرم 1308 وفيها يقـول:- **((...والحـال سيدنا إذا هم فكوا وادي مغري إن هو لأبائنا وأجدادنا وملك من أملاكنا نصـيروا محرومين من الحرث الذي هو المعيشة . المطلوب من حضرتكم أن تنظروا فـي حالنا ولا يصير علينا الظلم مع وجود دولتنا العلية ومنتظرين منكم ما يكون ذلـك**

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص437.

والسلام))[1]، رغم أن القشاط قد بالغ في موضع آخر من كتابه في وصف الشيخ سعد حلبوده بالقول :- ((وكان له دور محمود في الدفاع عن الحدود عندما أرادت فرنسا زحزحتها لصالح تونس على حساب الأراضي الليبية...))[2].

كما أورد القشاط وثيقتين أخريين مكتوبتين باللغة التركية ، قدّم لهما على أنهما توضّحان عودة الصيعان ، وإنشاء قائمقامية نجاد ، مشيرًا إلى أن الأستاذ عبدالسلام أدهم قد قرأ له فحواهما ، ويبدو أن القشاط أراد وضع هاتين الوثيقتين بنصّهما التركي حتى لا يطلّع القارئ على مضمونهما ، وهما منشورتان في كتاب [وثائق تاريخ ليبيا الحديث] الذي أورده القشاط كمرجع في الهامش رقم **(1)** في الصفحة (68) ، ولكنه لم يثبّته في قائمة المراجع ، مما يؤكد إطلاعه على الوثيقتين باللغة العربية كما ترجمهما الأستاذ عبدالسلام أدهم في الكتاب المذكور.

ونورد فيما يلي الوثيقة الصادرة عن الوالي التركي حسين حسني التي توضح الأسباب الحقيقية لإنشاء قائمقامية نجاد ، والتي ترجمها الأستاذ عبدالسلام أدهم ونشرها في كتاب [وثائق تاريخ ليبيا الحديث] تحت رقم **(147)** وعنوانها:- ((رسالة من الولاية إلى نظارة الداخلية)) وهي ذاتها التي وضعها القشاط بنصّها الأصلي (التركي) تحت رقم **(9)** في الصفحة **(443)** من كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي)).

نص الوثيقة 147:-

رسالة من الولاية إلى نظارة الداخلية

لما كانت الإدارة التونسية تعامل بالتسامح مع رجال ورغمة المشهورين والمزعجين الذين عينتهم باسم سباهي على خط الحدود فإن هؤلاء يضايقون قبائل ناحية الصيعان التابعين إلى لواء الجبل الغربي والمقيمين على طول الحد الفاصل ليجبروهم على الهجرة إلى الدواخل إن مكافحة وإزالة المحذور داخل الولاية ممكن إلا أن إلحاق قبائل النوائل الشجعان والذين كانوا مجاورين ومحبين للصيعان وقوة الظهر لهم ، إن إلحاقهم بقضاء زوارة أدى إلى فصم الرابطة التي كانت موجودة بين القبيلتين وعدى عن أنها ستزيل بالتدريج القوة والتعاون الذي كان قديما بين الطرفين **وبناء على ظهور الشقاق وعدم الوفاق بين الصيعان الذين أصبحوا**

---

1 - المصدر السابق ، ص 440.

2 - المصدر السابق ، 285.

لوحدهم وأن ورغمة بالاستفادة من ذلك بدأت بين الفينة والفينة تهـدد الصـيعان وتنهب مكسوباتهم فقد أظهر الصيعان عجزهم ضد هذه الأعمال واستولى عليهم الخوف والوجل وعليه فمن أجل منع الاعتداءات والأضرار التي تحدث بين الفينة والأخرى من ورغمة . **وبما أن المحافظة على تأمين واسـتقرار الصـيعان هـو المطلوب ونظراً إلى أهمية المنطقة التي يقيمون فيها وعجـزهم بسـبب الجهـل والتخلف من التفريق بين الطيب والردئ** وبما أن النوائل والصـيعان المتصـلين ببعضهم والمتجاورين أحوالهم وحركاتهم وأمزجتهم وعاداتهم متماثلة ولما تأكـدنا من إمكان إدخال هاتين العشيرتين الهامتين والجسيمتين المقيمتين في البادية إدخالهم بالتدريج في نطاق الحضارة يجعل من الممكن إعمار أراضيهم الخالية من كل آثار العمران ولدى التدقيق تبين أن المرتبات السنوية التي تجبى من ناحيـة الصـيعان مقطوعة تبلغ (140380) وضريبة الأغنام (2259) وأن المتوسط السنوي لحساب الأعشار (34169) قرشا والمجموع (181809) قرش وحيث أن قبائل النوائل حتى الآن يعتبرون مستثنيين من أداء ضريبة الويركور (الرأس) وأن ضريبة أملاكهـم التي جرى إثباتها في الدفاتر وقدمنا كشف الموازنة ولكن لم تصدر بعـد الموافقـة الملكية عليها تبلغ (74778) قرش وبالنظر إلى إعشار سني أعشار أعـوام (321 22، 23) فإن حساب متوسط أعشارهم (230237) قرش أي أنه عـدى ضـريبة الأغنام لم يجري بعد تحضيرها إذا جرى ضمها إلى ما مجموعه (305015) فقـد يحصل :(486824) قرش **وبهذا يصبح من الممكن توحيد القبيلتين وتشكيل قضاء** وفيما يتعلق بالتخصيصات لهذه العملية فإنه بإلغاء ناحية العلاونة التابعـة لقضـاء النواحي الأربعة وبالنظر إلى ما بين القبائل من جوار ومناسبات فإلحاقهـا بناحيـة الرقيعات يوفر مبلغ (1050) وبالإضافة إلى مخصصات مديرية الصـيعان يبلـغ (2145) قرشا يدفع منه إلى قائمقام القضاء المراد تشكيله (1125) قرشا ولمـدير المال (450) ولكاتب التحريرات (350) ولأمين الصـندوق (210) وللقرطاسـية عشرة قروش . **ولما كان توحيد القبيلتين وتشكيل قضاء من الدرجة الثالثة بموقع القرادية باسم (نجاد) ويكون في الوقت الحاضر مربوط بمركز الولاية أشير إليـه في الخريطة المقدمة طيه بحرف(م) أصبح ضروريا وذا فائدة لدفع شر المعتـدين** فإن تشكيل ما هو معروض أعلاه ممكن بإلغاء ناحية العلاونـة وإلحاقهـا بناحيـة الرقيعات ، **وأن يكون القائمقام الذي يعيّن لهذا القضاء من الواقفين على أمزجـة**

وعادات القبائل المذكورة ويرجح أن يكون بالفعل من رؤساء القبائل ، وبمـــا أن السيد محمد الأمين أحد رؤساء قبيلة أولاد بوسيف التابعة إلى لواء الجبل الغربـــي مماثل في الشجاعة إلى تلك القبائل وتتـــوفر فيـــه الأوصـــاف اللازمـــة والكفـــاءة والإخلاص الأمر الذي يتناسب مع أهمية مركز النوائل والصيعان فـــإني أعـــرض واسترحم **تعيين المومي إليه إلى هذه القائمقامية المقترحـــة** وصـــدور المســـاعدة الجليلة لنظارتكم الجليلة، وذلك من أجل المصلحة والأهمية البالغة والأمر في ذلـــك لحضرة من له الأمر.

13 مارت سنة1325

4 ربيع أول سنة 1327 و26 مارس سنة 1909

والي الولاية

حسين حسني[1]

---

1 – د .أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق ، الوثيقة رقم 147، ص 252.

3- نسب قيادة المجاهدين في المنطقة الغربيـــة والجبل إلى الشيخ محمد سوف المحمودي

أشار القشاط عند تناوله لبدايات الغزو الإيطالي لليبيا بأن أسطول إيطاليـــا دكّ مدينة طرابلس يوم 29 سبتمبر 1911 ، وأورد بالنصّ مـــا يلـــي:-((تنـــادى الليبيّون للجهاد ، وزحفوا من مختلف مناطقهم على العاصمة طـــرابلس وبنغـــازي للدفاع عنهما ، وكان الشيخ سوف المحمودي هو الشخصية المعروفة في المنـــاطق الغربية فتكتلت حوله القبائل الغربية من ليبيا : الصيعان النوائل ، زواره عجيلات علالقة ، سعفات ، خويلد ، وريمه ، حميدات حرارات ، قديرات شعاليل صرمان الزاوية ، زنتان ، ورجبان ، وغيرها ..))[1].

إن الكتابة في التاريخ في العادة يحكمها منطق ، ومنهج ، وعقلانية وأخلاق وأمانة ، ينبغي أن تتوفر فيمن يتناول هذه الأحداث بحيث تعطي مصداقيّة للأفكـــار والآراء التي يطرحها ، ولا تؤثر العاطفة والميول ، والأهواء الشخصيّة والمزاجيّة والمؤثرات النفسيّة على الكاتب ، فيجنح إلى الانحراف في التفسير والتقرير، خاصة وأن تاريخ المرحلة قاسم مشترك لكل الليبيّين لا يجوز العبث به أو تحريفه من أيّ كان ، ولأيّ سبب .

لقد طرح المؤلف في هذا النصّ أفكارًا مجانبة للواقع ، بعيدة عن الحقيقـــة وغير مطابقة للوثائق التي تناولت تلك الفترة تحديدًا ، ودون التعليق على طريقتـــه في ذكر أسماء القبائل التي تنادت للجهاد ، فإنه لم يتورّع عن الإساءة إلـــى الشـــيخ سوف المحمودي حين يقحمه في رواية مفتعلة ، ويضعه قائدًا عامًا التفـــت حولـــه قبائل المنطقة الغربية مخالفًا بذلك الحقيقة التي تؤكدها كل الوثائق التاريخيّة المثبّتة والموثقة ، بل تجاوز أكثر من ذلك حين أشار إلى معركة أبي كماش وجعل القيـــادة العليا للشيخ سوف على جميع المجاهدين بمن فيهم الشيخ سليمان البـــاروني الـــذي جعله لا يقود إلا **(135)** مجاهدًا من الزنتان والرجبان فقط ، قائلاً في تعليقه علـــى الجدول المرفق في كتابه :- ((وإن الأشخاص الذين ذكرهم الأستاذ مصطفى كلـــه على قبيلته ، أما القيادة العليا فهي تحت راية الشيخ سوف المحمودي))[2].

إن نسجْ الروايات على النحو الذي أورده القشاط يضـــع شخصـــيّة الشـــيخ سوف المحمودي أمام ردود تفنّد هذه الرواية وتنتقدها ، وبما لا يليق بقائد ومجاهـــد

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص80.
2 – المصدر السابق ، ص81.

من حجمه أن يحمّل أخطاء أحد الكتبة تقوده عواطف وأهواء ، يكون ضررها في كثير من الأحيان أكثر من نفعها ، هذا إذا كانت نيّاته سليمة ، أما إذا كان العكس فهي فرية يقصد منها دق إسفين بين القبائل من خلال التلاعب بحقائق التاريخ .

فوقائع الأيام الأولى للحرب تشير إلى أن القائد الذي كان يقود المجاهدين في المعارك في ولاية طرابلس حتى توقيع صلح أوشى عام 1912 ، هو القائد التركي (نشأت باشا) ويعاونه من الجانب الطرابلسي الشيخ سليمان الباروني باعتباره مبعوث لواء الجبل ، والحاج محمد خليفة فكيني الرئيس الثاني لجمعية الاتحاد والترقي عن لواء الجبل ، وفرحات الزاوي عن الساحل ، والشيخ محمد سوف المحمودي ، والشيخ عبدالنبي بالخيرعن ورفلله ، ورمضان السويحلي عن مصراته ، وأحمد المريض عن ترهونة ، وأبناء كعبار عن غريان ، والشيخ محمد بن عبدالله البوسيفي عن القبلة ، وعلي بن تنتوش عن ورشفانه الخ .

وتؤكد هذه الحقيقة المراسلات التالية التي تؤرّخ لبداية الغزو، واستعداد أهالي الجبل جميعًا لمواجهته على الساحل الليبي ، وليس انتظاره إلى حين وصوله إلى الجبل حيث روت دمائهم الطاهرة مختلف بقاع ومناطق الساحل ، وهي ذاتها التي تحدّد شكل ودور قيادات الجهاد في بدايات تلك المرحلة الهامّة .

***- الوثيقة رقم (1)**

((مبعوث اللواء

إلى حضور أخينا الشيخ سليمان أفندي ، وكافة أعيان فساطو

فساطو

بعد السلام عليكم ، ورد لنا جوابكم اليوم الساعة واحدة ونصف ، واعلموا أن البارحة لما قدم مدير المال وأخونا مسعود وأخبروني كتبت لأعيان الزنتان وأعيان الرجبان وأكدت عليهم بملاقاتي بالمركز اليوم وأرسلت مخصوصين وبعد ساعتين أو ثلاثة قادم لطرفكم، وربنا يحفظ ولايتنا، نموت شهداء ولا نرضى بالذل والسلام .

13 أيلول 1329

13سبتمبر 1911

أخوكم

محمد فكيني))[1].

---

1 – زعيمة الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** ، الجزء الأول ، ص165.

***- الوثيقة رقم (2)**

((الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الفاضل مبعوث لواء الجبل المحترم الشيخ سليمان الباروني

والحاج محمد افكيني وجماعة الجماعة.

بعد السلام عليكم ، وبعد لم نأخذ الخبر المفصل أبدًا ، والآن سمعنا أن المركز ضبطه العدو ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ! تكدرنا الكدر الذي ليس له وصف . بوصول هذا عرفونا مفصلا بالواقع حالا لأننا في دهشة ربنا يفرج ويسمعنا الخير ، والسلام

13-1328 أيلول

أحمد عراب عمر أبو الأحباس محمد بن سعيد

عمر ... سعيد بن عيسى ساسي خزام إبراهيم أبو الأحباس

أحمد بن أحمد علي بن محمد عبازة))[1]

***- الوثيقة رقم (3)**

((الرئيس الثاني لجمعية الاتحاد أخونا الحاج محمد أفندي فكيني

جاءنا تلغراف في إرسال سواري المتطوعين سريعا ، بناء عليه سنجمع غدا كافة الموجودين هنا والرحيبات وقدرهم (25) يقينا إن شاء الله ، فاركب بنفسك وحضر لنا ما عندك ولا تترك أحدًا . وهذه تذكرة الزنتان أرسلها لهم ليحضروا وتكون الحركة يوم الاثنين صباحا إن شاء الله على اللواء ، وهاهو أرسلنا لهم تلغرافا لإحضار فرسانهم عموما . فالهمة الهمة في ذلك !! فإن الحال ضيق جدا لأنهم قالوا : تأخيركم دقيقة واحدة هو خسارة عظيمة . وقد جاء تلغراف الآن بأنه صار إعلان الحرب والتشبث في الصلح جار ، لعلهم لما رأوا قوة حركتنا خافوا قهرهم الله . فعلى كل الأحوال التأخر دقيقة واحدة مضر والسلام .

9 شوال 1329 - 18 أيلول **مبعوث**

سليمان الباروني

وكلفهم يستصحبوا معهم مصروف حفظة على الأقل في طرابلس ، وإذا علمت أن الحال سيطول نتدبر في الأمر إن شاء الله))[2].

1 - المصدر السابق ، ص165.

2 - المصدر السابق ، ص 167 .

***- الوثيقة رقم (4)**

((أخونا الرئيس الثاني للاتحاد والترقي الغيور الحاج محمد بك فكيني حفظه الله.

سلام عليكم ، غالبا لا تصير حركتنا غدا صباحا لأن الخيل القريبة لم تحضر إلى الآن ، وحسب المسموع أن خيل الزنتان كذلك لا تحضر غدا فأما أن تكون الحركة مساء أو بعد غد عند طلوع الشمس على كل حال ، وسنعرفكم غدا أيضا وسط النهار . وانظر وكيل الشيخ عبد الوهاب يسلم لك قيطونه لأنه حسب المسموع كبيرهم فلتكن القياطين حاضرة مربوطة إذا مرت عليها الإبل تجدها وإذا أمكن إرسالها على جمل غدا أو حمير إلى طرفنا لننصب الجميع في [أوعثمان] تهييجا وتشجيعا للناس فأحسن أحسن ، ويكون رفعهم من هنا معا مرة واحدة ، أما حوائجك وما يلزمك فلتكن على جملك الذاتي . هاهي الإبل قادمة لطرفكم وخوفا من الفرار في الثنية بمناسبة الظلام رفق معها عدة أنفار للمراقبة إلى قصر الحاج والله الحافظ. حسب كلام ساسي أفندي أن الخيل في جهة الجبل ستكون كثيرة أكثر من جهتنا إن شاء الله ينستر الحال .

9 شوال 1329-ايلول 18 فساطو رئيس جمعية الاتحاد

سليمان الباروني))[1]

***- الوثيقة رقم (5)**

((إخواننا أشراف وأعيان وسائر أهالي قضائنا فساطو والرحيبات والرجبان والزنتان حفظهم الله / شوال .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإنا نحمد الله في السراء والضراء توجهنا من عندكم على نية الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين وشرف الدولة ، وقد سمع نداءنا القاصي والداني ، ودوى صوت طبولنا وقرقعة سلاحنا بين الأودية والجبال ولكن مع الأسف لم نبلغ المرام ولم يحصل المقصد ، إذ قد وصلنا فندق ترينه فوافتنا الأخبار بدخول العدو مدينتنا بشبه تسليم أو طلب من سكانها - إن صح الخبر- فعظم علينا الأمر جدا فعدلنا على التوجه إلى زنزور للاجتماع بأعيانها

---

1 - المصدر السابق ، ص 168.

فبلغنا أيضا أنهم قرروا تقديم مضبطة إلى العدو في التسليم كأهل المدينة ، فـأزداد أسفنا فلوينا أعنة خيلنا إلى معسكرنا وكان مركزه في سواني بني آدم شرقي المدينة فوصلناه واجتمعنا بالقومندان بعد نصف الليل ، فوجدناه ممتلئا غيظا على ما ارتكبه أهالي المدينة وما جاورها من السواحل من التسليم وبالمذاكرة معه ومـع الضـباط تقرر لدينا لزوم الرجوع وعدم المكث إذ لا فائدة فيه ، حيث أن العدو لـم يخـرج قوته إلى البرّ ولا يمكن حصول المحاربة في هذا الزمن القريب . ثم ذكـر لنـا أن أهم شئ عنده هو إرسال الإبل إليهم لنقل ما عندهم من الـذخائر والأسـلحة إلـى المحلات المنيعة من جبل غريان والجبل لحفظها هناك وبقاء المدافع وما يلزم مـن الذخائر الكافية إذا نشبت الحرب فرأينا هذا الفكر مناسبا ، وأن الأهم مقـدم علـى المهم . فرجعنا إلى اللواء وقررنا مع أعيانه صرف الغيرة والاجتهاد فـي إرسـال الإبل بدون تراخ . بناء عليه يلزمكم حمية وغيرة إنسانية الاجتهاد في ذلك لينقـل إليكم ما يلزم من السلاح مع ما يمكن نقله من الذخائر . والتلغرافات الواردة يوميا من دار السعادة تفيد أن الدولة مهتمة بولايتنا وأنها متشبثة بكل قواها في محافظتها والدفاع عنها ؛ فيلزمكم أن لا تصدقوا ما يـرد إلـيكم مـن الإشـاعات الكاذبـة والأراجيف التي ينشرها أعداء الوطن وأصدقاء العدو .

ويلزمكم احترام المأمورين وامتثال أوامر الحكومة بدون تردد ولا شـك ويلـزمكم الاتحاد والاتفاق في كل ما يعود على الوطن والدين بالشرف والنفع ؛ وهذا رفيقنـا المحترم الحاج محمد افندي افكيني يشرح لكم حقائق الأحـوال حسـبما شـاهدناها وسمعناها ؛ فليكن منكم العمل معه بيد واحدة وقلب واحـد ، والله الموفـق ، و[إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] .

جواب فسطو بعد رجوعنا من مركز الأردو في سانية بني آدم.

ملحق خير إن شاء الله تقرر عندنا بالمذاكرة مع أعيان مركز اللواء جمـع نحو **500** رجل من الشجعان الذين يفدون بأنفسـهم وأرواحهـم الـدين والـوطن والتوجه بهم إلى مركز القومندان بصفة عسكر متطوعين ، نقيم مـع الأردو فـي سواني بني آدم لندفع الأعداء إذا أرادوا الهجوم إلى أن يتم نقل الأرزاق والمهمـات الحربية من هناك إلى الجبل وغريان ، ثم نشكل جيوشـا بيـادة وفرسـانا للغـارة والهجوم عليهم إذا حطوا في النخيل إلى أن يأتينا المدد مـن الدولـة إن شـاء الله فعلى من يرغب في نيل الجنة منكم أن يقيد اسمه ويحضر بعد 3 أيام ومعـه زاد **4**

أيام فقط [أعني الزاد الذي يوصله إلى مركز الأردو ثم تكون مئونته من الأردو] فبادروا رحمكم الله فإن باب الجنة مفتوح أمامكم ومحجتها واضحة ومن يتأخر يندم ويصير محروما . وقد قررنا أن نتوجه نحن وحضرة القاضي وكيل المتصرف مع هذا الجند . والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . ودمتم .

مبعوث الجبل: سليمان الباروني))[1]

***- الوثيقة رقم 6**

((تلغرافات

من الشيخ سليمان الباروني ونائب مركز لواء الجبل ، إلى شجعان الريانيه .

بسم الله الرحمن الرحيم، من يبغي منكم الجنة وها هي قدامكم، أردنا المسير إلى مركز الفرقة بخمسماية من شجعان الجبل مستعينين بالله تعالى فاحضروا منكم **30** وارسلوهم في اليوم الثاني . ومع كل واحد نفقة ستة أيام . وبادروا الجنة والمبارزة وكونوا حاضرين ، والسلام عليكم وعلى المسلمين ورحمة الله وبركاته .

مبعوث الجبل : سليمان الباروني

" نسخة إلى الرحيبات " 28 أيلول 327 وكيل المتصرف : عارف

حضرة الأفاضل الكرام إخوتنا سالم افندي وكيل المدير وأعيان وأشراف الزنتان كافة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإنا نحمد الله ، أرسلنا إليكم جوابا مفصلا عموميا مع رفيقنا الحاج محمد افكيني ، وقد انتخباه لأن يشرح لكم الأحوال ونخاطبكم بواسطته فيما يلزمنا وكلفناه بالإعتناء بذلك حسبة لله وخدمة للوطن والدين فيلزمكم مساعدته والمشاورة والتدبير معه بالاتحاد قلبا وقالبا والله ولي التدبير والسلام عليكم أجمعين . والمقدار الذي تتفقون عليه من الرجال يكون توجيههم إلينا بوجه السرعة والسلام /17 شوال 1329-28 أيلول 327 .

مبعوث الجبل . سليمان الباروني))[2]

---

1 - المصدر السابق ، ص170.

2 - المصدر السابق ، ص171.

***- الوثيقة رقم (7)**

((غريان – وكيل متصرف الجبل : عارف

العلامة المفتي افندي والنفاتي بك وعلماء وأعيان غريان الكرام كافة : كان مرادنا زيارتكم ولضيق الوقت ولزوم سرعة إرسال الإبل إلى مركز الفرقة رجعنا إلى مركز اللواء ، مؤملين منكم عذرنا اعتمادا على أخوتكم وحميتكم ، وسنزوركم بعد يومين إن شاء الله للمذاكرة في جعل غريان موضع قوتنا ومركز حكومتنا والمدافعة مع عساكرنا عن شرف دولتنا وديننا والله معنا [إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم].

17 شوال 1329 28 أيلول 1327

أعيان فساطو محمد افكيني مبعوث الجبل : سليمان الباروني))[1].

***- الوثيقة رقم (8)**

((غريان

الهادي بيك كعبار، سمعنا بترككم المأمورية وتشريفكم غريان، فحملنا ذلك على غيرتكم الوطنية وحميتكم الدينية، فلله دركم ! فالله الله في تأليف القلوب وجمع الكلمة والاتحاد على تشتيت الأعداء وتطهير وطننا العزيز منهم بالاتفاق مع عساكرنا المظفرة، وسنزوركم قريبا للمذاكرة 17 شوال 329.

محمد فكيني وكيل المتصرف مبعوث الجبل

عارف حكمت سليمان الباروني))[2].

ولكثرة الوثائق التي تؤرّخ لتلك المرحلة ، والصادرة عن الشيخ سليمان الباروني أو الواردة إليه ، باعتباره مبعوث لواء الجبل في المنطقة الغربية من ولاية طرابلس والشخصية المحورية في حركة الجهاد في تلك المرحلة ، فإننا نكتفي بإضافة وثيقتين توضّحان بالإضافة إلى ما سبق ، مركز ودور كل القيادات في تلك الفترة .

1 – المصدر السابق ، ص 171.
2 – المصدر السابق ، ص 172.

الأولى:- رسالة موجهة من الشيخ سليمان الباروني إلى قائد القوات الإيطالية.
*- ((من زاره / 16 تشرين أول سنة327.
[إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين].
أو أذهبوا مستسلمين.
إلى قومندان الأسطول الإيطالي الراسي في مياه طرابلس الغرب العثمانية .
هجمت على بلادنا وعليها العلم العثماني فنزعته بدون وجه مشروع، ودخلت البلاد بدون إذن فهتكت عساكرك الحرمات، وقتلوا الأولاد، والنساء، والشيوخ وارتكبوا أشنع الأمور: من تخريب الديار وتعطيل التجارة ونهب الأموال وقد جئنا لاستخلاص وطننا المعزز منكم وأخرجناكم من الساحل وقصر الهاني واستحكام المصري وما حول ذلك من السواني والبيوت، ورأيتم من الأبطال شجاعة وإقداما تزلزل الجبال حتى وصلنا الآن المنشية، ومرادنا دخول المدينة لركز علمنا العثماني فيها كمان ، فسلموا تسلموا وارجعوا إلى أوطانكم، وإلا فالمسئولية عائدة عليكم أمام الدول المتمدنة في كل ما يترتب على معارضتكم إيانا من الضرر والخسارة لنا ولأهالي المدينة وقد أنذرناكم ولاعذر بعد الإنذار.
/ 16 تشرين أول 327 مبعوث الجبل
سليمان الباروني))[1].

الثانية:- رسالة الشيخ محمد سوف المحمودي إلى الشيخ سليمان الباروني.
((جناب المحترم الفاضل سيدي مبعوث لواء الجبل الغربي سليمان بك الباروني
دام محفوظا بعناية الله تعالى.
سيدي، بعد إهداء السلام والتحية والإكرام. أعرض لجنابكم السامي: أني وصلت مركز القضاء ، وأول ما باشرت في شأن المسألة التي كلفتم بها العاجز ، وهي إرسال صورة تعليمات الانتخاب، فوجدت أمرا من مقام الولاية يشعر بتأخير الانتخاب ، إلى أن تقدم أصول حقيقية كونهم طلبوها من نظارة الداخلية وتفصيل ذلك عرضته لجنابكم تلغرافيا، **وإن شاء الله كلما يقدم لنا شيء في هذا الخصوص نبينه لكم تفصيلا، كما هو واجب علينا.**

1 – المصدر السابق ، ص176.

سيدي، المرجو من كمال فضلكم أن تعاونوا عتيق الجميع [غلامنا عيسى] على تقييد الشعير والدقيق الذي بطرفه وهو حمولة بعيرين. والبعاير أرسلناها مع حامل الجواب. وملتمسين العفو من تصديعكم سيدي. طرق سمعنا بأن [جاوش الشوشة] صار العفو عليه. أرجوكم بيان الكيفية ولو تلغرافيا. يأتيكم صحبة الحامل نصيب بلح من محصول الجوش. والسلام أفندم حضرتلري. قائمقام نزاد

5 أيلول 328 – التوقيع بخطه– سوف))[1]

أما فيما يتعلق بمعركة (أبي كماش) ، وقوله أن القيادة العليا للمعركة كانت للشيخ محمد سوف المحمودي ، وبأن كل القادة بمن فيهم الشيخ سليمان الباروني كانوا تحت رايته ، فهذه مغالطة تاريخيّة ، فكل المصادر التي تناولت هذه المعركة لم تذكر أن الشيخ سليمان الباروني كان موجودًا ومشاركًا فيها.

إذ يشير الشيخ الطاهر الزاوي وهو من معاصري تلك الأحداث والمشاركين فيها إلى ذلك بقوله :–((... وفي يوم احتلال زوارة احتل الطليان شبه " جزيرة المخابز" قرب قصر بوكماش وهي جزيرة فروة ، وكانت تسمى رأس المخبز . وقد هجم المجاهدون على هذه الجزيرة يوم 6 من جمادى الأول محاولين استردادها فلم يوفقوا.

وكان لميدان زوارة أهمية كبرى لأنه يعرّض طريق الإعانات إلى الخطرولذلك عُني بشأنه عناية خاصة، وجمع له المجاهدون من كل ناحية فاجتمع فيه مجاهدو زوارة وخويلد والسعفات والنوايل، وكلهم من سكان تلك المنطقة ، وانضم إليهم فريق كبير من مجاهدي العجيلات والزاوية ، واختير له من رؤساء المجاهدين الشيخ محمد سوف، والسيد عبدالرحمن أفندي العروسي والبنباشي محمود أفندي القلالي الزاوي . **وعلى رأس هؤلاء جميعا قائد المنطقة العام موسى بك اليمني** وهو مشهود له بالحنكة والنبوغ في الفنون العسكرية))[2].

ويتّضح من ذلك أن المعلومات التي أوردها القشاط غير صحيحة سواء عن قائد المعركة الفعلي ، أو تضمين مشاركة بعض القبائل فيها ، وكذلك وضع اسم الشيخ سليمان الباروني كقائد ثانوي فيها يقود **(135)** مجاهدا فقط.

---

1 – المصدر السابق ، ص186.

2 – الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، ص 133.

4- **اجتماع الكونت سفورزا مع المهاجرين في تونس.**

يورد المؤلف تحت عنوان الهجرة والمنفى حكاية عن مقابلة المهاجرين عام 1913 مع الكونت الإيطالي سفورزا الذي لحق بهم في محاولة لاستمالتهم وترضيتهم للعودة إلى البلاد ، وقد استند في هذه الحكاية كما يقول على ما ورد في أوراق بلقاسم كله التي تقول:- ((كلفت الإدارة الفرنسية في تونس كلا من:-

1 - مسعود العربي عامل مدنين.

2- بلقاسم بن حمادي ، خليفة تطاوين.

3- الباش شاوش نصر الزعلوك شاوش القرع.

وذلك لاستقبال المهاجرين الليبيين وتبليغهم أوامر السلطات الفرنسية بأنها ترحب بهم ، وتستقبلهم في أراضيها شريطة أن يسلموا أسلحتهم على الحدود، ويدخلوا إلى البلاد. سلم المجاهدون أسلحتهم على الحدود للسلطات الفرنسية في [مدنين] واستقرت القبائل المهاجرة داخل التراب التونسي من أوائل أبريل 1913. وفي هذه الأثناء التحق بالمهاجرين مبعوث من إيطاليا يدعى الكونت سفورزا. وهذا الرجل كان أحد جواسيس الطليان الذين أرسلوه لزيارة ليبيا في بعثة ظاهرها علمي قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا. وعندما هاجمت إيطاليا ليبيا قبض عليه المجاهدون وأسروه ، وسلموه للشيخ سليمان الباروني بصفته عضوا لمجلس المبعوثان. وقد أكرم الشيخ الباروني هذا الرجل وأطلق سراحه . فاتخذت منه إيطاليا وسيطا بينها وبين الشيخ الباروني الذي اشترط أن يمنح استقلالا داخليا لمنطقة الجبل الغربي سماها [الحكومة المختارة] يكون لها ميناء [زواغة]. وبعد أن انكسر المجاهدون في معركة الأصابعة لم يعد لهذا المطلب قيمة لدى الطليان ، فأرسلوا سفورزا ليلتقي بزعماء المجاهدين المهاجرين ويطلب منهم العودة إلى بلادهم. التقى سفورزا بالشيخ سليمان الباروني في تونس العاصمة، وطلب منه العودة إلى وطنه وإلقاء السلاح والعمل مع إيطاليا كمواطنين. ولكن الشيخ الباروني طلب منه أن يلتقي بزعماء المجاهدين المهاجرين بتونس. وكانت هذه المجموعة تتكون من:

الشيخ محمد سوف المحمودي

الشيخ سعد حلبوده – الصيعان

الشيخ علي كله – الصيعان

الشيخ خليفة الربعي – الصيعان

الشيخ حرب النائلي – النوائل

الشيخ مفتاح الحراري – الحرارات
الشيخ ضو بن الحاج اللافي – العلالقة
الحاج السايح العلاقي – العلالقة
عبد اللطيف العاشق – صرمان

اجتمعت المجموعة عند المراقب الفرنسي في قابس وقال المراقب الفرنسي للوفد: إن الدولة الإيطالية بعثت إليكم سفيرها للصلح معكم . ويطلب الاجتماع معكم في هذا الخصوص. واطلبوا المكان الذي ترغبون الاجتماع فيه فاتفقت المجموعة على أن يكون الاجتماع في سوسة . وفرت الحكومة الفرنسية عربة تجرها الخيول وتوجهوا إلى سوسة في 15 رمضان 1331 الموافق 1913/4/10 وقد استقبلهم عامل سوسه الذي تناولوا الفطور في ضيافته. وبعد الفطور توجه الوفد إلى شط (أبي جعفر) في أحد فنادقه المسمى (قهوة رستون) نزل الوفد حيث قدم إليه السفير الإيطالي ومعه ترجمان يهودي وسفير بريطانيا. **قال الراوي** رحمه الله تعالى والدي الشيخ علي كلا عندما طلب منا السفير الإيطالي التعريف والبيان أعطيناه ما طلب وسمينا له الجماعة فردا فردا ووظائفهم في عهد الحكومة العثمانية فعند ذلك قام السفير الإيطالي بمفرده وسلم على الوفد الليبي سلاما جديدا آخر وحده وبعد ما تمم عليهم وجلس في مكانه وتكلم بلغة عربية فصحاء فقال **أحمد الله الذي أنجاكم من هذه الحرب بسلام وليس على الملك الخيرة في المستقبل وإن الدولة الطليانية دخلت على دولة مثلها وأنتم أهالي لتلك الدولة المدخول عليها من طرف إيطاليا لا كن أنتم لما قمتم في وجه إيطاليا وحاربتوها وكونتم لها حربية وكانت حرب شديدة كادت الدولة الإيطالية أن تنهزم فيها وتقهقرت أشد التقهقر وخسرت فيها خسارة كبيرة وكبيرة في كل شيء ليس الدولة الإيطالية مؤاخذتكم على هذه الحرب ضدها لا بل أعطت لكم الحق في ذلك وأنتم على الحق وهي الظالمة والغازية عليكم وأنتم ليس عملتم إلا الواجب الوطني والديني وأنتم بحربكم هذه عزيتم على دولة إيطاليا عزا (----) ولا كن الإنسان لا يعلم أين خيرته في الدولة الأولى و إلا في هذه . أيها الأبطال لا تسمع كلام المكاره والحساد من بعض الدول يقولون لكم إن إيطاليا دولة خائنة لهم لم تصلح والله إن دولة الإيطالية هي أصل أوروبة وهي العريقة في جميع البلاد والدول خرجت بعدها وهي رومة الحرة لا كن أسباب التي ضعفت بها دولة إيطالية هو كرم أبنائها وتبديرهم (---) الإيطاليين كامل يوميته خمسة فرنك ذلك الوقت يأتيه ضيف من أهله أو من غير موسم كرم**

الضيافة لكن اليومية لم تكفي لذلك الكرم يتسول سوالا يومين أو ثلاثة مستقبلا يأتي يكرم ذلك الضيف ومثل هذه الأعمال التي كانت (----) الدولة الإيطالية وإن الدولة الإيطالية هي أصل أوروبا وهي البيت الكبيرة لأوروبا وهذا صحيحا طرف طرابلس الغرب (–) تعتبر في نظر دولة إيطاليا هي أصل العرب وأكرم العرب وأشجع العرب وهي أصل العرب (---) طرابلس الغرب ليس معدودة دولة (---) من دول العالم وهي فقيرة جدا على الجانب البحر الأبيض المتوسط وبها الرمال والصحارى عندما غزت عليها دولة إيطاليا وإن دولة إيطاليا من الدول الكبار ومن الأمم الكبيرة عدد وعدة فإن الشعب الطرابلسي على ضعفه وقلة عدده وعدم تدريبه وعدم تسليحه تسليحا نظاميا فقام في وجه الغزو الإيطالي بشجاعة وبسالة وكاد أن يهزم الدولة الإيطالية شر هزيمة لولا تقاعس الدولة العثمانية لكان النصر حليفه وخرج الغزو الإيطالي من أرض(–) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعب الطرابلسي من أصالة عربية صادقة لأن العربي الأصيل له ثلاث خصال الشجاعة والكرم والفخر ولاهم ثلاث الغنى والجبن والبخل وهذه الخصال الثلاث يتبعون غير العربي الأصيل وأن الشعب الطرابلسي حارب حرب في هذا العصر لم تحاربه أي أمة من الأمم العالم وأن دولة إيطاليا وجميع دول العالم قد أعجبت بحرب هذا الشعب الفقير وبسالته وشجاعته النادرة المثال وأن الشعب الطرابلسي بحربه وعتاده وصموده أمام دولة إيطاليا قد عز عزا كبيرا عظيما على الدولة الطليانية بحربه فيها لأن الدولة ظالمة وغازية عليه هي على باطل وهو على الحق وأن الدولة الإيطالية كلفتني تكليفا شرعيا بأن ألتحق بالشعب الطرابلسي المجاهد وبرؤسائه وتطلب الدولة الإيطالية منكم الرجوع إلى بلادكم وأعقد معكم صلحا في هذا الشأن وبما تريدونه أنتم وليس بما تريده دولة إيطاليا وبما تملونه من شروطكم فإن الدولة تقبله وتجازيكم مجازات (---) كل من كان موظف في عهد العثمانية فإن وظيفته أعلى مما كان فيها. وقد رد المجاهدون بقولهم:- نشكرك على هذا الخطاب ولكن قولك لقد دخلت دولة على دولة ونحن ما شأننا؟ فهذا غير صحيح، فالدولة العثمانية لم تدخل لبلاد طرابلس بطريقة الغزو والاحتلال، ولكن دخولها كان بطلب من الأهالي سلموا لها بالرئاسة . ودولة إيطاليا دخلت غازية غاشمة قاومناها وشهرنا في وجهها السلاح قرابة العامين وكاد الشعب الطرابلسي أن يهزمها لولا أن الأقدار والظروف أبت، وبعد أن خسرت إيطاليا في الحرب أعظم خسارة في العتاد والرجال فنحن حاربناها

بكل ما استطعنا من قوة بأموالنا وأنفسنا في سبيل الله والوطن مصداقا لقوله تعـالى وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون.. وإن العودة والصلح مع إيطاليا لن نرضى به ولا يكتبه عنا التاريخ العربي المجيد))[1].

هذه هي رواية القشاط، ورغم أننا لا نوّد التعليق عليها فهي رواية تفصـح عن نفسها بنفسها، وتبرز هشاشتها ، وتوضح المستوى العلمي لمن أراد أن يتصدى للكتابة في التاريخ ، إلا أننا نشير إلى أن المؤلف الذي أتى بهذه الرواية لم يتمالك نفسه التي تعوّدت اللعب في النصوص والكتابات أيا كانت وتطويعها كيفما يريـد ، فقد أعمل في النصّ الأصلي من الأوراق التي قدّمها كوثائق أساسية اعتمد عليهـا فحذف ما يريد وغيّر ما يريد.

وحتى يتبيّن للقارئ مقدار تلاعب القشاط بالنصّ وما حواه من مغالطـات حيث جاء فيها أن الشيخ سليمان الباروني طلب من الكونـت سـفورزا الاجتمـاع بالمهاجرين فقال على لسان الباروني :– ((...**فكان جواب الباروني أطلب جماعـة المجلس المهاجرين الذي كنت مترأس رئاسته فإذا اتفقت أنت وإياهم على الصلح فأنا موافق** ..)) ، وهذا معناه أن أصل الحلّ والربط في يد المجلس ، وأن الشـيخ سليمان الباروني يتبع رأي المجلس موافقة أو اعتراضًا.

أو حين تقول الرواية إلى أن الكونت الإيطالي طلب مقابلة وفد المهـاجرين عن طريق المراقب الفرنسي حيث بعث لهم كروسة تجرّها الخيل، وتم الاجتماع في مدينة سوسة فقال:– ((... **فنزل الوفد الليبي بهذه القهوة ومـا إن اسـتقر بهـم الجلوس حتى جاءهم السفير الإيطالي ومعه ترجمان يهـودي وسـفير بريطـاني لسلام السفراء عليهم، فتقدموا السفراء إليهم بالسلام وسلموا أحسن سلام** ...)).

وإذا تم التجاوز عن مسألة قدوم السفراء، وهي تحمل بذاتها غرابة لايمكن توصيفها، فإن المغالطة التي لايمكن أن تصدر من عاقل، فهو الكلام المنسوب إلى الكونت سفورزا، وهو كلام خطير، فالكونت يرى أن بلده ظالمـة، وغازيـة وأن المهاجرين لهم الحقّ، وما عملوه فهو الواجب، وأن إيطاليا تقبل بالصلح معهم وفق شروطهم وما يريدونه !!! !!!.

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 101– 105.

*– يلاحظ القارئ أسلوب الصياغة الضعيف والغريب في اللفظ والمضمون ، وقد نقلناه كما ورد في تلك الأوراق.

ولمواجهة هذا العبث والتلاعب بالأحداث التاريخية ، نستعين بوثائق صاحب الشأن الشيخ سليمان الباروني الذي كان قائدًا للمجاهدين والمهاجرين في تلك الفترة ، وهي التي تقدم الرواية الصحيحة للأحداث.

تقول زعيمة سليمان الباروني ما يلي:- ((قال حفظه الله: ...ولما وصلت بلدة نالوت جاءني تلغراف من الكونت سفورسه ورفيقه ديسي في تونس يطلبان قدومي لاتمام المذاكرة فيما طلبناه بواسطة الوفد [الإدارة المختارة] ففهمت أنه لم يبلغهما ما حصل من تقهقرنا فتوجهت إلى تونس مظهرا أني سأتذاكر مع الكونت ... ثم رجعت إلى الحدود بدون أن اجتمع مع الكونت في تونس لأنه توجه إلى رومه يطلب من حكومته قطعا للمذاكرة معنا لما بلغهم خبر الواقعة . ثم عاد إلى تونس وطلب قدومي بتلغراف فجئته من بن كردان ، وكلفني ببيان مطالب أخرى غير الإدارة المختارة ، لأنه لم يبق وجه لطلبها، فحررت له لائحة في عدة مواد يختص بعضها بمنافع الطرابلسيين عموما، وبعضها بالمحاربين خصوصا. ووعدني بالسعي لدى الحكومة في تنفيذها ، ورغب مني أن اطلب شيئا مع ذلك لنفسي أو للمنتسبين إليّ ليسعى في الحصول عليه . فامتنعت رغما عن إصراره وطلبت منه أن يسعى بدلا عن ذلك في الحصول على عفو عمومي للأهالي المحاربين ؛ فطلبه من الحكومة تلغرافيا فأصدرت العفو وبلغه إليّ رسميا بواسطة قنصل جنرال إيطاليا في تونس ، فبلغته إلى الأهالي . وقد كان كلفني هو والحكومة الفرنساوية بأن أنصح الأهالي بالرجوع إلى أوطانهم ، متعللة فرنسا بأن أراضي تونس ضيقة لاتتحمل غير أهلها ، فكتبت إلى الأهالي بعد حصول العفو ، فرجع البعض وبقي البعض وانتهت المذاكرات بيني وبين الكونت ، وقد ارتحل قسم من أهالينا الذين لم يدخلوا أراضي تونس إلى جهة فزان وغات بسلاحهم....))[1].

وبحسب رواية الشيخ سليمان الباروني لم يحصل أي لقاء بين الكونت سفورزا والمهاجرين، وإنما جرى طلب العفو لهم بواسطته ، وقام الشيخ سليمان بإبلاغهم .

فمن يا ترى نصدّق !!! قائد المجاهدين الشيخ سليمان الباروني، أم أوراق بلقاسم كله الذي لم يحضر أو يشارك في مرحلة الجهاد، وقد دفع به القشاط الذي يسعى أن يوصف بالمؤرّخ في مواجهة غير متكافئة مع الشيخ سليمان الباروني، وللقارئ والباحث أن يقارن بين النصّين والروايتين أيّهما صحيح، ويقبله العقل والمنطق.

1 – زعيمة سليمان الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد** : الجزء الأول ، ص 466-467.

5- **مغالطات معركة الجوش الأولى 1917.**

أشار المؤلف في كتابه إلى معركة الجــوش الأولــى ، وأورد نصوصــا لبرقيات صادرة عن الشيخ سليمان الباروني ثم علّق عليها بــالقول :- ((أن هــذه المعركة لم يحضرها الرجبان ولا الزنتان ولا الرحيبات وأن النصر حققه الريايـنــة فأرسل إليهم سليمان الباروني برقية شكر))[1].

وما يذكر في هذا الخصوص أن ردّ لجنة الباحثين من الزنتان في كتــابهم **[السير والرد على التزوير]**، اتسم بالعجلة وعدم الرجوع إلى المصادر والوثــائق فاختلط عليهم الأمر في التفريق ما بين معركة الجوش الأولى التي يتحــدث عنهــا المؤلف ، ومعركة الجوش الثانية، وذلك حين وافقوه على هذا الخلط فــي الوقــائع وكأنه حقيقة فجاء ردّهم على أن كلامه ورواياته صحيحة، مستندين علــى وقــائع معركة الوخيم والجوش اللتين وقعتا عام 1922 وأتوا بمبرّرات ما كــان لهــم أن يوردوها فقالوا:- ((... فمع من اشتبك العدو إذا ؟ ومن هم المجاهدون؟ أنظرأيها القارئ إلى هذا التناقض حينما كتب الدكتور القشاط على الصفحة **166** من الكتاب نفسه وفي معرض حديثه عن المعركة نفسها [أما وضع المجاهدين فإن الحاج فكيني تمركز بقواته من مجاهدي الزنتان والرجبان ومن معهم حول مصدر الميــاه فــي وادي الوخيم ... وكان وصول الحاج فكيني قبل وصول الإيطاليين بشهر أي أنهــم في انتظار العدو.] ثم يعارض الكاتب نفسه بعد خمسة سطور فقــط ويقــول [ولــم يحرك المجاهدون ساكنا للتصدي لهذه القوات قبل تمركزها ذلك المركز الــذي لا يبعد أكثر من 7 كيلومترات عن موقع المجاهدين] ... لاشــك أن القــارئ يــرى التناقض الغريب في أقوال الكاتب وكيف يرد على نفسه، فأي الأقــوال نصـــدق وأيها نأخذ وكيف مرة ينفي الكاتب وجود الزنتان والرجــبان والرحــيبات ومــرة أخرى يثبت هذا الوجود لهم دون غيرهم؟ فإما أن الكاتب ينــسى ما يكتبــه أو أن جميع ما كتبه لن يثق فيه من يقرؤه، أو أن يصــدر القشاط كتــابا آخر للحكم بين القشاطين.))[2].

---

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد ، ص 160.

2 - د. محمد عبد الوهاب وآخرون ، مصدر سابق ، ص 90.

وعودة لمناقشة الخلط في استخدام النصوص المقتبسة ، فإننا نورد أولاً ما كتبه ثم نقارن ذلك بالنصّ الأصلي من نفس المصدر الذي اقتبس منه ، لنبيّن كيف أنه يحــوّر، ويخفي بعض الحقائق المتعلقة بهذه المعركة ليربــط بــين أحــــداث لاعلاقة مباشرة بينها ، ويؤلف منها رواية يتهجّم فيها على قبائل الرجبان والزنتان والرحيبات وقياداتها، وليخفي عمدًا حقائق أخرى في المعركة.

أولاً:– <u>نصوص المؤلف</u>.

يقول القشاط:– ((وعند غزو العدو الإيطالي للجوش في معركة الجــوش الأول ها نحن نجد الشيخ الباروني يرسل برقية مستعجلة إلى متصرف الجبل يطلب منه نجدة الجوش، يقول:–

مهم ومستعجل

متصرف الجبل

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت لأجل الغزو فأرسلوا إلى الزنتان والرجبــان والرحيبات ليفزعوا إلى جهة (الجوش) وكلفوا الرياينة والمشاشة والحوض وككلــه بالفزع إلى الجفارة حين وصول هذا بدون تراخي وأرسلوا واحدًا إلى الجوش قبــل كل شئ يخبرهم.

والي طرابلس

سليمان الباروني

كتب وسط مارس 1334))[1]

ويمضي في تعليقه على هذه البرقية بالقول:– ((ولكن العدو وصــل إلــى الجوش واشتبك مع المجاهدين في معركة ضارية استمرت إلى الليل ولــم يحضــر أحد من الزنتان ولا الرجبان ولا الرحيبات. وقد استطاع ميلــود الشــقروني قائــد العسكر وعيسى الباروني مدير الجوش من قيادة الدفاع عن القرية وحققوا النصــر. وقد وصل الريانية إلى السكفل وحققوا النصر في معركة [الطاحونة] حيث يخاطبهم الباروني في برقية إلى متصرف الجبل تقول:–

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 160.

متصرف الجبل يحي بك الباروني.

بلغوا شكرنا العظيم لجماعة الرياينه الأبطال ومديرهم الغيور وأرسلوا الأسارى مع زاندرمة مسلحين لمحافظتهم وأعطوهم الأمان على أنفسهم وافهموا الزاندرمة بأن فرار واحد منهم موجب لإعدامهم واستقرضوا لهم مصاريف الطريق وترسل إليكم

كتب 31 مارت 1334

والي طرابلس

سليمان الباروني))[1]

إن حقيقة الأحداث من واقع نفس المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وهي "مذكرات الشيخ سليمان الباروني" تشير إلى أنه لا علاقة لموضوع البرقية الأولى بموضوع البرقية الثانية، وأن كلا منهما تتناول موضوعًا مستقلاً عن الآخر وحقائق البرقية الأولى حول معركة الجوش، تشير إلى هروب الصيعان من المعركة ومعاقبة بعض مشايخها، في حين أن البرقية الثانية تتعلق بهجوم من العدو على محلة الرياينة المقيمة بالسكفل، والذين تصدّوا للعدو وألحقوا به الهزيمة فكانت البرقية شكر وتقدير لهم على شجاعتهم، كما أنه لا علاقة للبرقيتين بمعركتي الجوش والوخيم عام 1922، ونورد فيما يلي الأحداث من واقع مذكرات الشيخ سليمان الباروني:-

أولاً :- فيما يتعلق بالبرقية الأولى ((معركة الجوش الأولى)).

إن الشيخ سليمان الباروني بحكم منصبه [والي طرابلس الغرب] إتخذ من الزاوية مقرًا لحكومته التي شكلها لإدارة الحرب مع الإيطاليين، وقد بلغته أخبار بخروج قوات من العدو باتجاه الغرب، فأرسل برقيات مستعجلة إلى قائمي مقام المناطق المحيطة لتنبيههم بخروج العدو والاستعداد لملاقاته بما فيها البرقية التي أوردها المؤلف ، وكلها تحمل نفس التاريخ وتتعلق بذات الموضوع وهي كما يلي:-

((قائمقام النواحي

يحتمل خروج العدو غدًا وربما يسمع أصحاب الإبل هذا الخبر فيتأخرون عن المجئ إلى الزاوية فأرسل من يرافقهم إلى أن يصلوا الزاوية غدًا هم والخيل .

1 – المصدر السابق ، ص 160-161.

[كتب] [مهم ومستعجل] وسط مارت 1334.

والي طرابلس
سليمان الباروني

قائمقام صرمان بك

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت إلى جهة الغرب فأرسلوا حالا مـن يعطـيهم الخبر ليأخذوا حذرهم وتتوجه السواري إلى أن يعثروا في أثرهم ويقتفـونهم وقـد أرسلنا إلى عرب الزاوية والحوض وكذلك فإذا هم أخذوا شيئا هذه المرة سـتتوجه المسئولية إلى كل أحد بسبب التفريط في الفزع .

والي طرابلس
سليمان الباروني

[كتب] نهارًا الساعة 9- أحمد حمدي [مهم ومستعجل] وسط مارت 1334))[1].

((**مهم ومستعجل**
متصرف الجبل

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت لأجل الغزو فأرسلوا إلى الزنتان والرجبـان والرحيبات ليفزعوا إلى جهة الجوش وكلفوا الرياينة والمشاشة والحـوض وككلـه بالفزع إلى الجفارة حين وصول هذا بدون تراخي . وأرسلوا واحدًا مخصوصًا إلى الجوش قبل كل شئ يخبرهم .

[كتب] وسط مارس 1334 **والي طرابلس**
سليمان الباروني))[2].

ونتيجة لهذه الاستعدادات ، اشتبك المجاهدون مع العدو ، وجرت معركـة الجوش الأولى التي انتصر فيها المجاهدون ، وقد كتب الشيخ سـليمان البـاروني حول هذه المعركة ما يلي :- ((... وكان يوم **14** وصل الخبر بهجوم قوة العـدو المركبة من **700** بيادة و **50** سواري على الجوش ومحاصرتهم القصر من الفجـر

---

1 – زعيمة الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** ، الجزء الثاني ، ص 200.
2 – المصدر السابق ، ص 201 .

إلى الساعة الثانية في الليل وكان داخله كوجك ضابط عيسى افندي البـــاروني مـــع نحو 36 نفرًا عسكريًا فقط وبقية الأهالي مهاجرين **وصيعان هربوا ...**))[1].

وحول تقاعس الصيعان وهروبهم ، اتخذ الشيخ سليمان البـــاروني إجـــراء بعزل بعض مشائخهم، ثم عاد فقبل أعذارهم، كي لا يحرمهم من الحصـــول علـــى المعاشات والأرزاق كما أكّد ذلك هو، ففي برقيته الموجّهة إلـــى قائمقـــام الجـــوش إبراهيم بك ما يلي:-

((نومرو 3

قائمقام الجوش إبراهيم بك

مدير الصيعان الشيخ نصر ومدير المهاجرين الشيخ الوحيش كنا عزلناهما بمناسبة محاربة الجوش وقد أتوا إلينا وبيّنوا أعذارًا فقبلناهـــا وأعـــدناهما إلـــى وظائفهمـــا فأعطوهم مطلوبهم من المعاشات بدون نقصان والله الموفق.

[مأمور إدارة الجوش]   سليمان الباروني
20 مارت 1334 – 21 جمادى الثاني 1336))[2]

ثانيا :- فيما يتعلق بالبرقية الثانية ((شكر الرياينة)).

شكّلت منطقة سهل الجفارة والجوش نقطة ضعف في حركـــة المجاهـــدين لانعدام الأمن فيها ، نتيجة لتعديات العصابات التي كانت تهـــاجم النـــاس ، وعـــدم القدرة على ضبط الحدود ، وكان معظم هذه العصابات يتم تسليحها عـــن طريـــق فرنسا وإيطاليا ، وتكوّنت من أخلاط من الناس من بعض القبائل التي على الحـــدود وبعض المهاجرين والصيعان ، وفي هذا الخصوص يقول الشيخ سليمان البـــاروني في رسالته الموجّهة إلى نوري باشا قائد جيوش أفريقيا بتاريخ 28 تشرين الثـــاني 1333 في الفقرتيـــن [5 ، 6] ما يلي :-

((- **5**- الفرنسيس متخوف من جهة لالوت خصوصا بعـــض الأهـــالي ويعطـــى السلاح للذين يدخلون من هنا ويكلفهم بالغارة على جهة لالوت وقد حـــبس بعـــض

---

1 – المصدر السابق ، ص256 .
2 – المصدر السابق ، ص 204.

رؤساء بني يزيد وعمل على عربهم مراقبة لاتهامهم بالميل إلى هذه الجهة بعـــد أن قبضوا على الجوابات التي أرسلتموهم من ترهونه.

6- العدو ساكن خصوصاً بعد ضرب الغواص لزواره فإن مسألة الخروج فشـــلت لأن الجواسيس الذين قبضنا عليهم أمس أفادوا أن الغواص وجد في مرســـى زواره وابورًا كان جاء من طرابلس بالشعير والأرزاق فرماه بثلاثة قنابـــل ولـــم يضــــره فهرب إلى طرابلس تحت حماية الطيارات ولم ينزل شيئا إلا أنهم مجتهـــدون لــــيلاً ونهارًا في تحضير الاستحكامات بأخشاب النخل **وشكّلوا عصابات من الجماعـــات التي دخلت إليهم أخيرًا من عرب الحوض والصيعان وبدأوا في الغارة على أغنام الحوض**))[1].

ولمواجهة هذه الفوضى الأمنية ، والمحافظة على أرواح وممتلكات النـــاس وتقوية هذه المنطقة الضعيفة ، فقد اتخذ الشيخ سليمان الباروني بعض الإجـــراءات تمثلت في الطلب من قبائل الجبل المعروفة بقوتها وشدّة مراسها في الحرب النزول أسفل الجبل ، والإقامة فيه لأجل تأمين المنطقة ، وناسها الطيّبين من عبـــث هـــذه العصابات ونجده يقول في برقيته الموجّهة إلى قائمقام الزنتان بتـــاريخ 3 شـــباط 1333 في الفقرة (7) ما يلي :-

((نومرو 109 3 شباط 1333

قائمقام الزنتان بك

(7)- قررنا جمع العربان في أسفل الجبال لأجل محافظة حيواناتها وتأمين الطريق فاعمل جهدك في ترحيل الزنتان إلى أسفل البيضا والدناجي . وقد صـــار ترحيـــل الرياينة إلى جهة السكفل وترحيل صرمان والزاوية إلى جهة الورشـــفانية وكلفنـــا الشيخ سوف أن يجمع أهل الحوض وبعد عدة أيام قادم بنفسي إلى تلك الجهات وإلى جهة الغرب . سليمان))[2].

وقد استقرّ الرياينة في السكفل حسب الترتيب الذي وضعه الشيخ ســـليمان الباروني ، وفي هذا المكان تعرّض نجع (نزل) الرياينة إلى هجوم من طرف العدو وحدثت معركة بين المهاجمين والمجاهدين وكلهم من قبيلة الرياينة ، الـــذين أبـــدوا

1 – المصدر السابق ، ص 171-172.

2 – المصدر السابق ، 176.

شجاعة نادرة ، حيث ألحقوا الهزيمة بالعدو وأسّروا عددًا من جنوده ، وقد أشار الشيخ سليمان الباروني إلى المعركة ونتائجها في البرقية التالية:-

((كتب وسط مارت 1334 **قائمقام صرمان ، رئيس مجاهدي الريابنة.**

في هذه الساعة وصل بوستاجي الجوش وقال أن يوم الاثنين وهو في السكفل غار العدو في أربعين فارسا ومايتين وخمسين بيادة على نزل الريابنة ودامت المحاربة مدة ثم انهزم العدو واقتفوا إثره إلى أن محوهم عن آخرهم إلا سواريهم هربوا وأخذوا منهم سلاحا وجبخانه ودقيقا وأسروا منهم ثمانية عشر أسيرا وثلاثة من الخيل واستشهد بثمانية من الإبل ثمانية فقط ليس فيهم أحد من المعروفين الشيخ محمد جلبان جرحا خفيفا وماتت فرسه وغنم فرسا وخمسة بنادق ومنتظرون التفصيل من المدير وقد مات رئيس الباندة المبروك الزنزوري .

[صار اعطاؤه إلى قائمقام صرمان ورئيس مجاهدين الريابنه بتاريخ 29 مارت 1334 نهارًا عند الساعة الثانية صباحًا].

والي طرابلس

سليمان الباروني))[1]

وكي يشدّ من أزر المجاهدين لترتفع معنوياتهم ، ويملؤهم اليقين بإمكانية تحقيق النصر على العدو ، فقد حرص الشيخ سليمان الباروني على أن يعلم كل المسؤولين في الأقضية بالولاية بهذا النصر المؤزّر ، فنجده يرسل البرقية التالية :-

((غريان، ترهونه، نواحي أربعة، صرمان، عزيزية، قائمقام بك مدير زنزور، متصرفية الخمس.

قال تلغراف متصرف الجبل أن العدو هجم على عرب الريابنه في وادي السكفل بقوة كبيرة وسواري ومعهم قنابل اليد صباح 27 مارت ودامت المحاربة أربع ساعات ثم انهزم العدو تاركا تسعين قتيلا وغنموا منه سبعين بندقية وأربعة جمال محملة دقيقا وسكرا وجبخانة وأربعة من الخيل وحلاطات وكساوي كثيرة مع خمسة وعشرين أسيرًا ومات للعدو عشرون فرسا واستشهد منا ستة رجال وامرأة وجرح عشرة رجال وامرأة وزندرمة وثلاثة جمال وفرس وحمار وهرب الباقون مشتتين

1 - المصدر السابق ، ص203.

والخيل في أثرهم ولم ترجع إلى وقت تحرير جواب المدير للمتصرف المبني عليه التلغراف [كتب] 28 مارت

والي طرابلس
سليمان الباروني)) [1]

وتقديرًا للدور الذي قام به مجاهدو الرياينه ، وشجاعتهم في مواجهة العدو وهزيمته أرسل الشيخ سليمان الباروني إليهم برقية الشكر والتقدير التالية التي أوردها القشاط بقصد خلط الأحداث في محاولة للنيل من دور قبائل الرجبان والزنتان والرحيبات :-

((متصرف الجبل يحي بك الباروني

بلغوا شكرنا العظيم لجماعة الريانة الأبطال ومديرهم الغيور وأوصلوا الأسارى مع زاندرمة مسلحين لمحافظتهم وأعطوهم الأمان على أنفسهم وافهموا الزاندرمة بأن فرار واحد منهم موجب لاعدامهم واستقرضوا لهم مصاريف الطريق وترسل إليكم [كتب] 31 مارت 1334

والي طرابلس
سليمان الباروني)) [2]

---

1 – المصدر السابق ، ص213.

2 – المصدر السابق ، ص211.

6- تشويه حقائق ونتائج اتفاق صلح بني يادم

يقول القشاط :- ((وقد أصبح علي الشنطة مندوبًا على الجبل ومستشــارًا للحكومة الإيطالية بعد صلح بن يادم . وقد أصدر الوالي الإيطالي القرار التالي :-

إن والي القطر الطرابلسي

بعد اطلاعه على فصلي 23 و24 من قانون أساسي القطر الطرابلســي الصــادر بتاريخ جونيو سنة 1919 عدد 931 .

وبما أنه في التحرير المؤرخ 3 سبتمبري الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء القطر الطرابلسي

وحيث أنه من التحرير المبحوث عنه ومن الاحتفال الواقــع تحقــق أن الغــرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة .

يأمر بما يأتي :-

إن الذوات الآتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي

عمر بك أبو دبوس

أحمد بك شتيوي

علي بك الشنطة

أحمد بك الفساطوي

محمد الصويعي بك

الحاج محمد فكيني

محمد مختار كعبار

محمد بك الفقيه حسن

وسيصير تعيين رواتبهم بأمر آخر

حرر بطرابلس يوم 4 سبتمبري سنة 1919

الوالي مينزنجر

كما صدرت عدة قرارات في هذا الشأن وتعيينات المأمورين للمنــاطق يتقاضــون رواتب من الطليان . من ذلك التعيين التالي بعد الديباجة يقول :-

نأمر بما يأتي :

المادة الأولى : إن الوجيه علي بك بن تنتوش قد صار تعيينه متصرفًا للواء الجبل

المادة الثانية: في الملحقات الآتي ذكرها التابعة للواء الجبل قد صار تعيين الوجهاء المدروجة أساميهم أدناه في الوظائف المحررة بحذاء اسم كل واحد منهم .

قضاء غدامس القائمقام مسعود بك فكيني

قضاء نالوت القائمقام خليفة بك بن عسكر

قضاء الزنتان القائمقام الحاج امحمد المخترش

قضاء الجوش القائمقام العزابي إبراهيم بك

قضاء ككلة القائمقام علي بك بن عبدالرحيم

ناحية الرحيبات المدير السيد محمد الشين

ناحية الرجبان المدير سالم الشاوش

ناحية الحوض المدير السيد محمد صهيب

ناحية الأصابعة المدير السيد عون السعداوي المحمودي

ناحية مزدة المدير السيد محمد بن الأمين البوسيفي

ناحية الخلايفة المدير السيد محمد بن الأمين الرياني

ناحية كاباو المدير السيد مسعود بوقطاية

ناحية الحرابة المدير عبدالقادر العيساوي

ناحية الصيعان المدير نصر بن الحاج خليفة

ناحية المهاجرين المدير السيد الوحيشي

المادة الثالثة : إن هذه التعيينات يكون اعتبارها من ابتداء تاريخ هذا الأمر وسيصدر أمر آخر منا في تقدير رواتب المأمورين المومئ إليهم .

حرر في طرابلس 30 سبتمبري سنة 1919

الوالي ميتزنجر

وقد تفاوتت وطنية هؤلاء الأشخاص ، فمنهم من استمر مواليًا للطليان ومنهم من تذبذب في ولائه ، ومنهم من امتشق السلاح عند تحرك القوات الإيطالية نحو احتلال الوطن . ومن القوائم السابقة يتضح لنا أن أغلب القيادات التي كانت للمجاهدين في معركة الوخيم كانت تتقاضى رواتب من الطليان قبل المعركة . من الرجبان الحاج محمد فكيني الذي أنعمت عليه إيطاليا برتبة [كوالير] من قبل ملك إيطاليا في 1915/2/4 مع مجموعة من الأعيان منهم علي بن تنتوش ولم تلغ هذه الرتبة إلا بمرسوم في فبراير 1923 بأمر من ملك إيطاليا . وكذلك أخوه مسعود

فكيني وسالم الشاوش ومن الزنتان علي الشنطة وأحمد المخترش وسالم بن عبد النبي الذي عيّن وكيل قائمقام غريان . ومن الحرابة إبراهيم بو لحباس وعبد القادر العيساوي ، ومن الصيعان المدير نصر بن الحاج خليفة.
إذن أغلب قيادات المجاهدين في معركة الوخيم الذين كان من المفروض عليهم منع الإيطاليين من التقدم لاحتلال الوطن ، كانوا على اتصال بالطليان ويتقاضون رواتب.))[1].

ويلاحظ أن القشاط وهو يقفز على مجريات الأحداث وتسلسلها ، يحاول أن يتصيّد جملاً وكلمات ، ثم يصدر أحكامه عليها بالإدانة ، وهو في هذا الأمر حاله حال من يفسّر الآية الكريمة ناقصة : ((ولا تقربوا الصلاة)) ليعني تفسيرها على هذا النحو منعًا قطعيًا لأداء الصلاة ، ودون أن يكمل بقية الآية : ((وأنتم سكارى)) كي يكتمل التفسير على نحو صحيح وشرعي.

لذلك فالقشاط هنا يشير إلى تعيين أعضاء في حكومة القطر الطرابلسي وأن هؤلاء المعيّنين يتقاضون مرتباتهم من إيطاليا ، ولذلك فهو يستغرب ويدين ليصل إلى النتيجة التي يرغب في إبرازها ، حين يشير إلى أن المعارك التي وقعت مثل الوخيم والجوش والسلامات تحديدًا كانت قيادتها تستلم رواتبها من الإيطاليين وبالتالي فلا يمكن أن تصدّهم أو تمنعهم .

أما بخصوص قوله أن أغلب قيادات معركة الوخيم كانت تتقاضى رواتب من الطليان ، فإن المؤلف يخلط في الأمور ، ويحاول أن يلصق اتهامات بقيادات الجهاد كي يعطي مبررًا لاستمرار صياغة الأحداث التي يرسمها لدور الشخصيتين والقبيلة بعد ذلك ، وقد تناسى المؤلف أن تلك الرواتب المرتبطة بتنظيمات إدارية في كيان أنشأه المجاهدون [الجمهورية الطربلسية] لم تكن منحة من إيطاليا ، أو مقابل خدمات يقدمها هؤلاء القادة ، بل كانت نتيجة لشدة المقاومة ، وساعدت الظروف الدولية على فرضه على إيطاليا ، والوصول إلى هدنة واتفاق معها على صيغة مشرّفة من الحكم الذاتي ، فيما عرف لاحقا بصلح سواني بن آدم ، والذي قبلته إيطاليا على مضض ، وسعى المتشددون من الإيطاليين خاصة بعد وصول الفاشيست إلى سدّة الحكم إلى التنصّل منه ، بعد أن استكملوا استعداداتهم الحربية .

لذلك فمسألة الرواتب مسألة لا ينبغي أن تفسّر على النحو المنحرف الذي يجنح فيه خيال القشاط ، وتصويره بالشكل الذي يسيئ إساءة بالغة لذلك الجيل

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 161– 164.

المجاهد لأن المرتّب لم يكن هو الغاية في مفاوضات سواني بن آدم، التي لم تتطرق إلى أي ميزة من المزايا الشخصية، ولكن الاستقلال ونيل الحقوق السياسية والوطنية هو الأساس.

***– حقائق ونتائج اتفاق صلح سواني بن يادم**

في أواخر عام 1918 بدأت تظهر ملامح انتهاء الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا والدول المتحالفة معها ألمانيا والنمسا وبلغاريا، وانتصار بريطانيا وحلفائها وبعد توقيع اتفاقية الهدنة بين تركيا ودول الحلفاء يوم 1918/10/31 ولمواجهة الوضع الجديد بعد استسلام تركيا، وحتى لا يقع المجاهدون فريسة اتفاق آخر شبيه بصلح لوزان عام 1912 الذي تنازلت فيه تركيا لإيطاليا عن ليبيا دون أخذ رأي الليبيين، فقد تنادى قادة الجهاد وقرروا في مؤتمر مسلاته الذي عقد بتاريخ 1918/11/16، إنشاء حكومة لإدارة البلاد أسموها الجمهورية الطرابلسية تشكّلت من مجلس ضمّ أربعة أعضاء ، ومجلس تشريعي يضم **(22)** عضوًا وقد اتخذت من مدينة العزيزية مقرًا لها ، وصدرت عن المجلس الرباعي عدة بلاغات تدعو الدول إلى الاعتراف بها ، ومن ضمنها إيطاليا التي رفضت الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية ، وبدأت المواجهة العسكرية بين الطرفين في عدة معارك منها معركة جنزور، ورأس الغولة ، ونتيجة للموقف المتشدّد والمتصلّب الذي اتخذه المجاهدون من جهة ، والأوضاع الداخلية التي تمرّ بها إيطاليا من جهة أخرى ، فقد طلبت إيطاليا الدخول مع قادة المجاهدين في مفاوضات حقنًا للدماء ، وكي تتمكن خلال الهدنة من ترتيب أوضاعها على نحو يسمح لها في المستقبل فرض سياستها وتوجهاتها على المجاهدين ، ويقول الجنرال [بانتو] في رسالة موجّهة إلى عدد من زعماء المجاهدين بتاريخ 1919/2/26 :– ((الحكومة الإيطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر وتعلم أنكم أنتم كذلك حاضرون ولكن قبل انصباب الطرفين في المعارك رأت واجبا عليها وعليكم حلّ كل شيء لكي لاتسفك الدماء ثانيا ، وأنا أظن في الإمكان فهم المشاكل بحضور الطرفين ... ولأجل هذا فأنا أسألكم الاجتماع ... وإنني منتظر إشعاراتكم أين وكيف ومتى تكون الملاقاة...))[1].

---

1 – رسالة الجنرال بانتو إلى عدد من قيادات المجاهدين ، من أرشيف الحاج محمد فكيني .

وقد بدأت المفاوضات يوم 1919/3/10م ، وانتهت بتوصل الجانبان إلـى اتفاق مبدئي يوم 1919/4/21م ، ووافق عليه ملك إيطاليا بتاريخ 1919/6/1م وعرف فيما بعد بـ [القانون الأساسي لقطر طرابلس] ونصّ القانون الذي ضمّ **(40)** فصلاً على المساواة بين الليبيّين والإيطاليّين في كافة الحقوق المدنية والسياسية ، وقد ارتكزت قواعده الأساسية في المواد التالية :-

1- تسمى الحكومة [حكومة طرابلس الغرب]

2- يدير أمر قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين أعضائه ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام .

3- يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطات الملكية والعسكرية معيّن من جانب ملك إيطاليا .

4- يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي ، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق ، وتكون مدته أربع سنوات كلما جدد انتخابه جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه .

5- لا تنفق ضرائب البلاد إلا فيها حسبما يقرره مجلس نوابها في وضعها وتوزيعها وجبايتها.

6- لا يطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي ويوافق عليه لمصلحة البلاد .

7- ينظم من أبناء البلاد جند وطني حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام .

8- للمواطنين حق التوظف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان .

9- التعليم الأهلي حرّ تحت إشراف الحكومة .

10- اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية .

11- ينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة وملحقاتها .

12- يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية وهو يعيّن القضاة.

13- للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية ، الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب والمحاماة وغيرها في طرابلس .

14- الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق .

15- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية .

16- تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق .

وختمت مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفا وأربعين فصلا بتوقيعات الآتية اسماؤهم وهم :-

عن العرب : سليمان الباروني-أحمد المريض- رمضان السويحلي- أحمد الصويعي نيابة عن عبدالنبي بالخير.

عن الطليان : الجنرال ماجور تارديتي ، رئيس الدائرة السياسية - الجنرال [باسكانو] رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي))(1).

ودخل المجاهدون طرابلس في يوم مشهود ، واستقبلهم الوالي يرافقه الجنرال تارديتي ، وتم خلال الاجتماع تقديم أعضاء الحكومة الوطنية للوالي الذي أصدر فيما بعد قراره الذي أشار إليه القشاط سابقًا بتعيين أعضاء مجلس حكومة قطر طرابلس والهيئات الأخرى حسب نص الدستور .

وقد علّق غراتسياني على هذه النتيجة التي توصّل إليها الجانبان بقوله:- ((تلاشى نهائيا كل ظل لسيادتنا الفعلية على طرابلس الغرب وأصبح السبيل ممهدًا للطمات شديدة جديدة نتلقاها)) ، **ويضيف** :- ((وقد انعقدت الاجتماعات الأخيرة في خلّة الزيتونة في شهر مايو 1919 ، وفي 26 من ذلك الشهر تم تبادل الأسرى ودفع في نظير ذلك عدة مئات الآلاف من الليرات للزعماء العرب ، وقد قامت الاستعدادات في أثناء ذلك على قدم وساق في مدينة طرابلس لاستقبال الأعيان الآتين لتمثيل ذلك الشعب الذي كان يستعد للمرة الأولى في التاريخ لممارسة نوع جديد من الحرية لا عهد له به وللاحتفال بهم احتفالا عظيمًا والترحيب بهم بأجلى مظاهر الغبطة والسرور وكانت هذه الاحتفالات هي الأخرى من أعمال الإذعان التي لم يسمع بها أحد من قبل))(2).

كما يقول أيضًا :- ((كان الزعماء الرئيسيون الذين جعلوا حقنا مقصورًا على سلطة وقتية وهمية غير مباشرة وعلى موقف من مواقف التسامح والهوان على سلطة هؤلاء الزعماء هم [رمضان الشتيوي] و [أحمد المريض] و [الصويعي الخيتوني] و [عبدالرحمن عزام] و [محمد فكيني] و [علي الشنطة] والأخوان

1 - محمد مسعود فشيكة، **رمضان السويحلي** ، دار الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى، 1974، ص 208.

2 - غراتسياني ، المصدر السابق ، ص 26.

[هادي ومختار كعبار] و[خليفة بن عسكر] وغيرهم ... وسوف نرى في معرض الأحداث كيف أن الانتقام الإلهي قد أصابهم الواحد تلو الآخر))[1].

وعمومًا لا نريد أن نجادل محمد سعيد القشاط في أهميّة صلح سواني بن آدم وأثره على الليبيّين والإيطاليّين ، وكيف كان كل منهما يراه وفق حساباته ووجهة نظره ولعلّ ثقل هذا الصلح ونتائجه على الجانب الإيطالي الذي رأى فيه إهانة لإيطاليا كان أكثر وطأة وإيلامًا ، فعمل على إفشاله ودعاه إلى استعمال القوة المفرطة واتباع سياسة جديدة تجاه ليبيا ، لفرض السيطرة عليها واستعمارها بكل الوسائل المتاحة ، ولكن نشير إلى أن إنشاء مجلس حكومة قطر طرابلس كان منصوصًا عليه في مواد القانون الأساسي الذي نتج عن صلح بن يادم ، والذي كان يهدف إلى تهيئة طرابلس للاستقلال الذاتي ، ومكّن أعضاء الجمهورية من أن تكون لهم أدوار هامّة في تسيير دفة البلاد .

وقد نصت المادة 23 من القانون الأساسي على ما يلي :– ((إذا خلا منصب متصرف أو قائمقام أو مدير بعد ابتداء العمل بهذا الأمر يقع التعيين في الوظائف المذكورة بأمر من الوالي بعد استماع هيئة مخصوصة تسمى [مجلس الحكومة] يرأسها الوالي أو من ينوب عنه وهي تتألف من عضوين يعينهما الوالي وثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس النواب المحلي من خارج المجلس ، وتجدد الهيئة المذكورة عند كل انتخاب جديد لمجلس النواب المحلي))[2].

وأعطت المادة الرابعة والعشرون حق تعيين أعضاء المجلس للوالي فنصت على:–((قبل انتخاب مجلس النواب المحلي فالأعضاء الثمانية يعينهم الوالي بأمر منه بوجه وقتي بناء على إشارة من رؤساء جهات طرابلس المختلفة بالاتفاق بينهم إن الأعضاء المذكورين يبقون في وظائفهم ما دام مجلس النواب المحلي الأول))[3].

ويتضح من نصّ المادة السابقة أن اختيار هؤلاء الأعضاء الثمانية متروك لليبيين ، وبناءً على اتفاقهم دون تدخل من إيطاليا ، والتي كعادتها حاولت أن تتدخل لفرض بعض الأسماء ، ولكن رؤساء المجاهدين رفضوا ذلك .

---

1 – المصدر السابق ، ص 28.

2 – الطاهر الزاوي ، المصدر السابق ، ص 365.

3 – المصدر السابق ، ص365.

كما حدّدت المادة السابعة والثلاثون القواعد التي تحكم تنفيد هـذه الآليـات فنصّت :-((التراتيب اللازمة للعمل بالأصول المندرجة في الفصول السابقة وسائر التراتيب العامة المتعلقة بإدارة القطر الطرابلسي ستوضع بأوامر ملوكية))[1].

وتنفيـذًا للمادة الرابعة والعشرين من القانون الأساسي صدر مرسوم ولائي لتعيين أعضاء مجلس الحكومة الثمانية بتاريخ 4 سبتمبر 1919م.

ومن الطبيعي عند إنشاء نظام للإدارة أو كيان سياسي ما، أن تكـون لـه نواحي مالية وميزانية للإنفاق على أعماله، وصرف المرتبات للموظفين العـاملين في أجهزته، وكذلك للأعضاء المنتخبين في مجالسه وهيئاته العليا، وفي مثل حالـة القانون الأساسي لقطر طرابلس الذي لم يكن منّة أو عطفًا من إيطاليا على الليبيـين بل كان نتاج صلابة موقف المجاهدين، وحنكتهم السياسـية التـي اسـتفادت مـن الظروف الدولية السائدة آنذاك، والظروف الداخلية التي تمرّ بها إيطاليا نفسها مـن تصارع فيما بين الأحزاب، فأجبروا إيطاليا على أن تتفاوض معهـم حـول شـكل سياسي وإداري يمنحهم حقوقاً، أثرت على شـكل ومضـمون المفهـوم الإيطـالي الإستعماري تجاه ليبيا الذي يتلخّص في أنها الشاطئ الرابع لإيطاليا.

وحول طبيعة عمل مجلس الثمانيـة ، والأحـداث التـي رافقـت عملـه والدسائس التي استخدمتها إيطاليا لإفشال المجلس ، وإعادة تركيبه وفق مصـالحها بما يمكنها من السيطرة على قراراته ، يقول رفائيل رابكـس:- ((عـيّن مجلـس الحكومة الذي نصت عليه المادة **23** من القانون الأساسي بموجب مرسوم ولائـي صادر في 4 سبتمبر 1919 ، وكانت حياته عصيبة ومتعثرة عقد جلسته الأخيـرة يوم 8 يونيو 1920 ، ولم يتمكن بعد ذلك من العمل لأن أعضاءه أحمـد الشـتيوي ومختاركعبار ، ومحمد فكيني ، وعلي الشنطة ، انسحبوا الواحد تلو الآخر، وبالرغم من الدعوة المتكررة التي وجهت إليهم للحضور فقد فضّلوا عدم الاستجابة والتغيّب عن الجلسات ، ولكي تعطى قوة للمادة 23 من القانون الأساسي كان من الواجـب إضفاء شكل جديد على مجلس الحكومة وإعادة تشكيله ، وفـرض قواعـد جديـدة لتنظيم أعماله وحسن سيرها ، وقد عالج المرسوم الولائي الصادر فـي أول ينـاير 1922م هذا الأمر، وتم بموجب مرسوم ولائي صـادر فـي 26 مـارس 1922م تعيين أعضاء مجلس الحكومة الجديد وهم : حامل وسام الضابط الأكبـر [غرانـد

---

1 - المصدر السابق ، ص368.

أوفيشالي] ، حسونه القره مانلي ، و[الفارس] الكاواليير أحمد الفساطوي[وهو كان أحد أعضاء المجلس المنحل] ، و[الفارس] الكاواليير موسى قرادة وأضيف إليهم بموجب مرسوم ولائي لاحق مؤرخ في 3 مارس 1923م الكومانـداتور يوسف خربيش مكافأة له على الخدمات التي قدمها ، واستحق عليها التقدير كما سيأتي ذكره فيما بعد))[1].

إن تحليل النص السابق، يوضح النقاط التالية:-

1- إن تعيين أعضاء مجلس الحكومة تمّ بعد مضي أربعة شهور على توقيع القانون الأساسي، وهي الفترة التي تداول خلالها رؤساء المجاهدين في طرابلس لاختيار من يمثلونهم في مجلس الحكومة، وتمّ تقديم قائمة بأسمائهم يوم 3 سبتمبر 1919 م، وصدر بتعيينهم الأمر الولائي السابق في 4 سبتمبر 1919م .

2- نتيجة لتدخّلات الإيطاليين، وعدم رضاهم على ما آلت إليه الأمور في طرابلس، وشعورهم بالأثار السلبية لهذا الصلح على مستقبل مخططاتهم الإستعمارية تجاه ليبيا، كما بيّنه الكثير من الساسة والقادة العسكريين الإيطاليين فقد سعوا إلى إحداث إرباك في آلية عمل المجلس ، وإحداث انشقاق على مستوى الجبهة الداخلية للمجاهدين ، باتباع سياسة فرق تسدّ، والتي انجرّ بسببها عدد من المجاهدين ، فحدث اصطدام بين الليبيين في أكثر من جهة، وأدت هذه الأعمال إلى توقف المجلس عن عقد جلساته، التي كان آخرها بتاريخ 8 يونيو 1920م، حيث قاطع جلسات المجلس احتجاجًا على ذلك كل من: أحمد الشتيوي، مختار كعبار الحاج محمد فكيني، علي الشنطة، وهم نصف أعضاء المجلس ويمثلون الثقل السكاني والجهادي في منطقة طرابلس في الساحل والجبل، أي أن حضور هؤلاء الأعضاء فعلياً لأعمال المجلس، ومشاركتهم فيه لا تتجاوز **(10)** شهور من بداية تأسيسه.

3- خلال الفترة التي تلت انقطاع الأعضاء الأربعة عن حضور جلسات مجلس الحكومة ، وتطوّر الأمور على ما أوردناه ، كان الموقف الذي اتخذه عضو مجلس الحكومة محمد بن الفقيه حسن ، وهو يرى ما آلت إليه الأوضاع ، هو تقديم الإستقالة من عضوية المجلس احتجاجًا على تغيّر مهام المجلس،

1 – رفائيل رابكس ، **تأكيد السيادة الإيطالية على طرابلس الغرب** ، مخطوط ، ص 428.

واتجاهها نحو أمور أخرى ، وهو موقف وطني يحسب له ، ولــم يكــن كمـــا يدّعي القشاط بسبب رفض مرتب أو مزايا مالية .

4- استمرّ مجلس الحكومة معطلاً ، وفي حالة توقف لأكثر من سنتين ، حيث سعت إيطاليا للاستفادة من هذه الظروف لتعيــين أعضـــاء جــدد محــلّ الأعضـــاء المنسحبين المحتجّين ، بغية تحقيق مآربها ، وتمرير سياستها القائمة على شـــعار [فرق تسد] عبر هذا المجلس ، خاصة وأن تلك الفترة شهدت تنـــامي النزعـــة الإستعمارية الفاشية ممثلـــة بالثـــالوث الإســـتعماري [موســـوليني- فـــولبي- غراتسياني] ، ونجد فولبي إثر تعيينه في يوليو 1921م واليا على طـــرابلس ، وهو المعروف بدهائه وحنكته السياسية ، وأساليبه الاستعمارية ، يتحـــدث عـــن هذه الظروف فيقول :- ((وصلت إلى طرابلس ، فوجدت وضعا اسوأ مما كنت أتصور فقد كانت الروح الإيطالية منهارة ، ونفـــوس العـــرب مليئـــة بالريبـــة والاستهانة والأراضي المحتلة قاصرة على مدينة طرابلس ، والثـــوار يجبـــون الضرائب في نفس تاجوراء، وكان الشريط الساحلي حتى زوارة داخل الأسلاك، كما كان احتلالنا للعزيزية والخمس معزولا ومحصورا داخل الأسلاك... وقـــد تكون لدي الانطباع بأننا نعيش في لبس، وأن هذا اللبس غير واضح بكل أبعاده لدى روما، وأن من الواجب تحطيمه بأي ثمن. وبينما كنت مســـتغرقا بضـــمير مستشعر للواجب، في دراسة جميع السوابق السياسية والعسكرية التـــي جـــرت خلال العشر سنوات الماضية على الاحتلال، وبعد أسابيع قليلة مـــن وصـــولي اقترحت على الحكومة المركزية موافقتي على احتلال مصراته البحرية، وغايتي من ذلك تحطيم المماطلات لتصعيد الوضع كله. وقد أنكرت عليّ حكومة رومـــا الوسائل، وأبدت اعتراضا على المبدأ، مبررة ذلك بأسباب سياسية داخلية خلافا لرأي الوزير المسئول الذي كان يشاطرني الرأي...))[1].

وخلال هذه الفترة برز موسوليني المعروف بنزعتـــه الفاشـــية ، مســـتغلاً الشعارات القومية والوطنية ، لتهييج مشاعر الإيطاليين في الأحداث التي تمرّ بهـــا إيطاليا والتخبط والفوضى السياسية نتيجة تصارع الأحزاب ، حيـــث تمكّـــن مـــن الوصول للحكم في أكتوبر عام 1922م وقد إستطاع أن يوحّد الجبهة الداخلية فـــي

---

1 – د .خليفة محمد التليسي ، **بعد القرضابية** ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1973 ، ص14.

إيطاليا ويقضي على الأحزاب ذات التوجهات المتعاطفة مع القضية الليبية ، فكـــان أكبر سند لمخططات الوالي فولبي تجاه طرابلس.

أما تعطّش غراتسياني لإشعال نار الحرب، ونقض الصلح القـــائم لإعـــادة الإستيلاء على طرابلس ، والقضاء على المقاومة فيها تمهيدًا للسيطرة علـــى بـــاقي البلاد ، فقد وضح عبر استيائه من الوضع القائم ، وما آلت إليه الأمور ، فهو يرى أن السنوات ما بين 1919–1922 هي فترة الإذلال لإيطاليا فيقول:– ((وفي شهر سبتمبر 1919 أعلن الدستور الذي فسره الأهالي بطبيعة الحال وهو بشـــكله هـــذا على أنه اعلان عظيم عن ضعفنا . وماذا كان يهم الذين قبلوا هذا الصلح إذا كانت هناك في ترهونة وفي كل طرقات فزان وعلى طول الشاطئ وفي الوديان المملوءة بالأوحال والأودية المنعزلة لا تزال تبدو ناصعة البياض عظام جنودنا الذين قتلـــوا في عامي 1914 و1915 ؟ كانت السياسة أي سياسة الاسترخاء والضعف والتردد قد أخذت تنفث سمومها وكل ما فيها من دناءة ومكائد إذ كان دعاتها يهمسون قائلين [إننا جميعا أخوة !] ففقدنا بذلك الكثير في سنة 1919 التي كانت سنة الديماجوجية وسنة التنازل والهوان بالنسبة لإيطاليا))[1].

1 – رودولفو غراتسياني ، المصدر السابق ، ص 27.

7- **سبب استقالة محمد بن الفقيه حسن من عضوية مجلس الحكومة.**

يقول القشاط وهو يتحدّث عن مرحلة الجمهورية الطرابلسية وما تبعها من أحداث :-((ولم تستمر الجمهورية طويلا وتم صلح سواني بن يادم الذي كان ضربة في صميم اللحمة الوطنية واعترافا صريحا بالانضواء تحت الحكم الإيطالي .... **وعيّن** الحاج فكيني أحد ثمانية اعضاء تحت رئاسة الوالي الإيطالي يقيمون في طرابلس ويشرفون على تنفيذ بنود الصلح . وأرسل ابنه حسن إلى تورينو لدراسة الحقوق هناك ..... **وقد كان** الجميع الذين قبلوا مناصب بموجب الصلح يتقاضون رواتب مجزية من إيطاليا ، وقد اعترض المرحوم محمد الفقيه حسن على هذه الرواتب واعتبرها شراء ذمم ، وحاول إشعار الأعضاء بذلك وامتناعهم عن أخذها ولما لم يستجب أحد منهم إلى رأيه قدم استقالته من عضوية المجلس ، كما أخبرني ابنه الشاعر المرحوم أحمد الفقيه حسن ..))[1].

وكما تعوّد القشاط حين يريد أن يغالط حقائق التاريخ أن ينسب الكلام شفاهة إلى الأموات ، ليتجنّب أن يكذّبه الأحياء منهم ، وهذا ما فعله عند الحديث عن سبب استقالة محمد الفقيه حسن من عضوية مجلس الحكومة ، ونسب الكلام إلى ابنه أحمد الذي توفي رحمه الله ، وسبق له أن أورد كلامًا لعدد من مشائخ الزنتان الذين استند على كلامهم، ورواياتهم في كتبه السابقة، وبعد أن وافتهم المنيّة عليهم رحمة الله ، نقض كلامهم ، بل وتجرأ أن يصفهم بالكذب مدعيًا أن حقائق جديدة تأكدت له تفنّد ما ذكره هؤلاء من روايات، دون أن يتخلق بأخلاق الإسلام الذي يدعو إلى ذكر محاسن الموتى.

إن سبب استقالة محمد الفقيه حسن من عضوية المجلس ، لم تكن بسبب مرتب أو مزايا ، بل أن سببها ما أورده هو في النصّ التالي الذي أرسله إلى جريدة اللواء الطرابلسي الذي لم يتضمّن أي ذكر لمرتب أو مزايا :-

((**حضرة الفاضل القائم بتحرير جريدة اللواء الأغر**

أنشر بواسطة لوائكم على عموم أهل الوطن صورة استعفائي من عضوية مجلس الحكومة الذي قدمته بتصرف قليل لوكيل والي الولاية ليكونوا على بيّنة من أمرهم والله يتولى هدايتنا في حركاتنا وسكناتنا وسائر تصرفاتنا وهذه هي الصورة.

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 153-154.

كانت آمال العموم من أهالي القطر الطرابلسي متجهة نحو مجلس الثمانية وكانوا معلقين عليه كل حاجاتهم وتمنياتهم حتى فيما هو خارج عن صلاحيته ودائرة وظيفته .

وسرعان ما انعكست الحال فعاد الأمل يأسا والرجاء خوفا والتوجه إعراضا وساءت الظنون فيما كان ويكون [والسبب في ذلك على ما ظهر لي هو توالي انعقاد جلساته السرية التي لا يتجاوزعدد أعضائها النصف مع وجود غيرهم] وتقريرها أمورا لا تعلم إلا بعد ظهور آثارها السيئة للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار وتشكيل بعثات من بعض الأعضاء وإرسالها بصورة غير رسمية خطتها خفية لا يعرفها حتى بقية الأعضاء فضلا عن غيرهم .

ومع هذا فإن عدد جلسات المجلس الرسمية [وقد مضى على تشكيله عام] لم تتجاوز عدد الأصابع . ومن العجب أنه لم يتفق لأعضائه الثمانية أن يجتمعوا كلهم في جلسة ولو مرة واحدة من هذه الجلسات المعدودة .

ومما يبرهن على استياء الأهالي ونفرتهم من هذا السلوك وعدم رضاهم عن مجلسهم أن سلطة الحكومة قد تقلص ظلها في أكثر الملحقات وساد تحكم الأقوياء على الضعفاء وتغلب سلطان الأعيان والرؤساء على سلطان الحكومة . فطرد بعض القائمقامين والمديرين من مراكزهم وعين غيرهم . وحبس أناس وأهين أخرون واعتدى فريق على فريق ، واغتصب أمواله يجري كل ذلك على مرأى ومسمع يشاهده أهل الجهة التي يقع فيها ولايصل منه شئ إلى مجلسهم الوطني [اللهم إلا بعض أعضائه الذين لهم الشأن الأول والأيدي العاملة في هذه الحركات والماجريات] إلى غير ذلك من الأسباب التي لم تصل إلى المجلس في أوانها ليعالجها بالعلاج الناجع النافع ولا أخالها تخفى على الحكومة .

لما رأى العاجز هذه الأمور وأمثالها تزداد من يوم إلى يوم ويزداد معها قلق الرأي العام واستياؤه من هذا السلوك وعدم رضائه عن المجلس [الذي يعتبره الكثيرون منحلا] كما رأيناها بأعيننا في جملة مكاتيب واردة من جهات مختلفة وسمعناه من كثيرين .

لما رأيت ذلك وأن فعل الفرد ينسب للجميع وأنه ربما خفي عن بعض من لا يعرف مسلكنا من سكان آفاق الولاية ، <u>فعلت ما هو في امكاني واختياري فنشرت هذا الاستعفاء مرجحا الصالح العام على الصالح الخاص تاركا لعموم أهل الوطن إبداء رأيهم في هذا المجلس وحكمهم له أو عليه وانتخاب غيري إن شاؤا أو</u>

حل المجلس وإعادة الانتخاب أو تأجيل ذلك إلى أن يتألف المجلس النيابي إذ الخيرة لهم في ذلك كله . والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل .

طرابلس في 30 ذي القعدة سنة 1338

عضو مجلس الحكومة

محمد بن الفقيه حسن))[1].

وإذا كان المرحوم محمد بن الفقيه حسن يثبّت سبب استقالته في حينه وينشرها في جريدة اللواء بخطه وتوقيعه آنذاك .. فلماذا يورد القشاط أسبابًا أخرى لا علاقة لها بالموضوع من قريب أو بعيد، ولم يتطرّق إليها صاحب الشأن.

---

1 – زعيمة الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** ، الجزء الثاني ، ص410-411.

8- إدعاء عدم تبعية قبيلة الصيعان لقيادة الحاج محمد فكيني.

يقول القشاط :- ((... تبين لكل ذي عينين أن الإيطاليين سيهاجمون المنطقة الغربية وأنهم سيتقدمون باتجاه الجبل عن طريق الجوش . وهم في اختيارهم لهـذه الطريق سيهاجمون قبائل الصيعان في المنطقة ويتخـذون مـن يوسـف خربيشـة وأتباعه قاعدة لمساعدتهم ومركزا لانطلاقهم عندما يصلون إلى الجبل . وقال المثل (إن الحديد بالحديد يفلح) فهم سكان المنطقة وعلـى خبـرة بطرقهـا وآبارهـا وتضاريسها . انتقل الشيخ المبروك الغدي إلى الهيئة لإعلامهم بنوايا الطليان وطلب الدعم والمساعدة على صد الطليان قبل أن يتقدموا للجبل . كلفت الهيئة الحاج محمد فكيني بمن معه من الزنتان والرجبان ، والسبعة والغنائمة وأولاد شـبل والعواتـه والقنافيد ، والفياصلة ، والسلامات ليتصدوا للقوات الزاحفـة ويقومـوا بمسـاعدة الصيعان على ذلك ...))[1].

ثم يضيف في موضع آخر:- ((..غير **أن** هناك قيادات أخرى لم تستسـلم ولم تمد يدها ضمن هذه المجموعات أمثال المبروك الغذي من الصيعان الذي ما إن علم بتقدم الطليان حتى توجه إلى هيئة الإصلاح المركزية يستنجد برئيسـها الـذي كلف الحاج محمد فكيني ومن معه من الزنتان والرجبان والقبائل الصغيرة الأخرى في الجبل لسد هذه الثغرة ، وبالتالي يتضح أن معركة [الوخيم ومن بعدها معركـة الجوش ومعركة السلامات] كانت مسبقًا محكومًا عليها بالفشل لضعف القيادة لـدى المجاهدين وخور عزيمتها))[2].

ومن النص السابق يلاحظ أن القشاط وهو يقفز على مجريـات الأحـداث وتسلسلها يحاول أن يتصيّد كلمات ، وينظم جملاً ، ليـوهم القـارئ بـأن لقبيلـة الصيعان قيادة مستقلة ، وأن هدف الإيطاليين هو مهاجمة هذه القبيلة التي تناظرهم قوة وبأسًا وإبادتها كي تنطفئ جدوة المقاومة في المنطقة ، ويتسنّى لهـم احـتلال الجبل ، وأن استعداد المجاهدين هو لتقديم المساعدة للقـوة الرئيسـية [الصـيعان] المواجهة للطليان.

ولذلك فهو يعطي بعـدًا قياديًـا لإحدى شخصيات كتابه وهـو المبـروك الغدي ، ويضعه في مقارنة عجيبة مع الحاج محمد خليفة فكيني، وفـي مسـتوى

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 146.
2 – المصدر السابق ، ص163.

واحد، فيشير أنه في حين استسلم الحاج محمد فكيني ومدّ يده للراتب ، فإن المبروك الغدي كان صلبًا ولم يستسلم مطبقًا يده ولم يمدّها رغم كل وسائل الإغراء متناسـيًا أن المبروك الغدي شخصية ثانوية في حركة الجهاد ، وأن كـل المصـادر التـي أرّخت لمرحلة الجهاد منذ عام 1911 وحتى 1931م خاصة مذكرات الشيخ سليمان الباروني ، التي كانت تتناول الأحداث المحيطة بالمنطقة وقبائلها لم يرد فيها ذكـر المبروك الغدي إلا مرّتين فقط، وأن نهايته كما يذكرها المؤلف كانت فـي الصـفّ المعادي للمجاهدين حين انضمّ إلى خليفة الزاوي وقتل في أحداث تلك الفترة.

وللتوثيق والتوضيح نورد ما كتب عن المبروك الغدي في كـل المصـادر المكتوبة لنتساءل بعدها : **هل يجوز إجراء مقارنة بين شخصيتين الأولى زعامـة وقيادة لجبهة جهادية عريضة ، والأخرى شخصية ثانوية لم يشـر أي باحـث أو مطلّع عاصر الأحداث أو من الأجيال اللاحقة ، أو حتى من الوثائق الإيطالية التي أرّخت لسير المعارك والأحداث منذ بداية الغزو الإيطـالي لليبيـا إلـى أن هـذه الشخصية لعبت أي دور قيادي في تلك المرحلة !!!! ؟ .**

***- الوثيقة الأولى : برقية موجّهة إلى الشيخ سليمان الباروني.**

((نزاد – سليمان بك الباروني . متصرف اللواء ساسي خزام بك

التوقيع [جمالي]

أخذنا جواب من باريس من [عزيز ثابت باشا] مآله الاستفهام عن الحرب يقول فيه [هذه مراجعات مضرة] فرجعنا له الجواب . بعد ثمانيـة أيـام نباشـر الهجوم لا يخفاكم أن عموم الملة مترقبين المناوشات . المسموع من الإسكندرية بأن بنغازي منذ مدة باشروا الحرب حسـب المسـموع . العـدو بلـغ غريـان العجيلات العاولفة- هكذا كتبت ولا أعلم مكانا يشبهها – ز- لما بلغهم ذلك فسد فكرهم وقالوا إن لم نباشر الحرب سترجع الأهالي وتقول : ليس هناك حرب مـا دامت هذه سيرتنا والعدو عمر استحكاماته في كل مكان خارج القرى كمـا هـو معلومكم وبهذا سيصعب علينا كل شئ ولنقل ومن طرف الله فضلا عـن العـال منتظرين منك التعريف عن كل الأحوال ومتى نباشر الحرب لأننـا مـن هنـا سنباشر . أرجوكم صدور أمركم إلـى قائمقـام نـالوت ومـدير الرحيبـات أن يتداركونا بالمجاهدين ليكونوا مدد إلى النوائل وزواره . **الصيعان رغبـتهم فـي**

الدقيق فقط بالخصوص . المبروك الغدي إياكم أن تتركوه إن تركتموه لا نأمن الخراب .. وهذه أمور بهمتكم تحصل افندم .

13-14 كانون أول 328 بشول عبدالله يوسف))[1].

وما يلاحظ على هذه البرقية هو مطالبة عبدالله يوسف للشيخ سليمان الباروني إمداده بالمجاهدين من نالوت والرحيبات ، لشدّ أزر المجاهدين من النوائل وزواره ، في حين أنه يشير إلى يأسه من الاعتماد على الصيعان ، وهم أقرب جوارًا للنوائل وزواره ، كما ينبّهه بأخذ الحيطة والحذر ، وعدم الركون إلى المبروك الغدي لأنه يسعى إلى الخراب.

***- الوثيقة الثانية : كتب الشيخ سليمان الباروني في مذكراته يقول :-**

((17 نيسان ركبنا إلى العزيزية بعد الجلوس ومعنا المريض بك والصويعي بك وبن تنتوش بك وبقية الجماعة وفكيني بك ..... **وأتى الغدي** والختروشي من تطوين وأفادا أن مأموري فرنسا يشيعون أن الباروني يولي أحبابه [نفوسه] ويؤخر العرب وهي [فتنة] يريدون إشاعتها...))[2].

كما يتعمّد المؤلف في غياب الوثيقة التي تظهر حقيقة الحدث ، سرد روايات منقولة شفويًا عن الغير ، ونسج حكايات يقصد منها صياغة رواية تنسجم وطبيعة الحدث ليسجّل بها موقفًا متميّزًا يكون في الغالب لقبيلته ، وإن كان من صنع الخيال ، ومحاولة استبعاد تبعيّة قبيلته من قائمة القبائل المنضوية تحت قيادة الحاج محمد فكيني.

وللتأكيد على إنضواء قبيلة الصيعان مثلها مثل بقية القبائل في المنطقة تحت قيادة الحاج محمد فكيني ، نشير إلى أنه عند مراجعة كتابه الأول [خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام] إستوقفتنا رواية تحت عنوان [**ابن عسكر والصيعان**] يقول فيها :-((سار ابن عسكر من نالوت بحملته إلى يفرن حسب طلب الشيخ الباروني وفي السيح نصب مخيمه استعدادًا للمعركة جنوب الجوش وأرسل في طلب الشيخ نصر بن الحاج مدير الصيعان وبعض أعيانهم .

---

1 - زعيمة الباروني، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** ، الجزء الأول ، ص 195-196.

2 - زعيمة الباروني ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي** ، الجزء الثاني ، ص248.

ولقد حدثني عبدالناصر براق وهو أحد أفراد الوفد قال : " جاء الشيخ نصر ومن معه إلى ابن عسكر في خيمته التي نصبها للقيادة وطلب منهم ابن عسكر الانضمام لمحاربة الرجبان والزنتان وعرب الشرق ولكن الصيعان رفضوا هذا الطلب وأجابوه نحن لا نقاتل المسلمين فإذا شئتم محاربة الطليان نحن معكم وإذا شئتم أن نتوسط بينكم بالصلح فنحن على استعداد أما محاربة المسلمين فلن نرضاها أبدًا " .

والصيعان قوم أشراف لا يأكلون المنهوبة والمسروقة ولا يحللون أموال المسلمين . وقد اشتبه عليهم الأمر ففضلوا الحياد فاعتزلوا الحرب الأهلية هذه .

غير أن ابن عسكر ارتكب خطأ في هذه المقابلة .. فإنه لما يئس من محاربة الصيعان معه أجابهم كما قال عبد الناصر براق وهو أحد الحاضرين.

" كلكم زي بعض . بالحرام ما بعدهم هم إلا أنتم " ، فرد عليه الشيخ نصر: "يكمش فيك ربي" "السماء مكموشة بغير عمد " ، وخرج جماعة الصيعان من الخيمة التي غطى خليفة بن عسكر رأسه ببرنسه فيها مغتاظًا من موقفهم .

وسارت حملة خليفة بن عسكر حتى وصلت إلى فساطو وذهب هو بمجموعة قليلة إلى يفرن ليستطلع الباروني ويستشيره في الخطة القادمة بناء على طلب الباروني . وقد كان للكلمة التي تفوّه بها أثناء الغضب أثر سيئ في مستقبله العسكري))[1].

هذا ما أورده محمد سعيد القشاط ، وثبته برواية شفوية كأساس لحدث وموقف شهم لقبيلته التي تأبى أن تنجرّ لقتال بين فئتين من المسلمين ، وتعرض القيام بدور لإصلاح الخلاف ، ولكن للحقيقة وجه آخر ينبع من الوثائق التي كتبها الصيعان لتوضيح موقفهم في هذه الأحداث ، فمن بين الوثائق والتي تنشر لأول مرة ، هذه الوثيقة التي أرسلها أهالي الصيعان إلى الحاج محمد خليفة فكيني معلنين أن سبب خلافهم مع خليفة بن عسكر ، هي الغنائم التي أخذها منهم بن عسكر وهم كما يقول القشاط [لا يأكلون المنهوبة والمسروقة ولا يحللون أموال المسلمين] ومعلنين فيها تقديم الولاء وتجديد قبول قيادته لهم كسائر عموم الولاية .

ويلاحظ أن من بين الموقعين على مضبطة الولاء والطاعة والعهد لقيادة الحاج محمد فكيني ، الشيخ المبروك الغذي الذي قدّمه القشاط قائدًا مناظرًا للحاج محمد فكيني !!! .

1 – القشاط ، **خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام** ، ص 178.

وتقول الوثيقة التي تنشر لأول مرة وهي مثبّتة في ملاحق الكتاب بنصــها الأصلي ما يلي :-

10جمادي الثاني 1338
(1920/2/29)

حضور جناب ذوي المكارم أعضاء حكومة القطر الطرابلسي
الحاج محمد فكيني وعلي بك الشنطة دام حفظهما آمين

بعد مزيد السلام عليكم ورحمته تعالى وأزكى تحياته والسؤال عن حالكم (غير مقروءة) وبعـد فقد بلغنا وتشرفنا بجوابكم المؤرخ 12 جمادي أول سنة 1338 ، قولكم أن خليفة بك بن عسكر جعل اعلانات وبعثها لبعض محلات وكما لا يخفاكم معاملته السابقة معنا والفتنة التـي وقعـت بيننا وبينه وهي من جانب الغنائم التي أخذناها وهو أكلها منا فمن ذلك الوقـت منقطعةالعلاقـة بيننا في جميع الأمور ولو أنه كاتبنا لا تظنوا يغرنا قوله ولا نعتبـروا أحوالـه . وتعلمـوا أن عمومنا منسرّة وممنونة بما جعلتم من تلك المصالح الذي حصلت وقولكم مناصحته هذا تعلموه لا ينظر قولنا ولا يمتثله ، ونحن مثلنا مثل عموم اسلام الولاية وقلدناكم أمورنا حيث جعلكم الله لتوفيق مصالحنا ولازلنا ندعو لكم بدوام العز وطول العمر والتوفيق في جميع أموركم والسلام .

10 جمادي الثاني سنة 1338

أعيان	**أعيان**	**أعيان**	**أعيان**
الشيخ	**الشيخ**		
المبروك الغدّي	**محمد أبوطيب**	**لطيف الحطاب**	**ضو الرقيق**

مدير ناحية الصيعان
نصر بن الحاج

توقيع
قائمقام الجوش
إبراهيم أبو الأحباس[1].

1 – ملحق رقم (30) من أرشيف الحاج محمد خليفة فكيني، تنشر لأول مرة، (الوثيقة رقم 3 بالملحق).

ومما يؤكد إنضواء الشيخ المبروك الغدي تحت قيادة الحاج محمـــد فكينـــي ما أورده الباحث فتحي ليسير في حديثه عن المناوشات التي سبقت معركة الـــوخيم بالقول :- ((وبإزاء التطور الذي اتخذته الأحداث اضطر خليفة بن عسكر في 14 ماي إلى العودة للوطية ، أما محمد فكيني فإنه اكتفى يوم 20 ماي بعملية صـــغيرة في المكان المعروف بالهبيلة عهد بها إلى مبروك الغدي))[1].

1 - فتحي ليسير ، المصدر السابق ، ص 305.

9- **معركة الوخيم : ظروفها ونتائجها - [مراسلات فكيني - غراسياني]**

يقول القشاط تحت عنوان معركة الوخيم بداية الانكسار :- ((تبيّن لكل ذي عينين أن الإيطاليين سيهاجمون المنطقة الغربية وأنهم سيتقدمون باتجاه الجبل عن طريق الجوش . وهم في اختيارهم لهذه الطريق سيهاجمون قبائل الصيعان في المنطقة ويتخذون من يوسف خربيشة وأتباعه قاعدة لمساعدتهم ومركزا لانطلاقهم عندما يصلون إلى الجبل . وقال المثل [إن الحديد بالحديد يفلح] فهم سكان المنطقة وعلى خبرة بطرقها وآبارها وتضاريسها . انتقل الشيخ المبروك الغدي إلى الهيئة لإعلامهم بنوايا الطليان ، وطلب الدعم والمساعدة على صد الطليان قبل أن يتقدموا للجبل . كلفت الهيئة الحاج محمد فكيني بمن معه من الزنتان والرجبان ، والسبعة والغنائمة وأولاد شبل ، والعواته والقنافيد والفياصلة ، والسلامات ليتصدوا للقوات الزاحفة ويقوموا بمساعدة الصيعان على ذلك))[1].

ويضيف :-((...إذن أغلب قيادات المجاهدين في معركة الوخيم الذين كان من المفروض عليهم منع الإيطاليين من التقدم لاحتلال الوطن كانوا على اتصال بالطليان ويتقاضون رواتب غير أن هناك قيادات أخرى لم تستسلم ولم تمد يدها ضمن هذه المجموعات أمثال المبروك الغدي من الصيعان الذي ما إن علم بتقدم الطليان حتى توجه إلى هيئة الإصلاح المركزية يستنجد برئيسها الذي كلف الحاج محمد فكيني ومن معه من الزنتان والرجبان والقبائل الصغيرة الأخرى في الجبل لسد هذه الثغرة وبالتالي يتضح أن معركة الوخيم ومن بعدها معركة الجوش ومعركة السلامات كانت مسبقا محكوما عليها بالفشل لضعف القيادة لدى المجاهدين وخور عزيمتها))[2].

وفي الهامش رقم **(1)** كتب :-((يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراتسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل))[3].

---

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 146.
2 - المصدر السابق ، ص 164-165.
3 - المصدر السابق ، ص 165.

كما يقول أيضاً:- ((بل إن الحاج فكيني كان يكاتب الجنرال غرسياني قائلاً له " إنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل ويجب إرجاعهم"))[1].

((.. وفي الصباح من يوم **3** يونيو كرّ المجاهدون على هذه المجموعة وتم سحقها وأرسل إليها غرسياني مجموعة من الفرسان لنجدتها ولكنهم لم يستطيعوا فعل شئ بل سقط منهم عدة قتلى وضابطان من ضباطها وجرح الثالث عاد الإيطاليون إلى معسكرهم بعد أن أسقطت الطائرات عدة قنابل على المجاهدين ولم يستطع محمد فكيني الاستفادة من هذا الانتصار ولم يأمر قواته بمتابعة الإيطاليين ولا الهجوم على معسكرهم وبقي يتبادل الرسائل مع غرسياني الذي يقول " وهكذا أتاح لي الفرصة للاستفادة من الوقت حتى تصل كتيبة المدد وذلك بفضل المفاوضات والأخذ والرّد " ..... **بقي** الحاج فكيني مسمّرًا بقواته في الوخيم والعدو على مرمى البصر أمامهم ولم يطلقوا عليه في مخيمه ولا رصاصة واحدة ولم يهاجموه استمر ذلك الوضع حتى مساء يوم **11-12** يونيه عندما كشفت استطلاعات المجاهدين تحرك العدو باتجاه الجوش))[2].

وقبل مناقشة ما كتبه القشاط في كتابه الأخير، لنتصفّح كتاباته وقصائده السابقة كما يعتبرها مصدرًا وثائقيًا مهمًا حول معركة الوخيم ، للمقارنة بينهما في ثبات الرؤية والموقف من القشاط تجاه هذه المعركة وقائدها.

يقول الشاعر محمد سعيد القشاط في قصيدته التي أسماها [نهار الوخيم] وقدّم لها بما يلي :-((موقعة بين الليبيين والإيطاليين تخيّلها الشاعر وقال عنها نختار منها الأبيات التالية :-

صار يوم في واد الوخيم ظلامه	**يشيب رضيع المهد قبل افطامه**
وهافوا علينا خارجين الملة	**عساكر ودبابات جيش اروامة**
لى ناس ما تعرف معاني الذله	**مغرور ما حسب عرب قدامه**
الزنتان والرجبان جوا ابعده	**أصيود كاسره ع الصيده تطامه**
صار جيش لعدا شاقي	**ونزلت ادماهم في التراب سواقي**
ما تفرز النازل من اللي راقي	**ترك عدته وامدفعه واخيامه**

1 - المصدر السابق ، ص167.

2 - المصدر السابق ، ص 167-168.

نقص عددهم نصف النهار تفاضت وربي قوي قادر نصر اسلامه
وجيش العدو قلع اجيوشه ناضت وتم طاح هللي قاصرات ايامه
هالمعركة ربحناها وشوق من معارك قبلها ووراها
عطيناه كف يحير فيه دواها اصيود ليبيا تصعب على الدهامه))[1]

كما تناول القشاط معركة الوخيم في أحد كتبه فقال:-((...وموقعة الوخيم إذ استطاعت مجموعة من قبائل الصيعان والزنتان والرجبان من التمركز على مياه الوادي وصد الإيطاليين حيث مات معظمهم بالعطش غير أن الكثرة كما يقال تغلب الأسد فانتصرت القوة والعدد بعد معركة دامت ثلاثة أيام))[2].

ويتابع في موضع آخر من ذلك الكتاب فيقول:-((.... وكان الشعراء الشعبيون يتابعون المعارك الواحدة تلو الأخرى منهم من هو في المنفى ، ومنهم من يخوضها مع رفاقه ولنأخذ على سبيل المثال قصيدا للشاعر ضو العساس يتحدث فيها عن معركة يوم الوخيم وهي من المعارك الفاصلة التي استمرت ثلاثة أيام خاضتها قبائل الصيعان والزنتان والرجبان وبعض أفراد من بلدة الحرابة متحدة جنبا إلى جنب ويقول الشاعر أنهم عندما نفذت ذخيرتهم ضربوا بالبنادق ضربا واستعملوها كالعصي ولم يتراجعوا حتى أبيد معظمهم ...))[3].

كما نشر مقالاً في مجلة الوحدة العربية التي كان يرأس تحريرها عام 1970 وذلك ضمن سلسلة مقالات عن المجاهدين بعنوان (واحد من المجاهدين : الحاج محمد بن خليفة فكيني)) جاء فيه:-((.... وعندما زحفت إيطاليا بجيوشها عام 1922 ناقضة الصلح كان الحاج محمد فكيني على رأس المجاهدين من قبائل الزنتان الرجبان والصيعان والحرابة الذين تصدوا لجيش غراتسياني في معارك الوطية وسواني الكردي والوخيم والجوش والسلامات وقد قتل أحد ابنائه في معركة الوخيم وانسحب المجاهدون إلى القبلة حيث ترأس الحاج فكيني المجاهدين في معارك القبلة كزمزم والمويلحات وعلاق والعصمة ، في عام 1930 استولى الطليان على فزان فانسحب الحاج محمد فكيني بمن معه من المجاهدين إلى الصحراء الكبرى بجنوب الجزائر حيث مات معظم مرافقيه بالجوع والعطش حتى

1 – القشاط ، ديوان بين نجوع البادية ، ص24.
2 – محمد سعيد القشاط، **صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي** ، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1970، ص21.
3 – المصدر السابق ، ص 76.

وصل إلى تونس في عام 1931 واستوطن بها وكان محل استشـارة المجاهـدين وأولي الأمر منهم وقد حوكم من قبل الإيطاليين غيابيـا وحكـم عليـه بالإعـدام ومصادرة أملاكه ...))[1].

ويقول أيضاً:- ((...لما شنت إيطاليا حملاتها لاحتلال الوطن في صـيف عام 1922 وتقدم غراتسياني بقواته عن طريـق زواره ، والوطيـة ، الحمـراء وسواني الكردي لاحتلال الجبل تلقاه محمد فكيني على رأس قوات المجاهدين مـن الرجبان والصيعان والزنتان الحرابة وغيرهم من السبعة والغنايمة وجـرت بينـه وبين غراتسياني مكاتبات غير أن المجاهدين رفضوا التسليم وأصروا على خـوض الحرب دفاعا على الوطن المفدى فخاضوا معارك الوخيم والجوش والسلامات كما قاد محمد فكيني المجاهدين في القبلة في معارك المويلحـات والعصـمة وعـلاق ووادي أوال))[2].

هذه النماذج المتعدّدة من كتابات محمد سعيد القشاط حـول معركـة وادي الوخيم والجوش ، فبالرغم من أن الكاتب واحد ، والمصادر التـي يسـتقي منهـا روايته تكاد تكون واحدة ، ولكن هذه الكتابات تمايزت عن بعضها البعض، تبعًا لما يعتري القشاط من مشاعر وأحاسيس يترجمها مدحًا أو ذمًا.

وتتمثل الأفكار الرئيسيّة التي يطرحها القشاط فيما يلي :-

- **أن** القوة الرئيسيّة التي ستواجه الحملة الإيطالية على الجبل الغربي هـي قبيلـة الصيعان ، وقد أشار القشاط إلى أنها متمركزة في قرية الجوش بما تعني هـذه الكلمة من تحفز واستعداد ، للمواجهة الحاسمة التي ستحدّد مصير الجبل وقبائله ، وقد تحدّد مصير الوجود الإيطالي برمّته في طرابلس ، وهي أدرى بطرقهـا وتضاريسها وآبارها .
- **أن** قادة المجاهدين الذين كلفتهم هيئة الإصلاح المركزي بمساعدة الصيعان على مواجهة غراتسياني، هم قادة ضعاف العزيمة والقدرة، وعلى اتصال بالإيطاليين بما يتعذر معه تحقيق أي نصر على الإيطاليين .

---

1 - محمد سعيد القشاط ، **واحد من المجاهدين: الحاج محمد بن خليفة فكيني** ، مجلة الوحدة العربية ، العدد السادس ، 1 سبتمبر 1971 ، ص 82.

2 - محمد سعد القشاط ، خليفة بن عسكر ، ص 202.

- عدم قدرة قيادة المجاهدين على استغلال الظروف المواتية لصـالحها لمهاجمـة العدو وتحقيق النصر عليه ، وجنوحها لمهادنة العدو ومراسلته طلبًـا للمسـالمة ولتحقيق منافع شخصية .

والواقع أننا لسنا بصدد مناقشة أو محاججة القشاط في سـير المعركـة أو الأمور المتعلقة بها ، لأن ذلك موجود في الكتب والمصادر الليبية والإيطالية علـى السواء، وهي بمجملها تتفق في طبيعة المعركة ونتائجها ، وعلاقـات وأدوار كـل الأطراف فيها ، ولسنا في حاجة لرواية جديدة ، ولكن ما يهمّ هـو مناقشـة هـذه الأفكار التي يطرحها القشاط على بساط التحليل وفق ما توفر لدينا من وثائق:-

أولاً:- حاول القشاط الإيحاء بأن الهدف الأساسي للحملة الإيطالية هو القضاء على القبيلة المنيعة التي تقف حجر عثرة أمام صعودهم إلى الجبل ، وهـي قبيلـة الصيعان وقد أشار إلى أنهم متمركزون في الجوش ، وكلمة التمركـز هنـا يوردها القشاط على أساس الاستعداد والتحفز للمواجهة ، ويلاحظ أن القشاط استخدم هذه الكلمة بقصد إعطاء صورة المحارب المستعدّ للمواجهة ، رغـم أن واقع الحال أن الصيعان متواجدون في أراضيهم وبيـوتهم ، فـي حـين وصف الآخرين بالانتشار في قراهم للتقليل من شـأنهم ، ورغـم أن كلمـة التمركز قد تعطي معان أخرى لا تدل على الاستعداد للمواجهـة ، بقدر مـا تشير كذلك إلى حالـة الذهول أو التربص لمعرفـة ما ستؤول إليـه نتـائج المواجهة المرتقبة بين المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني والإيطاليين بقيادة غراتسياني . أما قوله فهم أدرى بتضاريسها وطرقها وآبارهـا ، وحتـى لا يعتقد القارئ أن القشاط يتحدث عن منطقة وعرة في جبال الألب ، أو جبـال تورا بورا الأفغانية نشير أنه يتحدث عن منطقة منبسطة في سهل الجفارة ، لا توجد بها موانع طبيعية كالجبال أو الوديان العميقة .

لذلك ومن وثيقة تنشر لأول مرة ، وهي الرسالة التـي وجّههـا الجنـرال غراتسياني إلى الحاج محمد فكيني ، وتبدو مـن تاريخهـا فـي 4 يونيـو 1922 وديباجتها أنها ردّ على رسالة الحاج محمد فكيني إلى غراتسياني المنشـورة فـي كتاب نحو فزان نقتطف جزءًا منها يتعلق بوضع وتمركز الصيعان ضمن دائـرة

هذه المواجهة ، يقول غراتسياني :-

((من سواني الكردي
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهاذه الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون متعــرفين بالإستعاد الذي يجعله، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون في الوقت الــذي نســتعدو على الجواب المذكور ....وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكــن أن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشبة فبعدين الطيار يخرب بيوتهم ......طيب أنا قد أمــرت الطيــار أن يرمــي البومب على الجوش ، وإلى تاريخ اليوم يرمي على القصر وأركانه...))[1].

إذن التمركز الذي يتباهى به القشاط ، ويقول أنه لا يفلّ الحديد إلا الحديــد وأنهم أدرى بطرقها وتضاريسها ، يعصره غراتسياني بجبروته في قبضته ، محذرًا المتمركزين ، وهم على هامش دائرة اهتمامه الرئيسية في المواجهة من أن قيــامهم بأية حركة أو فعل مهما كان ستكون نتيجته خراب بيوتهم وتدميرها !!! .

ثانياً:- أما قول القشاط أن قيادة المجاهدين تتصّف بالضعف، وخور العزيمة وعلى اتصال بالإيطاليين، فنشير إلى أن القشاط أخذ منحى تجرّد فيه من أخلاقيــات الباحث المنصف، حين ضمّن روايته بعض الإشــارات التــي قصــد منهــا التعريض بشخص الحاج محمد فكيني، وهو الغرض الأساسي الذي يسعى إليه القشاط بما يدل على انحرافية المنهج عن البحث العلمي، وسوء القصــد مثــل قوله:-((إذن أغلب القيادات المجاهدين في معركة الوخيم الــذين كــان مــن المفروض عليهم منع الإيطاليين ... كانوا على اتصال بالطليــان ويتقاضــون رواتب..)) أو ((.. وبالتالي يتضح أن معركة الوخيم ومــن بعــدها معركــة الجوش ومعركة السلامات كانت مسبقا محكوما عليها بالفشل لضعف القيــادة لدى المجاهدين وخور عزيمتها)).

---

1 – ملحق رقم (97) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة (الوثيقة رقم 8 بالملحق).

ولنا تعليق على عبارته الأخيرة، فالقشاط يصف الحاج محمد فكيني بالضعف وخور العزيمة، وهذا يتناقض كليًا بما عرف عن الحاج محمد فكيني من **الشدة والحزم والحكمة**، وقد سبق له أن نال وسام الشجاعة في معركة عجز الجيش التركي عن الفوز فيها، والتي يقول حولها القشاط في مقالة بمجلة الوحدة العربية:-((هجمت فرقة من الجيش الفرنسي بالجزائر آنذاك على الأرض الليبية عام 1320هـ أرسل الحاج محمد فكيني قائدا للعسكر العثماني وتمكن من طرد الفرنسيين ونال إثر ذلك وسام الشجاعة بعد انتصاره في معركة سانية الرجل))[1].

كما أن كل التقارير الإيطالية تصنّف الرجل بالعدو السابغ العداوة والمقاتل الذي لا تلين قناته ، يقول أنجيلو ديلا بوكا:- ((ومن يناير حتى مايو من سنة 1925 – وباستقراء التقارير اليومية التي يرسلها فولبي إلى روما – لم تحدث مزعجات في ولاية طرابلس يمكن أن تعكر [طمأنينة الإقليم الكبرى] وإن وجدت سحابة ما فهي بعيدة في الشاطئ وفي فزان غير أن فولبي لا يبدو قلق بشأنها والواقع أنه كتب يقول [المعلومات **تشير إلى أن أكبر شخصيتين من العصاة في الجنوب الغربي اللاجئ من الجبل عدونا السابغ العداوة محمد فكيني ، وأحمد السني أكبر مريدي السنوسية في ولاية طرابلس**] وهي معلومات غامضة لكنها تتطابق مع التسليم أنهما عقدا العزم على التحرك وتأكد سفرهما إلى مرزق لزيارة خليفة الدعيك الزاوي لمحاولة اقناعه بالاتحاد معهما وبالتالي مع أولاد سيف النصر..))[2].

كما يضيف أيضًا:- ((... ومن بين أولئك المهاجرين الأواخر بعض أسماء أجلاء المجاهدين مثل ... وابن السبعين محمد فكيني الذي يكاد يفقد بصره والمقاتل دون توقف منذ سنة 1922 ....))[3].

ويقول العقيد أ . بيلاردينيلي :- ((... كان محمد فكيني يمتاز **بعزيمة صارمة وذكاء حاد ورباطة جأش ورصانة فائقة** .... وعند انسحاب حاميات الدواخل إلى الساحل ، انضم إلى صفوف العصاة ، فحاربنا وقاتلنا **بعناد وإصرار لا يلين** حتى أنه أنفق قسما كبيرا من ثروته في سبيل ذلك ، فامتد نفوذه وانتشرت

1 – القشاط، مقال: واحد من المجاهدين، ص82.

2 – انجيلو ديل بوكا، **الإيطاليون في ليبيا**: الجزء الثاني، ترجمة د. محمود علي التائب ، الجماهيرية ، 1995، ص 62.

3 – المصدر السابق ، ص 192.

سمعته حتى اجتازت الحدود الفاصلة بين قائمقاميته والمناطق الأخرى ، فأصبح في مقدمة متزعمي حركة العصيان ضدنا ، **وتزعم حركة المقاومة طوال فترة إعـادة احتلالنا للجبل ومناطق الدواخل (1922)** إلا أن الأحداث والتقلبات التي صادفها في حياته جرفته معها وجرفت معه ثرواته الطائلة : والآن يعيش آخر سـنوات حياتـه لاجئا في تونس بعد أن فقد بصره))[1].

ويقول رفائيل رابكس عن الأحداث التي تلت معركة الوخيم :-((...هذا وقد توقع العقيد غراتسياني من محمد فكيني أن يقوم بعملية هجومية ، وتحسـبا لـذلك أرسل إلى الجبل الكتيبة الإيرترية الرابعة ومعها مدفع واحد ونصف فصـيل مـن السباييس لتعزيز فصائل باندة خربيش ، وقد صدق حدس العقيد غراتسياني ، **إذ أن فكيني لم يذعن للهزيمة ، فلملم فلول المسلحين في الرجبان وفي الزنتان وبعـض المجموعات الصغيرة الأخرى وشكّل منها جميعها قوة شنّ بها هجومًا عنيفًا على السلامات يوم 18 يونيو** معتقدا بأنه لن يجد في مجابهته سوى باندة خربيش ولكـن تقديره قد ساء ، إذ تولى الرائد تراكيا قائد الكتيبة الإيرترية الرابعة إدارة المعركـة التي اشتركت فيها باندة خربيش ببسالة فائقة وأنزلت بمحمد فكيني ورجاله هزيمـة نهائية نكراء ... ولقد قضى التقدم الكاسح الذي قام به العقيد غراتسـياني ورجالـه على كل محاولة للعدو للتصدي والمقاومة ، فقد أذعن أهالي الصـيعان والحرابـة واستسلموا للحكومة ، وسلموا خمسمائة بندقية ...))[2].

ونورد جزءًا من رسالة وجهّها المجاهد بشير السعداوي للحاج محمد فكيني بعد أن علم بوصوله سالمًا إلى تونس نهاية عام 1930 :-

((سعادة المجاهد الكبير سيدي الحاج محمد بك فكيني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بشرني أخو الجميع أحمد فاضل بـك بوصولكم إلى القطر التونسي سالمين فسررت من جهة وأسفت إذ أن البلاد فقـدت بطلا من أبطالها وعضدا كبيرا من رجالها لأنكم من الذين أعزّ الله بهـم الإسـلام والمسلمين في تلك الديار ولقد كنتم السيف المسلط على رقاب الخائنين والكفـار... وقد كفانا شرفا أننا قمنا بواجب الجهاد وبذلنا ما في وسعنا لإنقاذ البلاد من مخالـب

---

1 – بيلاردينيلي ، القبلة ، مخطوط ، ص 55.

2 – رفائيل رابكس ، المصدر السابق ، مخطوط ، ص284.

المستعمرين وعذاب القوم الظالمين ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها ولكل أجل كتاب ولنا في رسول الله أسوة حسنة يوم هاجر من مكة مع أصحابه ...))[1].

ثالثاً:- أما إشارة القشاط إلى المراسلات التي جرت بين الحاج محمد فكيني وغراتسياني ، وقوله بأن :-((الحاج محمد فكيني كان يكاتب الجنرال غراتسياني قائلا له " أنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل . ويجب إرجاعهم)) أو تعليقه بالقول:- ((... وبقي يتبادل الرسائل مع غراسياني ...)) أو قوله في هامش كتابه محل النقد:- ((يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراتسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل ...))[2]. وكذلك قوله :- ((لما شنت إيطاليا حملاتها لاحتلال الوطن في صيف 1922 وتقدم قرسياني بقواته عن طريق زواره الوطية ، الحمراء ، سواني الكردي لاحتلال الجبل ، تلقاه محمد فكيني على رأس قوات المجاهدين من الرجبان والصيعان والزنتان والحرابة وغيرهم من السبعة والغنايمة وجرت بينه وبين قرسياني مكاتبات غير أن المجاهدين رفضوا التسليم وأصروا على خوض الحرب دفاعا عن الوطن المفدى ...))[3].

***- مسألة المراسلات والبادئ بها .**

يحاول القشاط من خلال كتاباته حول هذا الموضوع أن يلصق بالحاج محمد فكيني تهم تتعلق بالتقصير والنكوص ، وتغليب مصلحته الشخصية على الجهاد ومقاومة الإيطاليين ، وحصر المسألة في ثأر شخصي تجاه أهالي فساطو وأنه هو من بدأ المراسلات مع غراسياني ، وعرض عليه الاستسلام غير أن المجاهدين رفضوا ذلك وأصروا على المواجهة التي كان الحاج محمد فكيني لا يريدها .

---

1 – ملحق رقم (140) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة (الوثيقة رقم 22 بالملحق).

2 – القشاط ، **من قيادات الجهاد** ، ص 165.

3 – القشاط ، **خليفة بن عسكر ، الثورة والاستسلام** ، ص 202.

أولاً:- حقيقة النص الأصلي لرسالة الحاج محمد فكيني المنشورة في كتاب [نحو فزان]

استخدم القشاط كلمة [مراسلات] بصيغة الجمع على إطلاقها مشيرًا إلى أن هذه المراسلات موجودة بكتاب غراتسياني ، رغم أن كل تلك المراسلات التي يذكرها القشاط لا تتعدّى رسالة واحدة فقط أوردها غراتسياني في كتابه [نحو فزان] ، وقد استند القشاط كما استند غيره ممن تناولوا تلك الأحداث ، أو جانبًا منها على تلك الرسالة في تحليلاتهم وإصدار أحكامهم على مواقف الحاج محمد فكيني وصلت حد التخوين أو الهمز والمس صراحة وضمنًا ، ولعل مرد ذلك غلبة الجانب العاطفي أو القبلي لديهم في ظل غياب الوثيقة التي تدحض تلك التحليلات ولذلك لم يتطرق أي من هؤلاء الكتاب والبحاث إلى استخدام المنهج العلمي في التحقق من صحة الوثيقة ، خاصة وأنها لم تنشر بالكتاب بصيغتها الأصلية لأن غراتسياني لم يورد النصّ الأصلي باللغة العربية كما أشار بأنه استلمه من الحاج محمد فكيني ، وهو جانب مهمّ من الناحية التوثيقيّة والمنهجيّة لتأكيد وجود الرسالة من أساسها ، ومن ناحية أخرى ضمان ورود نفس الصياغة والمعنى ، أما أن توضع ترجمة لنص ، والأصل غير موجود ، فأمر يدعو من الناحية المنهجية العلمية إلى ضرورة الاحتياط والشكّ في صحتها ، لأن الكتاب في الأصل كتب ونشر باللغة الإيطالية ، ثم جرت ترجمته إلى العربية ، مما يدفع بالقول احتياطا أنه ربما حدث تغييرُ في بعض عبارات الرسالة من المترجم السيد [طه فوزي] أثناء عملية الترجمة من خلال وضع كلمة مرادفة ، ولكن ليس لها من قوة التعبير ما للكلمة الأصلية ، وبالتالي كان ينبغي احتياطًا عدم التسرّع في إصدار الأحكام وتسويق التحليلات المبنيّة على افتراضات تخيّليّة .

ولذلك نستسمح القارئ أن يتقبل منا محاورة ومناقشة ، ثم مقارنة نص الرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، والمنسوبة إلى الحاج محمد فكيني ، بالنص الأصلي للرسالة التي تنشر لأول مرة ، وبيان التغييرات التي حدثت على ألفاظها وتراكيبها اللغوية ، وأدت إلى انحراف معانيها في اتجاهات مختلفة عن المعنى الأصلي ، كما أنها توضح حقائق جديدة تصحح بها مواقف رجال وقبائل ، وتعيد رسم تشكيل تلك الجبهة القتالية ، فتنزع عن بعض فخار حازه دون حق بجرة قلم المترجم ، وتعطيه لآخر سلب منه بدون حق ، ولتتوضح الأمور ، فالتاريخ يسجل ولا يهمل شيئا .

أهم الفقرات في نصّي الرسالتين

1- **ورد** في الرسالة المنشورة في كتاب غراسياني [نحو فزان] النص التـالي :- ((لقد تسلمنا خطابكم وفهمنا مضمونه الذي يتلخص في أنكم تخبرونني باعتقـالكم لابن عسكر الذي كان ينوي شن الحرب ، بينما تريدون أنتم الصـلح بـين أهـالي الجبل إلى غير ذلك ..)) ، **أما** في النص الأصلي للرسالة فكان :- ((أمس ورد لنا جوابكم على قطعتين وما به فهمناه وخلاصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصـده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية ...الخ ..)).

ويلاحظ القارئ أن النصيّن ليسا متطابقين في المعنى ، فـالمترجم أعطـى على لسان الحاج محمد فكيني لغرسياني موقفا نبيلا ، ومهمة انسانية رائعة ، تمثلت في جهد الإيطاليين ، وتجشمهم المصاعب من أجل ابرام الصـلح بـين [الأخـوة الأعداء] ، في حين أن نص الرسالة الأصلية يشير إلـى اسـتخدام إيطاليـا القـوة لإرجاع البربر إلى بلدانهم ..)).

2- **ورد في نص غراسياني** :- ((وفي أثناء ذلك قـام الحـاكم العـام بمهاجمـة مصراته وعمل على أن يجتمع أعيان العرب ويكتبوا طلبات يتعهدون فيهـا بعـدم الاضرار بالحكومة .)) ، **أما** في النص الأصلي للوثيقة فكان :-((.. ووقـع هـذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة ..)) .

ويلاحظ أن في النص **الأول** أن الحاكم جمع الأعيان وأجبرهم على كتابـة تعهدات بعدم الإضرار بالحكومة ، بما يعني التعهد بعدم التعدي عليها ، أمـا فـي النص الأصلي فإن هؤلاء الأعيان بإرادتهم اجتمعـوا وكتبـوا مطالـب لا تضـر الحكومة ، وليس تعهد ، والفرق واضح بين المعني في النصين .

3- **ورد في نص غراسياني** :-((أما ابن عسكر ، فإنه بالنسبة لنا أقل خطرا مـن الفساطوي ومن خربيش اللذين هما والباروني أعداء هذا الأقلـيم ومسـتغلوه فـي الماضي ...)) ، **أما** في النص الأصلي فكان:- ((فعندنا ابن عسـكر أهـون مـن فساطو وخربيشه لأنهم هو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وآخرا...))

ويلاحظ أن نص غراسياني انحرف حين غيّر كلمة فساطو التي تعني البلدة وأهلها إلى كلمة [الفساطوي] ، وهو الشخص المعروف أحمد الفساطوي ، خاصة

وأنه كان مواليا للمجاهدين وواسطتهم ، مما ألقى بظلال ، وأثار تساؤلات من البعض حول مواقفه ، كما أن النص أساء بحدة إلى الشيخ سليمان الباروني حين وصفه بعدو الإقليم ومستغله منذ القدم . في حين أن النص الأصلي يشير إلى فساطو كبلد وأهل ، ولكنه لا يصف الباروني بعدو الإقليم أو مستغله ، ولكنه يعبّر عن وجهة نظره كطرف تجاه الآخر خلال ذلك الصراع .

4- **ورد في نص غراسياني** :- ((وإنكم إذا أردتم السلام عودوا إلى أماكنكم في زواره . وليعقد الحاكم العام هدنة معنا ومع لجنة المريض بك الشرقية ورفقائه . لأننا نحن العرب كلنا بلا استثناء متفقون على أن الصلح أو الحرب يجب عملهما على أساس مشترك وعندما يتم عقد الهدنة سوف نناقش طريقة حقن الدماء وإعادة بناء البلاد التي تهدمت بسبب أنصاركم وعجرفة البربر ..)) ، **أما** في النص الأصلي :-((فإذا تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ونجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العربان على أن يكون السلم والحرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذاكرات التي بها حقن الدماء وعمارة بلدان الولاية الخاربة الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ...)).

ويلاحظ أن هناك **تعميم** في نص غراسياني ، فكلمة الأنصار مصطلح عام غير محدد ، إضافة إلى الإشارة إلى أن الخراب ناتج عن سلوك كل البربر . **أما** في النص الأصلي فهناك تحديد دقيق حين تشير الرسالة إلى أن الخراب ناتج عن سياسة أحزاب إيطاليا وتحديدًا كما يفهم من بداية الرسالة [حزب مازيتي] و[قسم من البربر] ، ولذلك فهذا التحديد في اللفظ برسالة المجاهدين يرد الاعتبار للبربر في أنهم ليسوا كلهم من وقف مع إيطاليا، وإنما قسم منهم، في حين كان قسم آخر مع المجاهدين، وهذا جانب مهم ينبغي أن يتم تأكيده وابرازه ، فلا يظلم قوم بجريرة بعض منهم أو يشوه تاريخ قبيلة أو منطقة بكامله.

5- **ورد** في نص غراسياني :- ((وإنكم إذا أردتم فرض سيطرة البربر علينا فإننا سوف نعترف بكم دون شك كحكومة ، ولكن سوف نجاهد في سبيل ديننا ومن أجل وطننا وشرفنا حتى آخر نفس من أنفاسنا ...)) ، **أما** في النص الأصلي :-((وأما

إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبرا علينا فلاشك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رمق ..)).

ويلاحظ في النصيّن ، التباين الواضح في المعنى ، **ففي** حين يشير نصّ غراسياني إلى أن استخدام إيطاليا للقوة سيجعلهم يقبلون الاعتراف بها كحكومة وهذا أمر يفقدهم الحق المشروع في الدفاع ، ولكن الجملة اللاحقة تناقض الموقف السابق بآخر يتمثل في التصميم على المقاومة . **أما النص الأصلي** فهو يشير إلى أن المجاهدين يعرفون ويقدّرون قوة إيطاليا كدولة لها قدراتها وامكانياتها الكبيرة إذا أرادت أن تلتجئ إلى استعمال القوة ولكنهم لن يرضخوا لها وسيجاهدون بكل قوة للدفاع عن الوطن والدين والشرف فجاء المعنى متناسقًا مكملاً بعضه البعض .

6- ورد في نص غراسياني :- ((أما إذا كتب الله لنا النصر فسوف نرضي ضمائرنا وإرادتنا ، وأما إذا انتصرتم أنتم فإننا سوف نلتجئ جميعا إلى الصحراء ولكن البربر بفضل الله لن يستطيعوا الإقامة في بلادهم رغما عنا . ولن يستطيع جنودنا أن يبقوا ساكنين . هذا هو عزم الجميع وتصميمهم ..)) ، **أما النص الأصلي** فهو :- ((فإذا نصرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحره وبعونه تعالى لا يقدر الجبالية أن يسكنوا بلدهم جبرًا علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنا الحرّ عمومًا ..)).

ويلاحظ أن جملة [ولن يستطيع جنودنا أن يبقوا ساكنين] في نص غراسياني معطوفة على الجملة السابقة المتعلقة بالتهديد بعدم [ترك البربر يستقرون في بلدهم] ، مما يعطي الانطباع في التحليل إلى غلبة الجانب القبلي في المواجهة على الجانب الجهادي الوطني ، وأن العدو الرئيسي للمجاهدين هم البربر وليسوا الإيطاليين !! . **ولكن في النص الأصلي** فالأمر مختلف تمامًا فالتهديد في جملة [ولن ترتاح عساكر دولتكم] موجّه مباشرة إلى [الإيطاليين] بما يؤكد استمرار المقاومة حتى وإن استطاع الإيطاليون هزيمة المجاهدين والانتصار عليهم وهذا ما حدث بعد تلك المعركة.

هذه في عجالة أهم النقاط المتباينة في النصيّن ، ونترك التحليل الشامل لها للمختصين ، ولكن هناك حقائق جديدة توضحت من خلال بروز النص الأصلي للرسالة ، ينبغي الإشارة إليها وتثبيتها حتى لا يضيع حق أحد ، أو يحوز آخر فخراً لسواه .

*- **فيما** يتعلق بالتوقيع على الرسالة الواردة في كتاب غراسياني كان بعبارة:-
((خادم الوطن - محمد فكيني وجميع أهالي الزنتان والرجبان والصيعان)).

مما لاشك فيه أن مثل هذه العبارة تعطي الإحساس بالفخر والاعتزاز بتلك الصفة التي وصف بها الحاج محمد فكيني بأنه [**خادم الوطن**]، وكذلك يفتخر أبناء تلك القبائل الثلاث: الرجبان والزنتان والصيعان بالتلاحم الذي جمعهم في تلك المواجهة العنيفة إلى جانب القبائل الأخرى كالسبعة والحرابة والقنافيد والفياصلة والسلامات وأولاد شبل والغنايمة والعواته وجانبًا من القديرات وقسم من الرياينة، وغيرها من القبائل الأخرى، ولكن في النص الأصلي لهذه الوثيقة تحديدًا لا توجد هذه الصفة في التوقيع، وإن كانت موجودة في رسائل أخرى للحاج محمد فكيني، وفي مواقف أخرى، فتلك العبارة التي ذيلت الرسالة نستنتج أنها كانت من صياغة غراسياني وحده فكتبها حرفيًا اعتمادًا على ورود هذه الصفة في رسائل أخرى للحاج محمد فكيني.

في كل المراسلات المتبادلة بين الجانبين والتي بلغ عددها (**11**) رسالة كان غراسياني يوجّه رسائله مباشرة إلى الحاج محمد فكيني بالقول :- ((**إلى الحاج محمد فكيني رئيس محلة الزنتان والرجبان**)) وتحديدًا اعترافًا منه كقائد للجبهة المواجهة له ، وفي المقابل كان الحاج محمد فكيني باعتباره القائد الأعلى للمجاهدين يوجّه الرسائل بتوقيع ما يمكن أن نطلق عليه [**مجلس الحرب**] المكوّن من مجموعة من المجاهدين بلغ عددهم في الرسالة المشار إليها على سبيل المثال (**16**) مجاهدًا وكان اسمه يرد دائمًا متوسطًا اسماءهم [ليس في الأول ، وليس في الآخر] ، وهذا يعكس أن كل تلك الرسائل في معركة وادي الوخيم والجوش كانت تعبّر عن رأي جماعي في المسائل الهامة التي تقرّر مصير المواجهة ، ولا ينبغي أن تنسب إليه كشخص ، حتى وأن كان الحاج محمد فكيني القائد الأعلى للمجاهدين ولجبهة القتال وهذه الجماعية في الردّ والتي تنعكس أيضًا في المسئولية الجماعية لم يخرج عن سياقها الحاج محمد فكيني إلا في رسالة واحدة هي آخر رسالة بين الجانبين يوم 10 يونيو أي قبل الحرب بيوم فقط وفي هذه الرسالة حدد الحاج محمد فكيني مواقفه كلها فقال :- ((.. نحارب عن ديننا ومسقط رؤسنا إلى النهاية ثم نلتجوا لأحد الدول المجاورة وإلا المولى تعالى يجعل لنا مخلص . الخلاصة العاجز

لست دولة ولا اعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية بل فكري تقـديم المصـالح الدولية والوطنية ...))[1].

هذه الحقيقة الأولى التي ينبغي أن تثبّت فطرفي التخاطب هما :- [**القائـد الإيطالي غراسياني]** يوجّه رسائله إلى قائد مناظر له هو الحـاج محمـد فكينـي . **[ومجلس حرب للمجاهدين جماعي]** يردّ على غراسياني . ولذلك تنتفي عن الحـاج محمد فكيني إدعاءات تفرّده بالردّ دون المجاهـدين ، أو المماطلـة ، أو المداهنـة بطلب مصالح خاصة على نحو ما يشير به البعض ، أو ما حاول غراسياني زرعه بين السطور بالقول أن الحاج محمد فكيني كان يراسله .

أما الحقيقة الثانية فهي أسماء المجاهدين وانتماؤهم القبلـي الـذين كـانوا يمثلون [مجلس الحرب] والذين كانوا يردون على رسائل غراسـياني ويتحملـون مسئولياتهم في تلك المواجهة ، لم يكونوا بالتشكيلة التي وردت في نـص رسـالة غراسياني [الرجبان والزنتان والصيعان] إذ من خلال مراجعـة تلـك الأسـماء والقبائل التي ينتمون إليها ، اتضح أنهم ينتمون إلى قبائل :-[الرجبـان والزنتـان والسبعة] وأن مجاهدو الصيعان حشروا محل مجاهدي قبيلة السبعة في [مجلـس الحرب] ، ولذلك ينبغي إعادة الاعتبار لهؤلاء المجاهدين من قبيلة السبعة . **وهـذه الحقيقة** تتوضح أكثر إذا حللنا رسائل غراسياني وفق سياق الأحداث فحين يشـير غراسياني [ثلاثة مرات] في رسالتين مؤرختين في (4 ، 9) يونيو بأنه قام بالتنبيه على مدير الصيعان بعدم محاربة عساكره إذا أتوا الجوش ، وكذلك عـدم التعـدي عليهم ، وإلا فإنه سيقوم برمي القنابل على قصر الجوش وتهديمه ، وأسباب قيامـه برمي القنابل ، فهذا التحديد والفصل في المخاطبة يؤكد معرفة غراسياني الدقيقـة بناءً على معلومات مخبريه بطبيعة القوى المواجهة له ، وأماكن تمركزها مما يشير إلى أن قوة الصيعان الرئيسية رغم تبعيتها لقيادة الحاج محمد فكيني إلا أنها مستقرة ومتمركزة في الجوش تحديدًا وليس في وادي الوخيم حيث معسكر الحـاج محمـد فكيني وقواته الرئيسية التي تضم قبائل الرجبـان والزنتـان والسـبعة والحرابـة والرحيبات والغنايمة والعواته ، وجانبًا من القديرات وغيرها من القبائل الأخـرى وهذا بطبيعة الحال لا ينفي وجود تنسيق بين القوات المتمركزة في الوخيم ، أو تلك المتواجدة في الجوش وكذلك وصول بعض النجدات أو الجماعات من الصيعان إلى

1 – ملحق رقم (104) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة (الوثيقة رقم 15 بالملحق).

الوخيم للمشاركة ، كما حدث عندما كلف الحاج محمد فكيني المبروك الغدي بعملية حربية محدودة في الهبيلة .

ففي رسالته يوم 4 يونيو يقول غراسياني :- ((وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش وإذا تصير منهم مناشبة بعدين الطيّار يخرّب بيوتهم))[1]، وفي رسالته يوم 9 يونيو يقول:- ((لم أنذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه نكرر لك الأسباب:-

أولاً- هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أنذرتك سابقا بجواب طويل وطالب الأفكار السلمية .

ثانياً- لكوني أنذرت مدير الصيعان فإذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي نصير مجبور برمي القنابل الطيارة على محلاتكم وكذلك صار الأمر .... وبينت لك فيه أسباب رمي هالقنابل الطيارة وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذلك ....))[2].

ثانياً:- بيان البادئ بالمراسلات

حاول غراسياني أن يخفي حقيقة أنه البادئ بمراسلة الحاج محمد فكيني حتى لا يظهر بمظهر الضعيف وهو المدجّج بمختلف الأسلحة ، ومعه السلاح المدهش كما كان يهدد في رسائله حين قال :-((ولقد شجعت الظروف السيئة التي أحاطت بألالاي زعيم الثوار الحاج محمد فكيني فكتب إليّ عدة خطابات يطلب مني أن أعيد البربر إلى المنطقة الساحلية وبعد ذلك أتحدث معه في معسكره . وهكذا أتاح لي الفرصة للإستفادة من الوقت حتى تصل كتيبة المدد بفضل المفاوضات التمهيدية والأخذ والرد))[3].

أما حقيقة الحال ، ومن الاطلاع على الرسائل المتبادلة بين الجانبين والتي تنشر لأول مرة يتّضح بأن البادئ بالمراسلات هو غراسياني حين أرسل رسالة إلى الحاج محمد فكيني من مقره في زوارة يوم 27 مايو 1922 بعد أن استكمل استعداداته العسكرية للتوجّه لاحتلال الجبل ، ثم عاود إرسال أخرى في اليوم التالي

---

1 - ملحق رقم (97) من أرشيف الحاج محمد فكيني . الوثيقة رقم 8 بالملحق.

2 - ملحق رقم (102) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .الوثيقة رقم 13 بالملحق.

3 - غراسياني، **نحو فزان** ، ص93.

الموافق 29 مايو من مقره في زواره في محاولة لاستمالة الحاج محمد فكيني حيث أخبره بأنه قبض على خليفة بن عسكر .

أما الحاج محمد فكيني والمجاهدون فلم يردوا على غراسياني إلا يوم 4 يونيو [8 شوال] . ثم رد غراسياني برسالته الثالثة بتاريخ 4 يونيو من مقره في سواني الكردي ، ورد الحاج محمد فكيني والمجاهدون برسالتهم الثانية في 11 شوال 1340هـ . **ثم** توالت رسائل غراسياني بتواريخ متتالية :- 7 و 8 يونيو ورد الحاج محمد فكيني والمجاهدون برسالة يوم 13 شوال ، ثم رد غراسياني برسالتين يومي [9 و 10] يونيو ، وأخر رسالة وجهها الحاج محمد فكيني كانت بتوقيعه منفردًا يوم 15 شوال [10 يونيو] ، وبعدها قامت الحرب بين الجانبين .

ويلاحظ مما سبق أن البادئ بالمراسلات هو غراسياني وليس الحاج محمد فكيني أو المجاهدين ، بما ينفي رواية القشاط ، وقوله أن الحاج محمد فكيني كان يكاتب غراسياني .

***- مسألة موقف الحاج محمد فكيني من عودة أهالي فساطو إلى الجبل**

يحاول القشاط بقراءة مبتورة دون أن يأخذ في الحسبان الحالة السياسيّة والعسكريّة التي صاحبت إعادة احتلال ليبيا ، والتي بدأت باحتلال مصراته ، ومن ثم التوجّه نحو احتلال الجبل ، لتأمين عملية الاحتلال لكامل إقليم طرابلس والذرائع والحجج التي استعملتها إيطاليا لتبرير أعمالها العسكرية اللاحقة ، وذلك في حصر موقف قيادة المجاهدين في مواجهة التحرّكات العسكرية الإيطالية في مسائل فرعية على أنها موقف أساسي مبدئي ، لذلك فهو يقتطف الجمل كي تخدم الاتجاه الذي يرمي الوصول إليه حين يقول:- ((يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراتسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل ..))[1]، أو قوله:- ((.. بل إن الحاج فكيني كان يكاتب الجنرال غرسياني قائلاً له :- **[** إنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل. ويجب إرجاعهم **]**))[2].

1 - القشاط، **من قيادات الجهاد** ، ص 165.

2 - المصدر السابق ، ص167.

*- **من** المتفق عليه أن إيطاليا لم تستطع أن تسيطر على إقليم طرابلس سيطرة تامة إلا عام 1930 ، وبعد أن عملت بكل الوسائل طوال عقدين من الـزمن علـى أن تحدث شرخًا في صلابة موقف المجاهدين في منطقة طرابلس ، وذلك باللعب على التباينات القبليّة والمذهبيّة المرتبطة بتركيبة المجتمع ، والمبنيّـة علـى التحالفـات القبليّة التي تسبق غزو إيطاليا لليبيا ، وما أنتجته من صراعات وحروب ، وعملت على تقوية وتغذية بعض النزعات والمطامع السلطوية لبعض مـن الزعامـات أو القيادات ، وهو الأمر الذي أدى بتـراكم الخصـومات والنزاعـات إلـى انفجـار صراعات في أكثر من منطقة في إقليم طرابلس ابتدأ بحدوث شـرخ فـي موقـف المجاهدين بعد صلح بني آدم ، وتكوين حكومة القطر الطرابلسي ، وظهور موقفين متباينين على شكل تحالفين على امتداد الموقع الجغرافي ، فكانت المواجهة الأولـى بين مصراته وورفلة نتج عنها مقتل رمضان السويحلي ، وكانت الثانية بين فساطو ونالوت وحلفائهم مقابل الرجبان والزنتان وحلفائهم ، ونتج عنهـا جـلاء فسـاطو ونالوت وحلفائهم إلى زواره .

وحتى لا تظل هذه المسألة يكتنفها الغموض ، أو تحمّل تفسيرات ومعـاني مخالفة للحقيقة ، ومتجنّية على بعض القيادات بالإشارة إلى أنها مرتبطـة بأسـباب شخصية أو عرقية أو لأسباب إقتصادية كما أشار إلى ذلك المرحوم عمـرو بغنـي بقوله :- ((...وتلك هي الفتنة الأولى التي يخطئ من يزج فيهـا بأيـة قضـايا أو مبادئ أو مواقف سياسية من أي نوع بل هي الفتنة وضعا وموضوعا لاتتعلق بشئ سوى تلك الصراعات الصفية السلطوية ، وحين تبدأ بأسباب سخيفة كنهـب جمـل وبضع بقرات يضاف إلى أسبابها ضغوط الحاجة الاقتصاية))[1].

فإن كل المصادر تشير إلى أن الحاج محمد فكيني كان لا يعارض عـودة النازحين من أهالي فساطو وكاباو ونالوت إلى قراهم في الجبل ، ولكنه ضد عـودة بعض زعاماتهم ، وهذا له مبرّر ناتج من طبيعة حساسيّة الموقف في المنطقة آنذاك والخوف من عودة الصدام مرة ثانية ، ويقول رابكس :- ((عند مغادرتنا طرابلس أنا والكمندتور بيلي رأينا أن نسمح بأخذ مقعد معنا في السيارة لأحد خدم فكيني وقد أشعرناه خلال الرحلة أن يخبر سيده أن معاليكم تتعجب من سلوك فكينـي وأنكـم ترجون أن أحدا من تابعيه يعمل في الهضبة ضد خطوطنا . **ثم** سألناه: كيف يريـد

1 – عمرو بغني، **أصول حركة الصفوف**، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 131.

أن يتصرف فكيني تجاه أهالي الجبل الذين يرغبون في العودة إلى بلادهم؟ فأجاب الخادم : أنه ليس لدى فكيني ما يمنع أهالي الجبل من نالوت ويفرن وفساطو من الرجوع إلى بلادهم ولكنه لا يسمح بعودة خليفة بن عسكر وموسى قرادة وسالم البرشوشي الذين يحمل لهم في نفسه بغضًا شخصيًا حادًا))[1].

كما يؤكد هذا الموقف الحاج محمد فكيني والمجاهدون في الرسالة الموجّهة إلى غراسياني ردًا على رسالته ، وذلك بتاريخ 11 شوال 1340 حيث جاء فيها :- ((إذا كان مرادك السلم وحقن الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكالمة ابعث لنا الترجمان رابس والضابط سبريشه وعليهم الأمان نتذاكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكاتب فينا بالسلم وطياراتكم ترمي القنابل ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال ، فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في الشرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل))[2].

ولكي لا تظل مسألة المراسلات المتبادلة بين الحاج محمد فكيني وغراتسياني مبهمة ومقتصرة على تفسيرات متعدّدة للرسالة المنشورة بكتاب غراتسياني في كتابات القشاط أو غيره ، فإنه وللمرة الأولى يتم الكشف عن تلك المراسلات ، مع مراعاة أننا نعرض هذه النصوص من الرسائل باعتبارها من وثائق تلك المرحلة دون الخوض في التعليق على كل مضمونها ، أو اتخاذ أي موقف منها ، ولكن فقط لتوضيح طبيعة هذه المراسلات ، ونترك مسألة التحليل الشامل لها للباحثين المختصّين الجادين في فهم ظروف تلك الأحداث وملابساتها .

وحول مضامين هذه المراسلات التي توضح مواقف كلا الطرفين في هذه المواجهة ، يعلق المؤرخ الإيطالي (انجيلو ديلا بوكا) بالقول :- ((بين التاسع والعشرين من مايو والعاشر من يونيو ، في الوقت الذي تفجرت فيه معارك الجبل بشكل متتابع ، أرسل غراسياني إلى محمد فكيني زهاء ست رسائل ، بأسلوبه العسكري الفظ ، مراوحًا بين الوعد والوعيد . في حين تميّزت ردود فكيني التي

---

1 – القشاط، **معارك الدفاع عن الجبل الغربي**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1983، ص 72.

2 – ملحق رقم (98) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة(الوثيقة رقم 9 بالملحق).

تثير الإعجاب بطابعها الواقعي ، ولإدانتها الفتن بصورة جليّة ولمشروعية مطالبهـا ولأسلوبها المتّزن واللائق))[1].

توجد لدينا **(11)** رسالة تنشر لأول مرة متبادلة بين الحاج محمـد فكينـي والمجاهدين من جهة ، وغراتسياني من جهة أخرى ، وقد اتّبعنـا إعـادة تركيـب المشهد وتحليله ، وفيما يلي نستعرض هذه الرسائل ، وهي مرتّبة بالتسلسل حسـب تاريخها ، ثم نورد تحليلاً عامًا لأهم مضامينها :-

1 - انجيلو ديل بوكا ، **على مقربة من المشنقة** ، ص 157 .

رسالة غراتسياني (الأولى) إلى الحاج محمد فكيني

GOVERNO
DELL TRIPOLTANIA

حضرة جناب محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

كيف ما علمتم أن كل من أتى ضد الحكومة تكسر بالقهر وتسبب إلى نفسه ضرار قوي جدا ولى بلده الخراب وهمّ الشديد حيث الناس ليس توجد مساكن من جيهة الحرق والخراب الذينا وقعوا وكذلك تعلم أن بلدان الشط تماما معمورين مثل العادة .

يكون معلومكم أن فكر الدولة هو لتسكين بالراحة مع جملة أهاليها إلى مصلحة الجميع وتصير ممنونة عن رجوع أبناءها إلى حياشهم وبلدانهم بناء على (غير مقروءة **) قد كلفتني الدولة أن نرفع الجبالية إلى حياشهم حيث أنهم أولاد الحكومة هذا هو سبب قدومي إلى الجبل ليس لأجل الحرب ، إلا إلى تسكين الراحة العامة ، فانقول إن شاء الله تأخذ نصيحتي ومنكم لم يصير تعدي على الجبالية أو على عسكر الدولة ، وسبب يذا وقع شئ تسببوا قتل ناسكم وخرب بلدانكم على كل حال جنابكم تأخذ الحياطات لازمة ، ويذا مرادكم في طاعة الحكومة تقدموا لينا من غير(** غير مقروءة **) خوف وكان تحريره في زواره في / 27 مايو /1922**

كولونيل قائد الجيش
غراسياني

*- ملحق رقم (95) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

رسالة غراتسياني الثانية إلى الحاج محمد فكيني

محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

نخبركم عن مسك خليفة بن عسكر بموجب أمر من دولة الوالي وعزله مـــن وظيفـــة قائمقـــام نالوت ، كافة عياله وأخيه عمر كلهم تحت حفظ الحكومة .

الحكومة قد أمرت بمسك خليفة بن عسكر لسبب الدين ما يريد إلا الحرب في الجبل والحال أن فكر الدولة هو لأجل توصيل الجبالية إلى حياشهم ليس بصورة حربية أو لأجل ضـــرر ناســـكم وهذا مسك خليفة يصحح ليكم جميع ما شعرت ليكم ، ويذا كان لم حبيت تفهم تبين إلينا ليكونكم فكركم ضدنا ، وإن شاء الله ربنا سبحانه وتعالى ينور فكركم على الصلاح وطريق الطيبة أنا لم نجعل شيئا ضدكم أو ضد ناسكم يذا كان لم ريت منكم جنس تعـدي علـــى الجباليـــة أو علـــى العسكر الذي معي ، ويذا كان نسمعا وجه بارود منكم نصير مجبور على براز سلاح المـــدهش وكافة الدماء التي يصيروا أنتم تكونوا السبب مع الله عزه وجل ومع عباده .

حرر بزواره في /29 ماجو / 1922

كولونيل قايد الجيش
قراسياني

*- ملحق رقم (95) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني)

إلى جناب الكونيلي غراسياني

أمس ورد لنا جوابكم على قطعتين وما به فهمناه وخلاصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية ...الخ ... تعلم أن الجبالية أولا أعداء دولـتكم ، ثـم بخيانـة مازيتي والباروني جعلهم حزب مازيتي أولاد الدولة ، تعجبنا من هذه المعاملات مـع أننـا مـا عملنا مع دولتكم إلا الطيّبة . ثم عند محارباتنا مع الجبالية ومـدهم حـزب دولـتكم بالسـلاح والأموال والجبخانة كل ذلك أغمضنا عنه النظر واتفقنا عموم الزنتان والرجبان وحزبنـا علـى عدم التعدي على مواقع الحكومة . ووقع هذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة ، وبتعصب الجبالية ومن على فكرهم ازداد الحرب وتأخرت أهالي الجبل مدّة لعلّ وعسى تصير الهدنة حتى بدأتم الآن بإخراج قوتكم لتسكين الجبالية بالجبر ، فعندنا ابن عسكر أهون مـن فسـاطو وخربيشـه لأنـه هـو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وآخرا إذا نظرتم التواريخ . وأمس نحن أخذنا كتابكم حتى تقدم قسم من جيشكم للحرب ، فبات رأي عمومنا على ألا نقبلوا الجبالية يرقون علينا بـالقهر فإذا كنت تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ويجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئـة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العربان على أن يكون السلم والحـرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذاكرات التي بها حقن الدماء وعمارة بلـدان الولاية الخاربة الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ، وأما إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبرا علينا فلا شك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رمق فإذا نصـرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحره ، وبعونه تعالى لايقدر الجباليـة أن يسـكنوا بلدهم جبرا علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنـا الحـرّ عمومـا ، وإذا رجعـتم الآن وعملتم الهدنة بعد المذاكرات يصلح الله كل فساد ، وإننا الآن ما باشرناكم بالحرب حتى نـروا فكركم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد منتظرين رد الجواب اليوم . ختاما 8 شوال سنة **1340**.

محمد بن محمد	عبد الواحد	أحمد بن ضو	أبوبكر بن عبدالقادر	محمد فكيني
علي أبوستة	محمد بن أحمد	عبدالله التوشي	عمر البكوش	
محمد بن عمر الغنيم	ابراهيم الفرج	محمد الواعر	العلوي الشنطة	
عبدالرحمن جلال	عبدالله بن حمد	عمر		

(هذه هي نسخة الرسالة الأصلية للرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، ويتضح وجود اختلاف كبير في صـياغتها ومعانيهاعن تلك المنشورة في كتاب غراسياني) ، تنشر لأول مرة ، من وثائق الحاج محمد فكيني . أنظر التحليل الخاص بها في موضعه .

*- ملحق رقم (96) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة .

رسالة غراتسياني الثالثة إلى الحاج محمد فكيني

من سواني الكردي
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهاده الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون معترفين بالإستعاد الذي يجعله ، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون وقت الذي نستعدو على الجواب المذكور .

وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن أن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشبة بعدين الطيار يخرب بيوتهم .

وأمس مشو السبايس إلى بير ال أوكيم لأجل شراب الخيل ، وأفرادكم هـم الـذين زاحمـوهم الاولين وكذلك بعض من أفراد خربيش لأجل شرب المى فهجموا علـيهم وأسـرتوهم عنـدكم وهم لا لهم نية في الحرب معد لأجل شراب المى وأفرادكم هجموا عليهم .

ولا تظنو في فكرك لكونك غلبت في الحرب على محلتنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك مع القدر سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابها انتم وبنأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عائلتكم .

وهذه المعاملة لازم عليك أن تحكيها لقلبك وفكرك يخمم عليها . طيب أنا قد أمرت أمس الطيار أن يرمي البومب على الجوش وإلى تاريخ اليوم يرمي معد على القصر وأركانه وهذا ما عندنا عرفنا به ، ومنتظرون حتى يأتيني أمر من طرف القورناتوري وأنت المخير لتجعل كيـف مـا تريد . ومع بلوغ سلامنا لكم وملاقاتنا الذي صارت بيننا توريكم محبتنا ، ولا لـي عـداوة إلا لمصلحة الدولة وأهالي كامل القطر الطرابلسي . وهذا الجواب يأتيك مع الطيار .

امضا
القورونيللو قايد الحملة
قراسياني
4 يونيو /1922

*- ملحق رقم (97) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني (الثاني) على رسالة غراتسياني)

إلى جناب الكونيلي قايد جيش الوطية

ورد جوابكم اليوم مضمون جوابنا وبعثوه مع الطيار يرمي القنابل النارية وطلبتم مقابلتنا ولاعطيتم رد جوابنا بالطيبة بل رديتو بصورة حربية ونحن قد مطلناكم لأجل حقن الدماء والرجوع إلى السلم .

اعلم أن حروب الدول اليوم الأهالي فيها فوق العشر سنوات وقد نصحنا دولتكم مرارا واجتهدنا لتأييد القانون تكرارا حتى أن الحزب الخاين من مأموري دولتكم ومن الجبالية خانوا وحاربونا ، والمخابرات في دفاتر الولاية لو تجد صاحب حق . إذا كان مرادك في السلم وحقن الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكالمة ابعث لنا الترجمان رابس والضابط سبريشه وعليهم الأمان نتذاكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكاتب فينا في السلم وطياراتكم ترمي القنابل ، ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في شرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل ، ولا تعطوا فكركم للجبالية أصحاب الخيانة والعناد وهذا جوابنا مع السؤال .11 شوال 1340

العلوي الشنطة	علي أبوستة	محمد المحروق	محمد فكيني
محمد بن محمد عبدالله	خليفة بن حمد	أحمد بن عطية	بلقاسم قرينات

*- ملحق رقم (98) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

رسالة غراتسياني (الرابعة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى محمد بيك افكيني ريس الزنتان والرجبان

إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرايب ، حيث أن جنابكم متماد في الضدية وكنت قررت كثيرا إلى الحكومة شفاها وبواسطة الغير بأنكم تحبون رجوع أهل الجبل لأوطانهم إلا أنكم متكدرين من إنسان قد ساعدت القدرة الإلهية عن تبعيده من غير إرادتكم ولا إرادت الحكومة والعساكر الذين بأيديهم السلطة على كافة البلدان قادرون على التوجه بدون معارض وذلك من الواجب عليهم ولمصلحة الجميع وحتى لو أن السباييس صارت لهم مقابلة من طرف جيوشكم الحكومة أرادت أن تعطيكم الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب . والعاجز أقول إن شاء الله تأتيني لأجل المذاكرة على ما يخص العرب والجبالية خصوصا لجهت فساطو التي سكانها من العرب والجبالية جميعا ، ومقصدي الاجتماع معكم على هذا الخصوص حيث جنابكم رئيس الزنتان والرجبان والحكومة ليس مقصدها إدخال مسئلة أناسكم مع المسائل التي تخص رؤساء الدواخل الذين مسائلهم تريد فصلهم بوجه آخر . وفي تعديكم إني أعطيكم الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب قبل أن تتسببوا في خراب أوطانكم وقتل أناسكم وإذا وقع تعدي فأنتم المسؤولون مع الإسلام والأهالي في جميع ما يصدر، وافتكر جيدا ولا تعمل مثل رؤساء الدواخل الذين مرادهم ضركم من غير ما يكونوا مسئولين ويسعو في قلت الراحة . وفي هذا لم عندي ما أعرضه عليكم ، وأقول إن شاء الله نأخذ الطريق الصالحة للجميع . ولذلك حرر في / 7 جونيو 1922/

الإمضا

الكولنيل: قراسياني

*- ملحق رقم (99) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

__رسالة غراتسياني (الخامسة) إلى الحاج محمد فكيني__

إلى محمد بيك افكيني رئيس الزنتان والرجبان

بعد بلوغ جوابي المرسول إليكم بالأمس بواسطت الطيارات ، أفكركم على المظبطة المؤرخة في 31 ديسمبر /1921 وجوابكم المرسولين إلى الحكومة .

إن الوقايع التي صارت اليوم هي لسبب إعانتكم من غير علم منكم ولا علم الحكومة والوقت الذي جنابكم وصلتم لهاذه الحالة ، إن أناس الجبل يرجعون لأوطانهم وأعداءكم قد ساعدت الأقدار عن إبعادهم ، وعندما كتبتم المظبطة فكركم حينئذ غير مستقيم ، والضدية التي عندكم مع الحكومة شيء آخر ، نسيتم كافة المصالح التي أخذتم من الحكومة .

وإني أطلب منكم اليوم بيان مقصدكم بالفعل وليس مجرد قول ، والمرجو منكم رد المضمون على وجه الحقيقة ، وإني كنت أوقعت بجيشكم خرابا في الأيام الماضية عند قربكم من جيشنا طبق جريان أحوالكم ، ولو إني لا زلت في المذاكرة معكم لا أقبل منكم أدنى تعدٍ على ساحتنا ولذلك حرر في / 8 يونيو سنة 1922 .

الكولونيل : غراسياني

*- ملحق رقم (100) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالة غراسياني

إلى جناب الكونيلي غرسياني

ورد جوابك المؤرخ في / 8 جونيو سنة 1922 وأشرتم فيه لتعريفنا للحكومة بالمضبطة المؤرخة في / 31 ديسمبر وجوابنا أقول لكم إن تعريفنا صحيح وأعطى عليه دولة الوالي أمرا من غير إجراء ، وذلك التعريف هو بواسطة التينينتي سبريشه والأعضا الشيخ أحمد بك الفساطوي إذا تجروه يستحق لمذاكرة واجتماع وهدنة ليس هكذا بصورة حربية . وأما رجوع اجبالية بهاذه الحالة ومن غير مذاكرات وعهود بيننا وبين الدولة واجبالية تعرفو لا يمكن لأنه سابقا الحكومة لزمت الحياد وخلّت بيننا وبينهم حتى خرّبوا بلداننا وسلبوا أموالنا وقتلوا أولادنا فكيف الآن تأتون بهم بصورة جبرية قبل الصلح وإعطاء المواد التي تلزمنا ...

فاللازم رجوعكم بهم للوطيّة ، ونقرر للهدنة وقتا ومحلا للمذاكرة ، وأنتم تمسكو مكانكم ونحن جيوشنا بأراضيها حتى تتم المذاكرات التي بها تنتج المصلحة العامة **

وإذا جعلتم هدنة عمومية في المذاكرات العمومية من ترهونة إلى الشرق إلى غريان إلى الجبل هذا لحال العموم وللحوض وأهالي الجبل نراه لصلاح عموم الولاية ولصالح الدولة قاطعا لهاذه الحروب . وحسب تعريفي إليكم أول البارحة إذا يقدم لنا ترجمان الولاية بالأمان نتذاكر معه ويرجع إليكم ، وإذا لم تريد فترجمانكم ، وإذا تبغ معك بالذات ياتوا معك سبايس طليان وعرب ونجتمع بمحل بعدما نقرره مع ترجمانكم هذا إذا لم يأتي ترجمان الولاية . والخلاصة نحب السلم إذا افتكينا من ظلم الجبالية وعنادكم ومساعدتكم لهم وفي الختام حرر في/ 13 شوال سنة 1340 .

محمد بن محمد بن عبدالله　　أبوالقاسم بن عبدالله　　أبوبكر بن عبدالقادر
عمر البكوش　　محمد المحروق　محمد فكيني　العلوي الشنطة　خليفة بن عمار
علي أبوستة　　أحمد بن ضو　　محمد وازينة

** ويحضرها أعياننا الذين بعثنا لهم وهم : علي بك الشنطة وأحمد بك الصيد والشيخ السيد أحمد السني والشيخ السيد أحمد البدوي ، وبرأي واتفاق الجملة تتم المصلحة ...

*- ملحق رقم (101) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

رسالة غراتسياني (السادسة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى الحاج محمد فكيني

كيف تتجاهل في الأسباب التي صارت لك سببا في رمي القنابل الطيارة؟لم أنذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه نكرر لك الأسباب :

أولا – هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أنذرتك سابقا بجواب طويل وطالب فيه الأفكار السلمية .

ثانيا – لكوني أنذرت مدير الصيعان أنه إذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي سأصير مجبورا برمي القنابل الطيارة على محلاتكم وكذلك صار الأمر وهو بأمرك .

ثالثا– لكون مسلحيك تقربوا بقرب مواقعي وقصدهم المناوشات والتعدي .

أعلم أني رجل ذو كلمة وباقي في كلامي ووعدي في الأفكار الطيبة وغيرها ، إنما أنت قلت أنك بكونك لم أخذت الجواب الذي عزيتك فيه في ابن أخيك ولاكن أنا أمين بكونه وصلك سالما لكونه الطيار رمى هولك طيب وبينت لك فيه أسباب رمي القنابل الطياره وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذالك . إذا كان قصدك في إرسال بعض الأجوبة أرسلهم إلى المحل الذي رميت فيه الجواب السابق .

المسلحين عندهم الأمر القطعي في عدم تجاوزهم وخروجهم وإن القرار كان لمنع المناوشات . السيار الذي جاب الجواب لم عندك حجة في طلبه لكونه خاطيك وليس من رجالك ، وهذا الذي يرجعه من جوابك خاطبتك به والباقي يرجع لغيري والسلام .

القولونيل قوماندان الجيش
قراسياني

ملاحظة– يفهم من سياق النص ومن ترتيب الرسائل المتبادلة أن تاريخ هذه الرسالة هو على الأرجح في 9 / جونيو سنة 1922 .

*– ملحق رقم (102) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

رسالة غراسياني (السابعة) إلى الحاج محمد فكيني

رئيس محلة الزنتان والرجبان المحترم الحاج محمد افكيني بك

بعد السلام :
أخذت جميع جواباتك ، ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى القطرسي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات ، وعليه نرجع لكم مضمونات الجوابات بواسطت الشخص هذه ، الجواب السابق لم رجعته لكم لكونه من البانده . أعلمك أنني أنا قوماندان العساكر الطليانية ليس كما خاطبتني سابقا قوماندان جيش الجبالية . نكرر لك على مقاصد الحكومة واجتهادها على الصلح والراحة العمومية ، وبينت لك في جوابي السابق أسباب رمي القنابل الطيارة وما أدراك ونعده زائد التعاد بناء عليه لا شك عن تجاوزك وتعديك مرة أخرى على عسكري نصير مجبور برد الجواب بجميع استعمال الوسائط الحربية ولا تنس جواباتي القادمة إليك في خصوص السلم والصلح ، مسلحينك صار منهم الهجوم على سبايس في الوخيم . أتجهل حاكميت الحكومة على ولايت طرابلس غرب ؟ فإن هي الحاكمة على الولاية عسكرها لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها ، هذه نعلمك به لأجل المستقبل وعليه اجعل التخميم في أمان جيهت الجبالية لازم يعيشوا في بلدانهم بالصلح والراحة ولا يعملوا شيئا يخل الراحة . فهذه قصد الحكومة فإن أنت تعارض ما قررته الحكومة وقصدك ردان الجبالية لاشك بكونك معارض الحكومة . كذلك الحكومة لم تعمل شرائط مع من هو دون منها وراجع لها تعطيه عبارة الأوامر اللازمة والسلام .لازم تخمم بكون ساق السياسة تبدل ليس كما كنت تعرف . الحكومة لا تنسى لزوم إجراء الصلح بين الجبالية والعرب لكي يعيشوا بالهدوء والراحة فوق جبل نفوسه . فعليه إن كان قصدك في إجراء الصلح ولك فيه رغبة أنت يلزم تقدم إلى محلي لكوني أنا ممثل الحكومة بناء عليه حين تحركي بعسكري لأي محل كان ويصير التجاوز من مسلحينك على عسكري تكون أنت المسؤول بنفسك وأنت طالبه . فعليه يا حضرة فكيني بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعوقة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصيا فعليه لا نجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن في مصالح الحكومة . ولاكن ، إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ، ونسمع بيك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى الحكومة تسمع كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسألة بصورة حربية وجبرية ، وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير لكونه جميع العربان والجبالية أولاد حكومة وحدة .بناء عليه إن شاء الله ، نراك وين ما تبي وأمن قصدك في أي محل كان لنجرو على الصلح العام لكوني عندي الصلاحية التامة في جميع الأمور وعليه لا فيه لزوم لا إلى الترجمان رابس ولا لى التينتي اسبريشه ، ونعطيك كلمة شرف والأمان التام مني إذا أتيت إلى طرفي

لأجل المذاكرة . نختم كلامي بالسلام ، ونتمنى إن شاء الله ملاقاتنا تصير سبب في محبتنا ومنفعت الأهالي ومصلحة الحكومة ، والسلام

10 يونيو / 1922

القولونيللو قوماندان الجيش
غراسياني

*- ملحق رقم (103) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

رد الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني السابقتين

إلى جناب الكونيلي غرسياني قايد الجيش

بعد السؤال

ورد جوابك الذي به الأبناد(*)، ثم جوابك المؤرخ في 10 جنايو سنة 1922 ضمن جوابي قولكم التعدي على سبايسك ، تعلم هم الذين هجموا ، وأصل الأمور ومحبتكم وتعصبكم الآن مع الجبالية نحكيها لكم : أول ما عاندوا الجبالية دولة إيطاليا لأجل استقلالهم واحتمائهم بدولة ثانية أجنبية . ونحن العربان ما رضينا ذلك حتى وقعت بيننا وبينهم حروب معلومة التواريخ عندكم ثم النهاية بعد الصلح الأخير وصدور القانون الأساسي نحن صرنا نحافظوا في إجرائه والباروني وبن عسكر أرادوا الفساد وهجموا على ماجور نالوت وأخذوا ما عنده ، وأمرت الحكومة بمحاربتهم معلومة التواريخ في الولاية وعند الماجور وولينو وقبطانه ، وقد وقع الحرب فعلا حتى مات فيه ابننا الحر الغيور حسن بك الذي كلفته حاكمية الولاية بالتوجه للجبل والحرب ومعلوم هذا عند الوالي الأسبق منجنجر ووكيله ، ثم بإعانة أحد أحزاب إيطاليا مدوا الجبالية بالسلاح والجبخانة والأموال لأعدائنا وأعدائهم أي أعداء الدولة الباروني وابن عسكر حتى خرّبوا بلداننا ، ثم تبرّمت سياسة الوالي مركاتيلي فعلا مع الجبالية ، ثم بعد شكاياتنا المتعددة لزمت الحياد وخلّت الفتنة بين القبائل حتى نصرنا الله وقومنا على الجبالية وجلت قبائلهم كما جلونا . ولما أتى الوالي الحالي دولة الكونت وولبي صارت المخابرة بيننا وطلبنا منه ما يلزم لراحتنا وراحة أوطاننا ، وقد رأينا بعد مذاكرات مع أعيان الولاية الشرقية أن الوفد الذي توجه إلى رومه مطالبه معقولة وليس فيها ضرر على الحكومة إنما فائدتها هي تؤيد منافع الدولة وراحة الأهالي حتى وقع الحرب والعناد ... وحيث نحن جيهة الجبال من ككله غربا قد تأخرنا عن الدخول في الحرب قلنا لعل الهدنة تتجدد لصالح الولاية حتى بديتم بإخراج الباندات على بير الغنم ، ومن هنا قصدكم إخراج الجبالية بصورة حربية قهرية . فأي فائدة تنتج للحكومة من هذا ؟ فإن هو القصد محو عموم العربان فلا يبقى إلا الجبالية مع دولة إيطاليا . على كل حال ، العربان نسلهم حر وأصلهم شريف إسلامي ، نحارب عن ديننا ومسقط رؤوسنا إلى النهالية ثم نلتجوا لإحد الدول المجاورة وإلا فإن المولى يجعل لنا مخلص الخلاص . العاجز لست دولة ولا أعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية ، بل فكري تقديم المصالح الدولية والوطنية ، فخروجكم بالجبالية باندات بهاذه الحالة ليس فيه صلاح ورجوعكم بهم هو المناسب ثم تصير المذاكرة الصلحية بيننا وبينهم بواسطة الحكومة حسب مكاتيبنا إليها ، وإن جعلت هدنة عمومية يكن بها صلاح عموم الولاية يكن أصوب لمصالح الدولة وعمران القارة . حسبماعموم رجال أوطان الجبل جعلوا لك مضبطة مختصرة في فكرهم ستأتيكم بعد هذا ، وأنا واحد منهم و نحب السلم والراحة ، ولا تخوفني بالطيارة والمسئولية ، العمر معدود والمسئولية لو فيه حق ورجال إيطاليا الأحرار يطالعوا أوراق الولاية المحفوظة من أول الحرب

* – الأبناد : يقصد الحاج محمد فكيني المطالب السبعة المذكورة في الوثيقة السابقة رقم (4).

إلى نهاية جلساتنا في عضوية مجلس الولاية لا شك يعلموا أن الحزب المعاند مع الجبالية هـو الذي يبذر في الفساد . وأملنا منك أن تكون حرا مثلهم وترجع الجبالية بسلم دون حرب وعلـى يديك تكون العافية ، والسلام .   حرر في / 15 شوال سنة 1340 محمد فكيني

ملاحظة :-

هذه الرسالة الوحيدة بين جميع الرسائل بتوقيع الحاج محمد فكيني وحده فقط والموجهة إلى غراسياني

*- ملحق رقم (104) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

<u>التحليل</u> :

من الملاحظ أن الكثير من الباحثين والدارسين لهذه الفترة المهمّة لم ينتبهوا إلى التطوّر في مفاهيم الصراع ضد الإيطـاليين ، فتعـاملوا مـع المصـطلحات والعبارات على أساس أنها تعبّر عن مرحلة واحدة متصلة تتّسم بثبـوت المفـاهيم والمعاني العامة التي استخدمت ونشأت في بداية الغزو الإيطالي لليبيا ، فالكثير ظل يكتب على قرع الطبول والأهازيج الحماسيّة ، وكأنه يكتب في ساحة حرب ساخنة حامية تتعالى فيها الأصوات ، وتختلج فيها المشاعر والكلمـات صـراخًا وهتافًـا رغم فارق البعد الزمني الذي من شأنه أن يتيح لنا مجالاً للقـراءة والكتابـة بعقـل متماسك متنور من أجل أن نضع أيدينا على رؤية شاملة حقيقية لتلك المشاهد مـن زمن مضى ، ونضعها أمام أجيالنا القادمة كي تستعين بها في مواجهـة تحـديّات المستقبل ، انطلاقًا من أنّ من لا يستطيع كتابة تاريخه بنزاهة وحيادية ، لا يستطيع بناء تعايش وتماسك في حاضره ومستقبله.

لذلك فمرحلة الجهاد والصراع والقتال ضد الإيطـاليين شـهدت مراحـل متطوّرة تختلف عن بعضها البعض ، ففي الفترة ما بـين 1911-1917 كانـت الدعوة عامّة للجهاد ، ونصرة الدين والوطن ، والتمسّك بالخلافة العثمانية كمرجعيّة سياسيّة ودينيّة لليبيّين تصبغ مواقفهم وخطاباتهم ، ثم جاءت مرحلة ثانيـة نتيجـة تطوّرالأوضاع بعد استسلام تركيا ، وظهور الوعي القومي على امتداد الكثير مـن البلاد العربية ، وانتشار مبادئ تيودور ويلسون فيما يخصّ حق الشعوب في الحرية والسيادة وحقوق الانسان ، وغيرها من المفاهيم التي ظهـرت آنـذاك ، وإنقطـاع الرجاء من وجود خلافة إسلامية تمثل مرجعية ولو في حـدها الأدنـى [روحيـة] فتطوّرت المفاهيم إلى القبول بمبدأ التفاوض السياسي للحصول على مكتسبات فـي ظلّ وجود سلطة إيطالية عليا تختلف قوتها حسب الأوضاع على الأرض وساهمت الأوضاع الدولية والداخلية التي لم تغبْ عن اهتمام قادة المجاهدين فـي طـرابلس الغرب والذين استغلوا تلك الأوضاع لإعلان ميلاد كيان قومي يعتبر أول كيان من الناحية السياسية في البلاد العربية وهو إعلان قيام [الجمهورية الطرابلسية] الذي تميّز بمفاهيم ومصطلحات ذات مضامين سياسية واجتماعية واقتصـادية تتماشـى وتعبّر عن تلك الفترة ، تم بعد ذلك إعلان اتفاق سواني بن آدم وإعلان حكومة قطر طرابلس ، وما أدت إليه مماطلات الإيطاليين في الالتزام بتنفيذ بنوده ، ممّـا دعـا

المجاهدين لإنشاء هيئة الإصلاح المركزي التي كانت تمهّـد الأوضـاع لإعـلان الاستقلال التام عن إيطاليا ، وفق تقييم المجاهدين للظروف التي تمرّ بها .

ثم جاءت مرحلة ثالثة بعد صعود الفاشيّة في إيطاليا ، واتباعهـا لسياسـة استعمارية عنيفة عبّرت عنها في مفهوم [ليس مع الزعماء ، ولا ضـد الزعمـاء ولكن بدون زعماء] ، أقفلت فيها باب الدبلوماسية والتفاوض الندّي مع المجاهـدين واستعملت كل الوسائل القمعية لتحطيم حدّة المقاومة ، وإجبـار المجاهـدين علـى الاستسلام والخضوع ، وإلا فإن العقاب الذي اتخذ شكلاً وحيدًا تمثل فـي الشـنق والقتل هو لغة الحسم ، وبشكل عام نرى أن هناك تمـايز فـي الخطـاب واللغـة المستخدمة خلال هذه المراحل الثلاث ، ينبغي عدم تجاهلها عند دراسة فترة الجهاد ومواقف المجاهدين ، وعدم استخدام قاعدة ثابتة لتحليل معـاني كلمـات ومواقـف ومراسلات زعماء وقيادات الجهاد ، وبناء فرضيّات وأحكام عليها .

لذلك ، ولما سبق فإنه ينبغي عند الدراسة التحليليـة لفتـرة الجهـاد ضـد الإيطاليين لغرض فهم وقائع هذه الفترة من تاريخنا ، دون تعصّب أو تجنّي علـى أحد ، وبلغة علمية تحترم التاريخ وأحداثه ، وتبتعد عن المفاهيم السطحيّة ، والشتائم التي دأب القشاط على استعمالها ، دون أن يعطيه أحد الحق في مقاضاة أو تجـريم هذا أو ذاك من المجاهدين ، ضرورة فصل هذه المراحل التي لا تشـكل امتـدادًا فكريًا واحدًا لا يتغيّر ، وإنما تتمايز عن بعضها البعض حسب الظروف السياسـيّة والاقتصاديّة والعسكريّة التي نشأت على أرض الواقع ، وتحليل مراسـلات قـادة الجهاد حسب ظروف الفترة ، والمرحلة التي كتبت فيها ، مـع التأكيـد علـى أن المفهوم العام المترسّخ لدى كل هؤلاء القادة في كل مراحل الصراع ، هو مواجهـة الأطماع الإستعمارية والإستيطانية للإيطاليين في ليبيا ، وبتحليل نصوص الرسـائل المتبادلة بين غراتسياني والحاج محمد فكيني يلاحظ ما يلي:-

أولاً- هناك تباين وتمايز في معاني بعض المصطلحات بين الجانبين ، فمصـطلح القانون والحكومة الذي يرد في مراسلات قادة المجاهدين خلال تلك الفتـرة يعنـي لديهم (القانون الأساسي ، وحكومة قطر طرابلس) التي استطاعوا دفـع الجانـب الإيطالي إلى القبول بها ، وما تمثله لهم من خطوة نحو تحقيق الاستقلال ، بحيـث ظلّوا متمسكين بالدفاع عن القانون الأساسي ، والإشارة إلي أنهم لم يخرقـوا هـذا الإتفاق ، أما بالنسبة للإيطاليين خاصة للثالوث غراسياني – فولبي – وموسـيليني

الذي لا يعترف بحكومة قطر طـرابلس ، وعمـل علـى خـرق الاتفـاق القـائم فالحكومة تعني لديهم [حكومة إيطاليا الاستعمارية في روما] .

ثانياً:– جميع رسائل غراتسياني التي كانت توجّه إلى الحاج محمـد فكينـي تبـدأ بصيغة [رئيس الزنتان والرجبان] باعتباره القائد العام للجيش المناظر له ، وهو اعتراف من الخصم بوضع ومكانة الحاج محمد فكيني ، وقد اتّسمت هذه الرسـائل بلهجة التهديد والترغيب ، والتهويل بالقدرة العسكرية الجبارة بقصد إضعاف الخصم وتحطيم معنوياته ، ومحاولة استمالته أو شقّ عصا الطاعة بين صفوفه منطلقًا في ذلك من السياسة التي أقرّت على المفهوم الفاشي الذي ذكرناه سابقا ، حيث لم ينسْ غراتسياني دور زعماء المجاهدين الذين تسبّبوا في هدم سلطة إيطاليا في طـرابلس عام 1919 حين قال :– ((كان الزعماء الرئيسيون الذين جعلوا حقنـا مقصـورًا على سلطة وقتية وهمية غير مباشرة وعلى موقف من مواقف التسـامح والهـوان على سلطة هؤلاء الزعماء هم [رمضان الشتيوي] و[أحمد المريض] و[الصويعي الخيتوني] و[عبدالرحمن عزام] و[محمد فكيني] و[علي الشنطة] والأخوان[هادي ومختار كعبار] و[خليفة بن عسكر] وغيرهم ... وسوف نرى في معرض الأحداث كيف أن الانتقام الإلهي قد أصابهم الواحد تلو الآخر))[1].

ونشير أن غراتسياني سعى للانتقام منهم واحدًا بعد الآخر، باستخدام كـل وسائل الحيل والمخاتلة لاستمالتهم أولا ، ثم محاسبتهم على ماضيهم والانتقام مـنهم بالشنق ثانيا ، وتمكّن بعد مقتل المجاهد رمضان السـويحلي ، ثـم القـبض علـى المجاهد خليفة بن عسكر ، ولاحقا استطاع القبض على المجاهـد الهـادي كعبـار والمجاهد على الشنطة ، فأعدم الأول وسجن الثاني حتى توفي ، فيما استطاع كـل من المجاهد أحمد المريض ، والمجاهد الصويعي الخيتوني ، والمجاهد عبدالرحمن عزام الهجرة إلى مصر ، أما المجاهد الحاج محمد فكيني فقد ظل يقارع غراسياني حتى عام 1930 حين اضطر ورفاقه للهجرة إلى الجزائر بعد أن ضاقت بهم ميادين القتال، مما دعا غراتسياني الذي كان يرغب في القضاء على عدوه اللدود الحـاج محمد فكيني وسحقه، إلى توجيه الأوامر لقائد الطيران الإيطالي الجنرال[فيروشيو رانزا] بإلقاء كافة أنواع القنابل المتوفرة من طائرات كـابروني وروميـو علـى المحلات المنسحبة إلى الجزائر على مدى ثلاثة أيام ، وقد كتب الصحفي سـاندرو

1 – غراسياني ، مصدر سابق ، ص28.

ساندري الذي عايش تلك الأحداث يقول:-((**...هكذا انتهكت الصحراء وسقطت أسطورة العجوز محمد فكيني زعيم الزنتان والرجبان الذي وقف كالشبح المروّع أمام الجنرال غراتسياني منذ سنة1922، فقد كتب له متحدّيًا في القتال:" إن كتب الله لنا النصر فذاك مرادنا؛ وإن فزتم أنتم؛ فسنلجأ جميعا إلى الصحراء"))**[1].

ويلاحظ في صياغة الرسائل استخدام غراتسياني بكثرة لغة القتل ، والتدمير واستعمال السلاح المدهش كما يسميه ، وهو هنا يقصد سلاح الطيران الذي لم يتردّد في استخدامه كوسيلة حربية لنقل رسائله للحاج محمد فكيني والمجاهدين حين يقول في رسالته يوم 10 يونيو أي قبل معركة الجوش:- ((أخذت جميع جوابات ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى الفرسطي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات ...))، إضافة إلى أنه وضع مقارنة بين الأوضاع في الساحل التي هي تحت السيطرة الإيطالية ، وينعم أهلها كما يقول بالراحة والعمران وبين المناطق التي لا تزال تقاوم وما تتعرض له من خراب ودمار .

أما الترغيب فهو أن غراسياني حاول جهده أن يستميل إليه الحاج محمد فكيني لكي يستسلم ، وقد وعده ضمنًا بمنحه السلطة في الجبل أو في مناطق نفوذه على الأقل مع سماع رأيه في إدارة الجبل عمومًا إذا استسلم ، فهو يقول:- ((...فعليه يا حضرة فكيني بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعونة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصيا فعليه لا نجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن على مصالح الحكومة . ولاكن إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ونسمع بيك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى تسمع الحكومة كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسئلة بصورة حربية وجبرية وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير ...)) .

ولكن كل هذه الأساليب من الوعيد والتهديد والترغيب، لم تؤثر في موقف الحاج محمد فكيني والمجاهدين ، حتى أن غراسياني خرج عن طوره حين أبدى استغرابه من صلابة الموقف الندّي للحاج محمد فكيني بقوله:-((إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرائب حيث أن جنابكم متماد في الضدية ...))، وفي موضع آخر من الرسالة يقول:- ((اتجهل حاكمية الحكومة على ولاية طرابلس غرب؟ فان هي

1 - انجيلو ديل بوكا ، **على مقربة من المشنقة** ، ص 192.

الحاكمة على الولاية عسكرها لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها...))، بل أنه أظهر الشماتة حين استشهد المجاهد حسين ابن الحاج محمد فكيني في معركة الوخيم [والذي ينعته غراسياني خطأ بإبن أخيك] ، وهو موقف لا يدل على احترام أو تقيد أخلاقي بقواعد الحرب حين يقول :- ((ولا تظن في فكرك لكونك غلبت في الحرب على محلتنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك(*) مع - سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابها أنتم وبتأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عايلتكم)).

ثالثاً - وفي مقابل عنجهيّة غراسياني ولغة التهديد والوعيد ، والترغيب والاستمالة اتّسمت ردود الحاج محمد فكيني والمجاهدون وهم يعلمون قوة الخصم والأسلحة التي لديه ، بالقوة والحزم والصلابة ، ووحدة الموقف لكل المجاهدين ، سواء في منطقة غرب طرابلس أو شرقها ، حين دعا غراسياني إلى إثبات رغبته للصلح بأن يتراجع إلى زواره ، ويتم عقد هدنة مع الجميع سواء في منطقة الجبل ، أو في منطقة ترهونة لأن المجاهدين كلّهم متفقون على رأي واحد بالنسبة للصلح أو الحرب ، والدفاع عن المكاسب السياسية التي تحققت من توقيع الاتفاقات السابقة . مؤكدًا التصميم على المواجهة رغم تفوق العدو ، واستعماله للطيران لمهاجمة معسكر المجاهدين :- ((...ونحن تكاتبنا في السلم وطياراتكم ترمي القنابل فليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال ، فنحن وعموم رجالنا تعوّدت على الحرب والموت بشرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة فليكن القول مطابق للفعل)) .

رابعًا- إن الرسائل لم تعبّر عن رأي الحاج محمد فكيني وحده ، بل إن الرجل كان له كما يبدو مجلسًا حربيًا استشاريًا من الرجبان والزنتان والسبعة يتشاور معهم بدليل توقيعاتهم في آخر الرسائل ، ولعل توقيع هؤلاء وهم أصحاب رأي وعصبية إلى جانب الحاج محمد فكيني دلالة على أن الجميع مصممون على المواجهة ويتضح ذلك من صيغة الجمع في كل الردود [فليست المسألة كما يتخيّلها البعض بأن فكيني يميل للصلح وأن بعض المجاهدين لا يرغب في ذلك] ، فالأمور مرتبة ومنظمة ، والقرارات والردود تصدر جماعية بعد دراستها واتخاذ إجراء حيالها يعكس موقف الجميع ، وإن كانت في النهاية تحمل اسم الحاج محمد فكيني بصفته القائد العام للجبهة المقابلة للطليان .

* - أخطأ غراسياني ، والصحيح أن الذي استشهد هوابن الحاج محمد فكيني "حسين" ، وليس ابن أخيه.

10- الإدعاء بأن قبيلة الصيعان ظلت وحيدة تقاتل الطليان بعد سقوط الساحل والجبل

***- يقول القشاط في مقدمة كتابه :-((ولقد بقيت الصيعان وحيدة في سهل الجفارة تقارع الطليان بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل ... وهي معلومات ليست سرية ويمكن الاطلاع عليها من المصادر الإيطالية ، وفي الوثائق الليبية وفي رسائل قيادات الجهاد))[1].**

من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها محمد سعيد القشاط دائما أنه يطلق كلامه على عواهنه دون تحقيق أو تمحيص أو تروّي ، لكي يسلم من الردّ عليه وتفنيد قوله ، فهو عادة يدّعي بأنه يستند على وثائق دون أن يسمّيها ، أو يشير إليها ليسهل على المتشكك، أو غير المصدّق الرجوع إليها والتأكّد من صحّة أقواله. ففي قوله السابق يؤكد بأن قبيلة الصيعان ظلت تقاتل الإيطاليين بعد سقوط الساحل والجبل ، وهو ما يعني بلغة السنوات والأعوام أن قتال الصيعان استمر بعد معارك الوخيم والجوش والسلامات ويفرن، ثم احتلال غريان أي بعد عام 1922 وما بعده وأشار إلى أنها معلومات غير سريّة، وموجودة بالمصادر الإيطالية والليبية وفي رسائل قادة الجهاد، دون أن يذكر هذه المصادر أو يحدّدها. هكذا كلام مطلق مبهم ولمناقشة هذا القول والإدعاء بشكل موضوعي، لابد من توضيح النطاق الجغرافي الذي يتحدّث عنه في استمرارية قتال قبيلة الصيعان ومواجهتها للإيطاليين ، ثم الخوض بعد ذلك في تصفح الوثائق الإيطالية والليبية التي تناولت تلك الأحداث.

من المعروف جغرافيًا أن سهل الجفارة يقع بين الشريط الساحلي ، ومنطقة الجبل الغربي ، وبالتالي فإن على كل من يتّجه نحو الجبل أن يقطع سهل الجفارة وكذلك على كل من يتّجه نحو الساحل أن يقطع سهل الجفارة . لذلك فإن الجيوش الإيطالية في إعادة احتلالها للجبل بعد أن استكملت سيطرتها على الساحل بدأت معاركها التمهيدية لاحتلال الجبل بالسيطرة المطلقة على سهل الجفارة ، وخاضت عدة معارك كانت آخرها معركة الوخيم والجوش في يونيو 1922م حيث استطاعت بعد استعمال الطيران بشكل مكثف ، اجبار المجاهدين على التراجع إلى الجبل ، ثم ملاحقتهم والاشتباك معهم في معركة السلامات التي أدت إلى تراجع وتقهقر

---

1 – القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص 10

المجاهدين باتجاه القبلة ، فيما بقيت جيوب مقاومة في يفرن ، وتم بعد ذلك القضاء عليها في معركة صفيت ، ما فتح الباب أمام الإيطاليين للسيطرة على الجبل من نالوت حتى مشارف غريان . هكذا كان تسلسل المعارك والأحداث بشكل عام ، لكن القشاط لم يحدّد مصدرًا معينًا من تلك المصادر التي أشار إليها يمكن الاستناد عليه في تأكيد استمرارية قبيلة الصيعان كما يقول في التصدي للإيطاليين بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل ،ولم نجد أي مصدر يتحدث ولو بإشارات مقتضبة أو تلميح يفهم منه أنه موّجه نحو هذه القبيلة ، بل كانت كل المصادر تشير صراحة إلى استسلام الصيعان والمناطق المجاورة بعد معركتي الوخيم والجوش ، بل أن المؤلف ذاته وهو دائم التناقض في كتاباته يؤكد هذه الحقائق فيما نشره سابقًا ويبدو أنه لم يكلّف نفسه إعادة الاطلاع عليه مرة ثانية فهو كما يقول تتكشّف أمامه كل يوم حقيقة جديدة عن الحدث الواحد ، فيضطرّ إلى نقض ما كتبه سابقًا ، أما نتائج هذه الأحداث وبشكل تفصيلي ، فلابد أن نشير إليها كما وردت في المصادر الإيطالية والوثائق الليبية كما يقول القشاط ، ومنها مصادر منسوبة إليه فغراتسياني الذي قاد معارك إعادة احتلال الجبل ، يقول :– ((كانت النتائج العاجلة لانكسار العدو واحتلال جادو هي:–

1– قرار أهالي الصيعان والحرابة بالاستسلام النهائي وتسليم أسلحتهم بعد تردد طويل .
2– تعجيل عائلات نالوت وفساطو التي استطاعت في أيام قلائل أن تطمئن إلينا وتعتمد علينا بالعودة زرافات ووحدانا من الوطية إلى أقاليم كاباو وجادو .
3– امكان الاتصال عن كثب بأهالي يفرن والتأثير عليهم سياسيا وفعلا وصلت للحكومة من كل مكان تأكيدات من الأهالي بالإخلاص لها " من الرياينة وقصر الحجيرة والأصابعة والمشاشي وأولاد بوسيف وغيرهم).
4– مراقبة الحدود التونسية ومن ثم منع التهريب حتى سفح الجبل .
5– تثبيت سلطاننا وزيادة احترام الأهالي الوطنيين للحكومة .
6– ازدياد المزايا الأخرى ذات الصفة العامة تبعا للموقف في الشرق ومن بين هذه المزايا أيضا إمكان التقدم نحو يفرن وغريان متى وكيفما أرادت الحكومة ذلك وقررته))[1].

---

1 – غراتسياني ، المصدر السابق ، ص104.

ويضيف غراتسياني أنه:- ((كان من نتائج إعادة احتلال الجبل بين نالوت وغريان وسفح الجبل تسليم ما يقرب من خمسة آلاف بندقية من مجندي الحرابة والصيعان وأولاد محمود والحوامد وككلة الحوض والأصابعة وغريان))[1].

ويقول كذلك :- ((كان من النتائج البعيدة والقريبة لاحتلال غريان والعمل السياسي الذي صحبه مايأتي :-

1- قطع كل علاقة بين زعماء وأهالي الشرق وزعماء وأهالي الغرب .
2- إخلاء مزدة من رجال أحمد السني الذي اضطر للتقهقر والانسحاب نهائيا نحو درج دون أن تكون له بعد ذلك أية سلطة .
3- إصابة الزنتان والرجبان بهزيمة ساحقة ، ما أدى بهما منذ هذه اللحظة إلى الاستسلام الذي تم تدريجيا ، وإلى تسليم الأسلحة وعودة عائلاتهما وترك جانب من أنصار فكيني له لاضطرارهم لمشاركته السير إلى مصيره .
4- تهديد مباشر لترهونة بتجمع كل القوات في مثلث غريان – طرابلس – الخمس
5- استسلام ورشفانة وعودة عدد كبير من الأهالي الفارين اللاجئين في الجبل إلى الواحات الساحلية .
6- عودة الأهالي البربر في أراضي يفرن .
7- تأمين الجفارة تأمينا نهائيا في جنوب غربي طرابلس -غريان .
8- زيادة النفوذ المباشر على ورفلة وفي بلاد القبائل عامة .
9- حدوث تأثير عظيم للغاية على موقف الثوار كله في شرق مصراته))[2].

كما يضيف:- ((... وفي السنوات :1922-1923-1924 تم بالتوازي مع عمل استعادة الإستيلاء العسكري، الإستعادة الكاملة التامة لإقامة الإدارات المدنية في الساحل وفي سفح الجبل. إن الضرورة الآن تقتضي أن ننقل إلى الأمام إلى خط الجبل هذا التنظيم المدني في عمومه، ثم التوجه عسكريًا وسياسيًا نحو مشاكل الجنوب. ولهذه الغاية صدر مرسوم من الوالي بتاريخ أول يناير 1925م لإنشاء ما يلي:-

---

1 – غراتسياني ، المصدر السابق ، ص151.
2 – غراتسياني ، المصدر السابق ، ص150.

1- قيادة أراضي الجنوب الطرابلسي وتشمل جميع أراضي الجبل بما في ذلك الأراضي الجنوبية التي لم يتم احتلالها بعد : أي الجفرة والقبلة بكاملها وفزان .
2- المتصرفيات المدنية لترهونة – وغريان – ويفرن.

ومع ذلك، فنظرا للعلاقات الوثيقة بين الأهالي الرحل وأهالي الجبل فإن قائد أراضي الجنوب قد خوّل سلطة اختيارية فيما يخص المتصرفيات المدنية وذلك لتمكينه من حل المسائل ذات الصبغة السياسية التي يمكن نظرا لأهميتها ومحتواها بالنسبة للأفراد والتجمعات أن يكون لها تأثير على الوضع في الأراضي جنوب الخط الجبلي . **وفي** أوائل سنة 1925م كانت طرابلس التي أعيد الإستيلاء عليها مقسمة كما يلي منطقة المتصرفيات المدنية بالساحل ، وسفح الجبل والجبل ترهونة – يفرن –غريان يتولاها موظفون مدنيون ...))[1].

ويقول رابكس :- ((كان من نتائج سقوط الجوش في أيدي قواتنا أن حل الارتباك الشديد بفصائل محمد فكيني المسلحة التي اضطرت إلى الفرار عبر مسالك الأودية المختلفة ، وإلى استسلام جميع سكان القرى والأرياف الواقعة بين الجوش وبين كاباو وفي هاتين البلدتين))[2].

كما يقول أيضا :- ((.... ولقد قضى التقدم الكاسح الذي قام به العقيد غراتسياني ورجاله على كل محاولة للعدو للتصدي والمقاومة ؛ فقد أذعن أهالي الصيعان والحرابة ، واستسلموا للحكومة ، وسلموا خمسمائة بندقية ....))[3].

كما يقول الشيخ الطاهر الزاوي :- ((وعلى إثر معارك الجوش التجأ كثير من العرب إلى القبلة ، ولم يبق إلا قليل قاموا بمناوشات لتأخير تقدم العدو مؤقتا حتى يتمكنوا من النجاة . وكانت جيوش الطليان تمتد من زواره إلى الجوش على طريق الوطية والهبيلية والزرير))[4].

ويورد المؤرخ خليفة محمد التليسي نتائج معركة الوخيم والجوش وآثارهما على مستقبل حركة الجهاد في منطقة طرابلس بعد إحكام السيطرة على منطقة

1- رودولفو غراتسياني ، **إعادة احتلال فزان** ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ترجمة عبدالسلام باش امام، طرابلس ، 1995 ، ص55-56.
2 – رفائيل رابكس ، مصدر سابق "مخطوط" ، ص 284 .
3 – المصدر السابق، ص 285.
4 – الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، ص417.

الساحل وسهل الجفارة والجبل بالقول :- ((وقد ترتب علـــى احـــتلال الإيطـــاليين للجبل النتائج التالية :-

1- السيطرة على الحدود التونسية الليبية ومنع تهريب الدعم الحربي للمجاهدين.
2- تجريد الأهالي من السلاح.
3- التمهيد السياسي والعسكري لاحتلال مناطق القبلة وجبال ترهونة .
4- استغلال الرعب الذي أحدثته حركات القمع العنيفة الوحشية في اقناع الأهالي بقوة الحكومة وطغيانها وقدرتها على الملاحقة ، وعدم امكانية الصمود أمـــام قواتها البرية والجوية واستغلال ظروف الفقر والمجاعة والآثار النفسية التي خلفتها الفتن في النفوس لتأكيد سيطرة الحكومة))[1].

*****

لقـــد أعقبت فترة السيطرة العسكرية الإيطالية إعادة تنظيم المنطقة سياســـيًا ومدنيًا ووضعت تحت إشراف غراتسياني الذي قام بأعمال التنظيم خلال الفترة من يونيه إلى سبتمبر 1922 وأعاد تثبيت الوجود الإيطالي في المراكز الإدارية التاليـــة الجوش – نالوت – كاباو – الحرابة – الرحيبات – فســـاطو ، ودلّ علـــى إحكـــام السيطرة الإيطالية على المنطقة ، وخلوّها من أية أعمال قتالية بعد استسلام معظـــم سكان المنطقة ، ومن بينهم الصيعان ، هو قيام غراتسياني بعد شهرين فقـــط مـــن إعادة الاحتلال بجولة عبر خط سفح الجبل من الجوش إلى نالوت ، ثم التنقل فـــي الجبل كله من بلدة إلى أخرى ابتداء من نالوت إلى جادو ، ومعه حرس لا يزيد عن عشرين رجلا .

فهل عجزت القبيلة التي يقول القشاط أنها ظلت وحيدة في سهل الجفـــارة تقارع الطليان بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل عن مواجهة جنرال إيطالي يتجول في هذه المنطقة برفقة عشرين رجلاً !!! ؟

أم أن هناك أعداء آخرين ما زالوا يتربصون بالإيطاليين ؟ .

يقول المؤرخ خليفة محمد التليسي :- ((فرغ الإيطـــاليون مـــن احـــتلال الجوش ونالوت وجادو ، بنهاية شهر مـــايو1922 .. وكـــان مـــن وجهـــة نظـــر غراتسياني أن يواصل الزحف الفوري على يفرن وغريان ولكنه اضطرإلى تأجيل

1 – د. خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص85.

ذلك إلى أواخر اكتوبر 1922، أي خمسة أشهر كاملة ! لأسباب سياسية وعسكرية تعبر عن بعضها هذه الرسالة الهامة التي بعث بها فولبي إلى غراتسياني ليحد من جموحه وليعرض عليه بعض الأوضاع التي كانت خافية عليه .. وهي مؤرخة في 2 يوليو 1922 . [إذا كان فصل القيض وخبرة الماضي لا تشيران بالتريث الحكيم فمن المؤكد أن امكانية زحف قواتك إلى يفرن ، ومنها إلى غريان تبدو مغرية وخاصة إذا اقترنت بمقاومة لا تذكر وصعوبات محلية لا معنى لها .. إلا أنه ، فوق كل شئ علينا أن نضع في تقديرنا أن مثل هذا الزحف يقتضي إقامة خط جديد للتموين بالنسبة ليفرن عن طريق الزاوية وبئر الغنم ، وبالنسبة لغريان عن طريق العزيزية وفي الوقت نفسه لا يمكن التخفيف من التجهيزات التي تعتمدون عليها في الوقت الحاضر ، **<u>وذلك إما لضرورة الاحتفاظ بقوات في جبل نفوسة بقصد مواجهة احتمالات عودة فكيني إلى الهجوم ، وإما بسبب السكان المدنيين</u>** ... إن المقاومة السياسية ، كما تعلم ، تتركز في ترهونة ومصراته ، وعلينا أن نترك لهذين المركزين الزمن لكي يضعا في الحسبان أن إقامة العلاقات مع السنوسي في برقة لن تعود عليهم بطائل . وأنه إنما ينضم إليهم تحقيقا للطموح السياسي ولكنه لا يستطيع أن يقدم إليهم مسلحين ، ولا ذخيرة ، وهما الشيئان اللذان تفتقر إليهما ترهونة ومصراته . **<u>لضمان وجودنا في جبل نفوسه ينبغي حصر الفكيني والسني والقبلة بصفة عامة ، واترك للزمن أن ينضج ذلك العنصر المفتت الذي ذكرت أنه آخذ في الانتشار في قطاعك</u>**]))[1].

<u>فمن هم الأعداء يا ترى ؟</u>

هذا السؤال والتساؤل يطرحه غراتسياني ذلك المزهو بانتصاراته وسيطرته على الأوضاع في منطقة الجفارة والجبل ، إذ لم يمنعه ذلك التفاخر بالنصر الذي حققه بالسيطرة على الساحل والجبل من أن يتساءل بالقول :- **<u>فمن هم الأعداء يا ترى ؟</u>** ثم يجيب بعد أن يستعرض الوضع العام في منطقة الجبل وسهل الجفارة بأن الأعداء هم الزنتان والرجبان ، حيث كان يرى فيهم دائما النواة الرئيسية للثوار فيقول :-((... وكان أهالي الزنتان والرجبان هؤلاء هم نواة الثوار المركزية والتشكيلات الثورية في ترهونة))[2].

---

1 – د. خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص 109.

2 – غراتسياني ، **نحو فزان** ، ص 260.

يقول رفائيل رابكس:- ((أبــرق العقيد غراتـــزياني مــن يفــرن إلـــى الحكومة في طرابلس يــوم 9 نوفمبر بما يلي :- يجب أن أقول أولا وقبــل كــل شيء بأنه من غير المناسب بأي حال من الأحوال تنفيذ الفكرة القائلة بالهبوط إلـــى العزيزية من غريان وإخلاء الجبل . إن الأهداف التي نوّهتم عنها لا تدركها عقلية الأهالي ؛ وإذا كانت الظروف الراهنة مؤاتية فما ذلك إلا نتيجة لتواجــدنا بقواتنـــا المسلحة في الجبل أما إذا هبطنا من الجبل ، فإن الوضع سينقلب رأسا على عقــب وفي غير مصلحتنا تماما ؛ وعليه فإني استند في رأي إلى فكــرة أساســية وهـــي بقاؤنا في الجبل بأي شكل من الأشكال ومن الأفضل أن نركز بقاءنا علـــى نقطـــة مسيطرة واحدة في الجبل تحتشد فيها قواتنا بحيث يكون في مقدورنا التحرك في أي اتجاه نريده ؛ ... وأما القبائل المناوئة لنا كقبائل الحرابة وككلة والصيعان فقد باتت عاجزة لا حول لها ولا قوة وترتجي حضورنا إلى موطنها . **فمن هم الأعداء يـــا ترى ؟ هم الزنتان والرجبان** ؛ ولكن بما أنه من غير المعقول بأي حال من الأحوال أن ينكفئ أهالي الجزء الشرقي إلى الجزء الغربي من البلاد لأسباب بديهية لا حاجة إلى سردها هنا فالشيء الذي يُخشى إذن أن تقوم به قبائل الزنتان والرجبـــان التـــي تشكل مجموعة صغيرة من المتمردين محشورة في منطقة الجبل بأسرها لا يعدو أن يكون عمليات انتقامية تستطيع العناصر المسلحة غير النظامية المنتشرة فـــي طـــول هذه المنطقة وعرضها على مقاومتها...))[1].

ويقول رابكس أيضا :- ((....هذا، ومن أجل حماية سكان الجبل من أيـــة غارات محتملة قد يشنها المسلحون من الزنتان والرجبان ، الذين ما زالوا يشـــقون عصا الطاعة على الحكومة، فقد أذن الوالي فولبي لكل قائم مقامية بأن يجنّد عـــددًا من الأشخاص يتناسب مع الضرورات الدفاعية الفورية عن مناطق المراعي وكان على السكان المحليين أن يتكفلوا بنفقات هذه الفرق الدفاعية؛ وهكذا أصبح الأهـــالي يساهمون في تكاليف الخدمات العامة الضرورية؛ وجدير بالذكر أن الحياة المدنيـــة انتعشت بسرعة في كل من الجبال والجفارة، واستؤنفت الحركة التجاريـــة وســـجّل تحسّن ملموس في الحياة الاقتصادية في كامل المناطق، حتى إن النازحين من أبناء الزنتان والرجبان الذين نال منهم الجوع والبرد، وأنهكتهم المآسي والآلام واضطروا

1 – رفائيل رابكس ، المصدر السابق ، ص477 .

إلى رفض الاستمرار في اتباع محمد فكيني في موقفه الأحمق، طلبوا السماح لهم بالعودة إلى ديارهم والاستسلام إلى الحكومة...))[1].

أما ما يؤكد استسلام الصيعان ، وانتهاء جذوة المقاومة لديهم كقبيلة وليس كأفراد أو جماعات فضّلت الالتجاء مع الرجبان والزنتان إلى مناطق القبلة يحذوها الأمل في تنظيم صفوف المقاومة والتصدي من جديد للإيطاليين ، فهو ما يرويه محمد سعيد القشاط ذاته حين يقول :- ((... ومن المعتقلات الجماعية التي لا زالت خبرا يروي مأساة تذكر معتقل " العقيله " ومعتقل الجوش . وإن كان معتقل الجوش أهون قليلا لأنه لم يحط بأسلاك شائكة . وقد حملت عدة قبائل من محلها الأصلي ومسكنها إلى مناطق أخرى كما فعلوا مع قبائل رياح بالجفرة بالجنوب حيث أبعدوها إلى سهل الجفارة أما عن الأشخاص فحدث ولا حرج فقد ينفى من يشتبه فيه إلى واو حريره بالصحراء أو إلى إيطاليا أو يودع في غياهب السجن هذا إذا حالفه الحظ ولم يقتل ... وفي الجوش جمعت إيطاليا قبائل الصيعان من سهل الجفارة وأرغمتها على الإقامة مجتمعة بالقرب من قرية الجوش بجميع حيواناتها التي لم يكن بالقرب من المركز ما تقتات به من نبات الأرض ... وأعلن الحاكم العسكري عن إقامة سوق في القرية كل يوم خميس مدعوا لحضوره جميع الرجال ومن يتخلف يعرض نفسه للسجن والضرب والغرامة ، ويبعث في هذا اليوم مجموعة من العساكر تفتش البيوت علها تعثر على الرجال . وفي يوم من أيام السوق قبضت إيطاليا على أحد عشر شخصا هم أعيان المنطقة من بينهم مدير المنطقة نصر بن الحاج . وصودرت جميع حيواناتهم ، وما يملكون وأودعوا السجن في يفرن . ونقل بعضهم إلى إيطاليا بعد هزيمة الإيطاليين في الحرب الثانية ومات بعضهم في السجن ...))[2].

ويضيف :- ((وكم من حيوانات ماتت جوعا في معتقل الجوش الذي حملت إليه قبائل الصيعان من سهل الجفارة وأرغمت على البقاء جميعها في قطعة أرض قرب المركز لا وجود فيها لخضراء ولا يابسة . ناهيك عن الذين حملوا إلى واو حريره أو القبائل التي حملت من الجفرة إلى الجفارة وغيرها))[3].

---

1 – المصدر السابق ، ص 329.

2 – محمد سعيد القشاط ، **صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي** ، ص 84– 92.

3 – المصدر السابق ، ص19.

ولأن محمد سعيد القشاط يصرّ على اعتبار قصائد الشعر الشعبي وثيقة رسمية تتساوى في قيمتها مع الوثائق التاريخية الأخرى ، ولا يجوز الطعن فيها ، بل القبول بما يرد فيها كمسلمة تاريخية حقيقية ، فإننا نورد بعض من قصائد الشعراء الشعبيين أمثال :- خليفة الكردي ، ضو العساس ، والتي أوردها القشاط تتمة للحديث السابق كوثائق نؤكد بها تحليلنا [وإن كنا نتحفظ على اعتبار القصيدة الشعبية وثيقة يستند عليها في تقييم وتفسير الأحداث والوقائع التاريخية] .

ويستمر القشاط بالقول :- ((والشاعر خليفة الكردي كان على اتصال بهؤلاء الرفاق يحمل إليهم بعض الأكل وهم في السجن لأنه كان على قرابة ببعضهم . وهو يروي لنا مأساة هذا النجع وهؤلاء الرجال وكيف يعاملون في السجن وكيف يعامل الزوار أيضا ، وأن الحراس على أهبة الاستعداد لاطلاق النار وأن عائلات المسجونين مكلفة بالانفاق عليهم في السجن .

يقول الشاعر خليفة الكردي في قصيده [نختار منها هذه الأبيات]

وتوه دوته امحصره والغير نصبله — يشبح له في سبله
كل من يطرف بيلكه والشنق اقرب له
يرجى في ريح الفرج راقد عل زبله — يامهموم اصغانا
نحكي لك باللي طري وافهم معنانا
وتوه فوق المردفه عدنا من تالي — والمودير قبالي
وولى مرجع شيرتي عند الجهالي
طقوا عنه البوجله واقفال حصينه — حطوه افتركينا
عاشر بين " الكاشفوا " وبين " الكابينا"
والف بق احيوطهم وترك ظنينا — شاف العكس بعينا
عساسه يتلاودوا يساره ويمينا
عشره ديمه اسلاحهم مسفي تيمينا — ومحرود اماشينه
فوق الحبس قعادهم رواشينه
فينا يربخ سوطهم لاكان بطينا — ثمه الهول يجينا
تسمع كان دريزهم والباب رنينا))[1].

1 - القشاط ، المصدر السابق ، الصفحات 93 إلى 99 .

كما يورد القشاط قصيدة للشاعر ضو العساس التي نختار منها هذه الأبيات التي تصف اعتقال قبيلة الصيعان داخل معتقل الجـوش ، فيقـدّم لهـا بـالقول :- ((والشاعر ضو العساس يصف لنا في قصيد عملية التجنيد هذه . كما يصف حالة الوطن بعد غياب رؤساء الجهاد - إما بالهجرة أو بالموت - وحالة المواطنين مـن المجاعة وانتشار الجواسيس في كل مكان . كما يتعرض لذكر معتقل الجوش فـي هذا القصيد :-

عيّطت لك كـان لعياط يجيـب	لومي على لنـقر نظيف الشاش
نبغي الفـزع منكم يكون قريب	هاهي عربنـا في قفـا لجواش
زي الغنم لا يـذ علينـا ذيب	ليلة ارعـود وزادها رشـراش
ومّشغشمه من الجرح والتنييب	هجاجيل ما تلقاش فيها اكبـاش
راحـوا افحولتنا	اليوم مده واسنين طاحت حرمتنا
وبعد اطيور اللوم لعدا ظامتنا	تـوه هفـك وكان متفلح فينـا

وقصيد الشاعر ضو العساس [والكلام للقشاط] بعـد أن وصـف حالـة الشعب في ذلك الوقت وموضوع التجنيد الإجباري ... ثم يبيّن حـالهم فـي هـذا المعتقل الذي يقع [شمال الأجواش] بأنهم كالغنم السائبة التي حامت حولها الذئاب في ليلة مظلمة زادتها رهبة السحب المتراكمة والرعود المجلجلة ، أكثر فيها الذئاب من التجريح والقتل ولم يبق بها فحل واحد ، ثم ينتقل في [القفلة] [الرداده] إلـى الحديث صراحة إلى أن رؤساءهم قد راحوا وأطاح الزمان بهيبتهم وبعـد غيـاب الرجال البارزين ظلمهم الأعداء وأصبح كل "هفك" أي كل حقيـر سـيدا مسـيطرا عليهم))[1].

كما يضيف بأن ((الشاعر خليفة الكردي يقول في قصيد يعاتب فيه قومـه عندما عادوا بعد الهجرة حين سمعوا بصدور العفو الشامل الذي كان خدعة انطلت عليهم فما أن عادوا حتى سجن كبراؤهم وأهين معظمهم وشردوا وأجبـروا علـى المعيشة في المعتقلات.كما يصف حالة الذل والمسكنة التي كان عليها قومه [يقصـد الصيعان] بعد العودة والتهديد والوعيد الذي يتعرضون له . وأن العـدو يكـاد أن يدخل عليهم بيوتهم لتأديبهم وإذلالهم لولا لطف الله وقدره .

1 - القشاط ، المصدر السابق ، الصفحات 109 إلى 113.

يقول الشاعر **خليفة الكردي**:

ليّام بالتقليبه	والدهر للمغفول يحدث عيبه
كانوا ظراري يعركوا عل صيبه	ماطالبين العون من عدواهم
واليوم سلّموا السجع والتحريبه	وولوا مغافي في مثيل انساهم
اسلّب سلاح عربنا	وطاح قدرنا وناموسنا وطربنا
عطينا ليراده للكفر واغلبنا	طلبنا وظيفة طوعهم وارضاهم
لا من الحقنا وردنا وغصبنا	هذا دوانا وطب من يشهاهم
اليوم تحت معيته	طِينا بدينا عسكره ورعيته
الواحد قريب يخشّ له في بيته	غير فضل مولانا الكريم قساهم
ما نقدروا كانش على التنهيته	رمنا عوج ليّام وحذيناهم))[1].

<u>**ومن العرض السابق يمكن استنتاج الحقائق التالية**</u> :-

1- **دور** قبيلة الصيعان في حركة الجهاد كان ضمن الجموع التي تنادت تلبية لنداء الجهاد ، ولكن دون أن تبرز لها قيادات معروفة من مستوى الصف الأول ، أو تكون حركتها كقبيلة بشكل منفصل ، وإنما كانت تتحرك تحت قيادة بعض الزعامات التقليدية في المنطقة آنذاك مثل : الشيخ سوف المحمودي أو خليفة بن عسكر أو الحاج محمد فكيني .

2- **تجمع** كافة المصادر الليبية والإيطالية على أن دور الصيعان كقبيلة في حركة الجهاد توقف بعد معركة الجوش 12 يونيو 1922 م ، حينما سيطر الإيطاليون على قرية الجوش ، ووضعوا أهلها من الصيعان في معتقل الجوش ، ويؤكد ذلك أيضًا الشاعر محمد سعيد القشاط في كتابه [صدى الجهاد في الشعر الشعبي] الذي نشره نهاية عام 1970م .

3- **رغم** استسلام قبيلة الصيعان ، وانتهاء دورها كقبيلة في حركة المقاومة والجهاد التي استمرت بعد ذلك حتى عام 1930م ، إلا أن هذا لا ينفي وجود جماعات مقاتلة من القبيلة قرّرت عدم إلقاء السلاح ، والاستمرار في المقاومة، ولكن ضمن القبائل التي اضطرت إلى النزوح نحو القبلة ، خصوصا قبيلتي الرجبان والزنتان ، وهذا لا يشكّل في حد ذاته أمرا مستغربًا أو غير وارد،

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص198-199-200-201.

لأن قيادة قبائل المنطقة في تلك الفترة ، وتحديدًا قبائــل الرجبــان والزنتــان والصيعان والحرابة والرحيبات ، كانت بيد الحاج محمد خليفة فكيني ، خاصة وأن قبيلة الصيعان سبق وأن قدّمت مضبطة الولاء لقيادة الحاج محمد فكينــي كغيرها من القبائل الأخرى ، وبالتالي فحركة هذه المجموعات تأتي مع طبيعة الأمور، ولشعور الجميع بوجود مرجعية قيادية لهم يتبعونها ويتلقون الأوامــر منها، ويؤكد هذا الرأي [خليفة التليسي] حين يتحدث عن نهاية المقاومة فــي طرابلس والقبلة بالقول:- ((وكانت تلك خاتمة للمقاومة في طرابلس الغــرب وفزان. تلك المقاومة التي تولتها حتى اللحظة الأخيرة جماعات مــن الزنتــان والرجبان والمشاشي وأولاد أبي سيف وأولاد سليمان والقذاذفــة والمقارحــة والحساونة وغيرهم وفي ذلك ما يقطع بأن الحرب قد استمرت فــي طــرابلس الغرب -كما كانت تعرف في الوثائق الإيطالية- نفسها حتى سنة 1930))[1].

4- **جميع** المصادر الليبية والإيطالية لم تتعرّض لذكر أي دور أساســي للشــيخين علي كلة ، و المبروك الغدي في حركة الجهاد الليبي ، وحتى تلك التي اســتند عليها القشاط كقصائد الشعر الشعبي ، ذكرتهم كأفراد ، وليسوا كزعامات ، أو قيادات من المستوى الأول ، ومحاولة القشاط اقحامهم في هذا الخضم ، هو في الحقيقة إساءة بالغة لهم ولأسرهم ، قبل أن تكون مفاخرة بهــم فــي مواجهــة الآخرين ، خاصة وأنه ذكر بعض الأحداث والسلوكيات التي صدرت عنهمــا تجاه قيادات وزعامات وطنية وهي إن صدرت عنهما حقيقة كما يقول القشــاط فهي لا تدلّ على سلوك قويم منضبط .

1 – د . خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص 257.

11- إدعاء تقديم الشيخ سليمان الباروني لعلي كله إلى السلطات التركية لتعيينه رئيسًا للمجاهدين

يقول القشاط :-((سار الشيخ سليمان الباروني إلى اسطمبول لاستلام وثائق تعيينه، واستلام المهام الجديدة وكان علي كلة قد أبل من مرضه ولكنه لا يزال ضعيف فرافق الشيخ الباروني ليقدمه للسلطات التركية ليتم تعيينه رئيسا للمجاهدين في طرابلس الغرب فما أن وصلا اسطمبول حتى انتكس الشيخ علي كلة ومرض فأودع المستشفى، وسار الشيخ الباروني راجعا إلى ليبيا بدونه)) [1].

نشير إلى أن مذكرات الشيخ سليمان الباروني التي تقع في أكثر من ألف صفحة لم يرد فيها اسم الشيخ علي كلة إلا مرة واحدة وفق النص التالي الموجه إلى الشيخ سوف المحمودي :- **((ملحق للشيخ سوف** : ابنكم عون افندي جاءني منه جواب يتشكى تعطيل شهرين من معاشه فراجعت الحكومة فأرسل تلغرافيا إلى الوالي في عدم تعطيله فأعطاه في الحال . الحاج كان مريض وشفى وسعينا له في معاش شهري . الشيخ علي كلة جلبناه مرفها ليأتي معنا وتخصص له ولعائلته معاش ثم مرض عدناه يوم سفرنا حصل له الشفاء التام ولكونه ضعيف لا يقبله تحت البحر أخرناه ليأتي مع جماعة أخرى 19 محرم 1334))[2].

لذلك فإن تفسير النصّ السابق وفق عباراته تشير إلى أن الشيخ سليمان الباروني يقصد حين يقول [جلبناه] أي بمعنى أحضرناه معنا [**بإرادتنا**] كي نؤمّن له معاشًا بمعرفتنا وعلاقتنا مع السلطات التركية التي تسبق حتى تاريخ الغزو الإيطالي لليبيا وعندما مرض قمنا بزيارته ، وحين [**رآنا**] ويقصد أن علي كله لم يكن يتوقع أن يزوره ويعوده في مرضه شخص في منزلة الشيخ سليمان الباروني ، فكان هذا من أسباب فرحه وسروره وانبساط نفسه ، حتى أنه حصل له الشفاء في حينه ، ولكونه ضعيفًا [**أخرناه**] وهو [**أمر واجب الامتثال له**] بالبقاء والعودة مع المجموعة التالية.

ويفهم من هذا النص الوثائقي الواضح أن الشيخ سليمان الباروني اصطحب علي كله معه لكي يؤمّن له معاشًا يرتزق منه وأسرته ، لا ليطلب تعيينه قائدًا للمجاهدين كما يفهم من المعلومات التي أوردها القشاط في كتابه .

---

1 - القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص 117.

2 - زعيمة الباروني، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي**، الجزء الثاني، ص 43.

12- مغالطات تشكيل حكومات ونظم سياسية خلال مرحلة الجهاد

حفل كتاب القشاط بكثير من الصور لحكومات وأنظمة سياسية يقول أن المجاهدين أنشؤوها خلال مرحلة الجهاد ، وهكذا يقرّر القشاط بكل بساطة ، ودون أن يوضّح على ماذا استند عند تشكيل هذه الحكومات والنظم السياسية خلال مراحل عرضه للأحداث في كتابه ؟ ، فقد كان يتخيّل ويرى في كل مجموعة يتجاوز أفرادها شخصين اثنين حكومة ، **وباستثناء [حكومة مصراته] أو حكومة الجبل [الإدارة المختارة]** كما سمّاها الشيخ سليمان الباروني أو **[الجمهورية الطرابلسية]** وهي تنظيمات سياسية تعتبر من حقائق تلك المرحلة ، فإن ما يطرحه القشاط من تشكيلات ونظم سياسية تثير انتباه القارئ ، وتدخل في دائرة الهزل والطرح الساذج ومنها على سبيل المثال :-

1- جمهورية طرابلس الأولى

ورد في الصفحة الثالثة من أوراق علي كلة :- ((وكان الشيخ سليمان الباروني رئيس جمهورية طرابلس لكل الوقت وكان مقر رئاسة الجمهورية الأولى بيد الشيخ سليمان الباروني)) .

هكذا بكل بساطة يثبت من يسعى أن يوصف بالمؤرخ جمهورية جديدة في تاريخ حركة الجهاد الليبي ، خلافًا لما ورد في كل الوثائق والكتب حتى أن الشيخ سليمان الباروني لم يتجرأ فيقول في مذكراته أنه أعلن الجمهورية ، أو أقامها في بداية مرحلة الجهاد الأولى !! ؟ .

2- حكومة الحرابية :-

قال القشاط ما يلي :-((وتقدم الإيطاليون نحو المناطق الداخلية يسبقهم دعاتهم من المستسلمين الليبيين ويحتلون البلدان بدون حرب . وجعل الباروني من يفرن عاصمة له ، واتخذ الشيخ سوف من بئر الحرابية مقرا له تحيط به مخيمات الراحلين من الساحل زواره نوائل ، سعفات ، خويلد ، وريمه حميدات ، علالقة عجيلات ، والصيعان الذين يستقرون في المنطقة بحكم تواجدهم والحرارات والقديرات ، والشعاليل هم أيضا تواجدوا في المنطقة .
وكان يدير كل قبيلة زعماؤها ، الذين تشكلت منهم إدارة ، مديرون ومشايخ . كان الشيخ سعد حلبودة مديرا على الصيعان يساعده المشايخ علي كله ، ونصر بالحاج

والشيخ الغدي ، والشيخ عمر بن حنين ، وكان الشيخ حرب بن نصر النائلي مديرا على النوائل ، والشيخ سلطان بن شعبان مديرا على زواره ، والشيخ مفتاح الحراري مديرا على الحرارات ، والشيخ علي بو جناح مديرا على القديرات ويساعد كل مدير مجموعة من المشايخ ، وتقدم الطليان واحتل غريان بدون حرب...))[1].

لا أحد يدري على ماذا استند القشاط في وجود حكومتين منفصلتين إحداهما في يفرن برئاسة الشيخ سليمان الباروني ، والأخرى في الوطية [بئر الحرابية] برئاسة الشيخ محمد سوف المحمودي ، لأن صيغة فعل [اتخذ] تعني استقلالية القرار لدى الشيخ سوف في إنشاء إدارة خاصة به ، وتوسّع في الشرح ، فأوضح الهيكل التنظيمي لها فجعل لها مديرين وشيوخ وزّعهم على مجاميع الأهالي الموجودين هناك .

ولتفنيد هذا الادعاء ، نورد بعض الوثائق التي تسجّل أحداث تلك الفترة بالتحديد ، وهي الفترة التي أعقبت توقيع الصلح بين تركيا وإيطاليا ، ومنح طرابلس الاستقلال فنشير إلى الرسالة التي وجّهها الشيخ سليمان الباروني إلى الأمير عمر طوسون باشا عزيز باشا محمد باشا يكن ، محمد علي باشا ، وذلك في غرة ربيع أول 1331 والتي جاء فيها :-((على إثر إعلان الصلح وتوقيف الحرب : اجتمع الأعيان والمأمورين كافة من سرت إلى حدود تونس في العزيزية، وتذاكرنا فيما يلزم أن نتخذه لأنفسنا ، وبعد مجادلات دامت نحو ثلاثة أيام قرر ح ، ب ، ت قائمقام العزيزية وقائمقام النواحي وقائمقام الزاوية ، ترهونه والعجيلات وزواره ومن معهم من الأعيان : وجوب سرعة التسليم لإيطاليا بدون طلب شيء . وأصررت أنا على وجوب الثبات في خط الحرب ومخاطبة إيطاليا على شروط تنفع أهل البلاد، وإن لم تقبل فيلزم دوام الحرب ولو في الجبال ، إلى أن تحصل نتيجة تنفع . فامتنعوا وركبوا في الحال ودخلوا المدينة ، ولم يطلبوا شيئا سوى إبقائهم في الوظائف فقبل منهم ذلك . فارتحلت أنا بمجاهدي الجبل والقبلة وزواره والنوائل وغيرهم ، وأسست مركزا واحدا في الرابطة تحت غريان ، ومركزا آخر في الوطية أمام زواره جهة حدود تونس . وفي الحال جلبت تلك الجماعة عسكر إيطاليا إلى العجيلات والزاوية والعزيزية وترهونه وغريان وكلفوه بالزحف حالا

---

1 – القشاط، **من قيادات الجهاد الليبي**، ص 97.

على مجاهدينا في الرابطة والوطية فلم يساعدهم ، وكان مجاهدونا إذ ذاك 400 فقط : لأنني فرقتهم مؤقتا لعدم وجود الأرزاق ، وما القصد بإبقائهم إلى تأسيس المركز ، وكذلك في الوطية .

ثم جمعت الأعيان كافة وذاكرتهم على إعلان الاستقلال ولو صوريا حسب الفرمان السلطاني [ربما يحصل لين من إيتاليا فتساعدنا في شيء] ..))[1].

كما قام الشيخ سليمان الباروني بتعيين الشيخ محمد سوف قومندانًا على الساحل وأسند إليه إدارة مركز الوطية ، ونجد الشيخ سوف يرد على الباروني بالرسالة التالية :-((عن نزاد الجبل – السيد سليمان بك الباروني:

بالأمس توجه الشيخ حرب بعموم المجاهدين . والعاجز انتظرت الصيعان ، ولما أتوني اليوم صارت حركتي للوطية ، وعند وصولي إن شاء الله أتوجه للهجوم بدون تأخير . أرجو من الله النصر أفندم / 17 ربيع أول 1331

قائمقام نزاد : محمد سوف))[2]

3-جمهورية شمال أفريقيا :-

تحت عنوان جمهورية شمال إفريقيا 1915 يقول القشاط :- ((نتج عن دخول تركيا الحرب إلى جانب الألمان في الحرب الكونية الأولى أن أشرفت على نشاط المجاهدين المهاجرين فيها من شمال أفريقيا وشجعتهم على الثورة ضد فرنسا وإيطاليا ، ووعدتهم بالأسلحة والذخائر والأموال ، وهكذا اجتمع منهم مجموعة في تركيا وقرروا تكوين جمهورية تضم شمال إفريقيا وسموها [جمهورية شمال إفريقيا] واعترفت بها ألمانيا والنمسا ...الخ))[3].

كما يقول :- ((وحتى لا يترك الليبيون فراغا سياسيا قرروا إعلان جمهورية تحت اسم الجمهورية الطرابلسية وهي أول جمهورية في الوطن العربي بعد جمهورية شمال إفريقيا))[4].

من الواضح أن غير المتخصّص ، وغير المدقق ، يقوم بعملية نقل للمعلومة دون التمحيص والتدقيق ، وفهم مفرداتها ، وتحميل النصّ معانى أخرى لا تعبّر عن

1 – زعيمة الباروني، المصدر السابق ، ص 422.
2 – المصدر السابق ، ص 422.
3 – القشاط، المصدر السابق ، ص 130.
4 – القشاط، المصدر السابق ، ص 134.

واقع المعلومة ، إما بالتضخيم والتفخيم والمبالغة ، أو بالتصغير والتحقير وفي كلتا الحالتين يفقد النص الأصلي معناه ، ويحدث الانحراف الذي يترتّب عنه فهم مغلوط للحدث ، فالقشاط هنا وحسب مرجعيتة الشعرية التي تميل في الغالب إلى المبالغة والتفخيم كعادة الشعراء عند تناول الحدث ، لم يستطع أن يفرق في المعنى بين (الهيئة) كنشاط ، وتنظيم يهدف إلى تحقيق نتائج سياسية ، وبين (الجمهورية) كنظام سياسي له كيان ومؤسسات ، فكلاهما يبدو أن له معنى واحدًا لديه فهو هنا يرى في (خطة عمل) وضعتها الدولة التركية بالتعاون مع ألمانيا عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، لإثارة الأوضاع ضد إيطاليا وفرنسا في مستعمراتهما في شمال إفريقيا وتحديدًا في طرابلس وتونس والجزائر ، (كيان سياسي قائم) ، حيث شكّلت هيئة ضمت عددًا من المناضلين اللاجئين لديها من بينهم : سليمان الباروني وعبدالعزيز الثعالبي والأمير شكيب أرسلان ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد فريد.

وكان يشرف على نشاط هذه الهيئة ، ويمدّها بما تحتاج إليه من إمكانيات لبدء نشاطها السيد **علي باش حامبه** الذي عيّنه وزير الحربية التركي أنور باشا مديرًا لدائرة التشكيلات الشرقية ، وعلى هذا الأساس رجع الشيخ سليمان الباروني عن طريق غواصة ألمانية أنزلته على شواطئ مصراته ، لتنظيم حركة الجهاد ابتداءً من عام 1915 ، ورجع الشيخ عبدالعزيز الثعالبي إلى تونس وشكّل جمعية انضمّ إليها عدد من المناضلين التونسيين ، وبدأ نشاطه داخل تونس .

هذه الأعمال والنشاطات ذات الطابع السياسي ، لم تكن ترقى إلى مستوى يمكن أن يطلق عليه [جمهورية] ، وهو ما أخطأ فيه أيضًا الشيخ الطاهر الزاوي بإطلاق لفظ جمهورية على هذا النوع من النشاط السياسي ، الذي هو في ظاهره مساعدة الليبيين والتونسيين والجزائريين ، وفي مغزاه وباطنه خدمة مصالح تركيا وألمانيا في حربهما ضد الإيطاليين والفرنسيين ، وهو يقع في دائرة الصراع الذي شمل أيضًا نشاط البريطانيين ضد الأتراك بشبه جزيرة العرب وبلاد الشام ، وقد نقله القشاط على علاته دون تمحيص أو تدقيق كما يدّعى أو يحاول أن يختلق صورًا للأحداث وفي هذا الخصوص يقول البشير بن الحاج عثمان الشريف تحت عنوان هيئة غزو شمال أفريقيا :-((وفي هذه السنة قرّرت الدولة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال أفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين))[1].

---

1 – البشير بن الحاج عثمان الشريف، **أضواء على تاريخ تونس الحديث**، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، ص169 .

كما يقول د/ صالح الخرفي حول نفس الموضوع :- ((يشير أبو اليقظان إلى الحملة التي كانت محاورها المخططة والمحركة تتمثل في [علي باش حامبة] في الآستانة و[سليمان الباروني] في طرابلس ، و [عبدالعزيز الثعالبي] في تونس و[محمد الخضر حسين] ، و[محمد باش حامبة] في برلين . **كان** [علي باش حامبة] مدير دائرة التشكيلات الشرقية في وزارة الحربية التركية بعد تعيين [أنورباشا] وزيرًا لها عند قيام الحرب العالمية الأولى .[سليمان الباروني باشا] كان في هذه الفترة في الأستانة. عضوًا في مجلس الأعيان تقديرًا لجهوده في الحرب الطرابلسية، فطلب منه [أنور باشا] العودة إلى طرابلس الغرب واستئناف الجهاد. يقول [سليمان الباروني] عن هذا المخطط : " كان "علي بك" يقصد باش حامبة يعلق على انتصاراتنا في طرابلس آمالا عظيمة ، نحو وطنه تونس الخضراء حتى أنه عزم على زيارتنا أخيرًا في غواصة ، لما تقرر إجراء الترتيبات على الحدود الغربية الطرابلسية استعدادا للزحف على تونس))[1].

ويوضّح د/ جلال يحي طبيعة هذا النشاط فيقول :-((... وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال أفريقية . اتصلوا في الآستانة بالأمير شكيب ارسلان والباروني ، وعبدالعزيز جاويش ، ومحمد فريد ، وألفوا في عاصمة الدولة العثمانية **هيئة لتحرير شمال أفريقية** ، تعاونت مع السنوسيين في برقة ، واتصلت بعدد من رجال الطوارق في فزان وجنوب تونس والجزائر ، ووصلت دعايتها إلى قلب الصحراء الكبرى . وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي ببعض ما يحتاج إليه ، وتوجيهه صوب التوغل في حدود مصر الغربية وفي الوقت الذي كان على جيش جمال باشا أن يقوم فيه بمهاجمة مصر من ناحية قناة السويس . وكان كذلك وراء إرسال الباروني إلى طرابلس ، وعمله من هناك على إثارة حركة تحررية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر . وحاولوا تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال أفريقية والمشاركة في عمليات التحرير . ولقد أشرف على كل ذلك علي باش حمبه الذي كان يعتبر الموجّه لحزب تونس الفتاة ...))[2].

---

1 – صالح الخرفي، **عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص431.

2 – جلال يحي، **تاريخ المغرب الكبير** ، **الفترة المعاصرة وحركات التحرير**، الجزء الرابع ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص242.

ولعلّه من المستغرب أنه لم يكن من بين أعضاء هذه الهيئة الشيخ علـــي كله باعتباره كما يقول القشاط أحد قيادات الجهاد الليبي ، وهو حينذاك ما يــزال في تركيا ، والذي يدعي القشاط أيضًا أن الشيخ سليمان الباروني سعى قدر جهده لتقديمه إلى السلطات التركية ليكون قائدا للمجاهدين ولم ينجح في مســعاه !! ؟

وهو الذي يقول عنه :-((كان زعيما وطنيا وفارسا يقارع الأعداء ومحاربا شرسا ومدار الرأي ، منه يبتدئ وإليه يعود ...))[1].

4-حكومة بني وليد

يقول القشاط :- ((استقر عبد النبي في بني وليد ونظّم الإدارة ، وأسّــس مجموعة من القائمقاميات تتبع للمتصرفية المركز ، قائمقامية شــميخ ، قائمقاميــة المردوم ، قائمقامية بونجيم ، وعيّن لكل قائمقامية قائمقاما يدير شؤونها ...))[2].

ولم يكتف القشاط بتفصيل تكوينات النظم السياسية علـــى قيـــاس القبيلـــة ولكنه سعى إلى إدخال مرادفات وألفاظ تستخدم في هذا العصـــر ، فأشـــار إلـــى أن الحاكم عبد النبي بالخير تعرض لانقلاب لتغيير الحكم من قبـــل عثمـــان ســـكيب ولكنه فشل فقال :- ((... وقد حاول عثمان في السنوات المتأخرة أن يرتب انقلابـــا ضد عبد النبي في ورفله ولكنه لم يفلح بل وأطلق النار على أخ عبد النبي المسمى المبروك وجرحه جرحا بليغا ...))[3].

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 273 .

2 – القشاط، المصدر السابق ، ص 191.

3 – القشاط، المصدر السابق ، ص 191.

13- مغالطة أسباب وفاة المجاهد عمرو غنغانة

يقول القشاط :- ((**في رواية للشيخ عون الشبلي أن مجموعـات فكينـي عندما وصلوا إلى تمزدة وطردوا خربيشه طلبوا من الشيخ غنغانه أن يحضر لهم قصعة الطعام على رأسه كما يفعل العبيد فمرض ومات بعد ثلاثة أيام عليه رحمة الله**))[1].

هذه الحكاية التي دسّها القشاط في حديثه ، وهي إساءة الرجبان والزنتـان معاملة المجاهد عمرو غنغانة الذي توفي كمدًا وقهرًا من سوء المعاملـة والإهانـة التي لحقت به من حلفائه ، وتنكّرهم له بإهانته ، وهو حين يقدّم هذه الحكاية علـى هذ النحو بالذات من سوء القصد ، فهو يمسّ جانبًا مهمًا وحسّاسًا في العلاقة بـين الجذمين المتجاورين قرونًا في ظل التسامح والتعاون الذي عرفته المنطقة ، فالقشاط يستخدم حكايات وردت في روايات الأقدمين تحتمل الصدق وتحتمل النفي ، وهـي تخدم بشكل مباشر أو غير مباشر المخططات الخارجية التي تستهدف تفتيت الجبهة الوطنية .

ونحن لن نكذب القشاط برواية نوردها من عندنا ، بل نفتح صفحات مـن كتابه الثاني [معارك الدفاع عن الجبل الغربي] ونقرأ ما كتبه حول وفاة عمـرو غنغانة ولندع القشاط يفند ذاته بأقواله ورواياته المتناقضة .

فقد كتب سابقا عن عمرو غنغانة ما يلـي :- ((هـو أحـد المجاهـدين الصادقين من بلدة فساطو ، ساهم كغيره من سكان المنطقة فـي معـارك 1911-1912-1913 م وفي عام 1915 نجده في وادي مجزم مع خليفة بن عسكر ولـم نستطع الوصول إلى معرفة الطريقة التي وصل بها إلى هناك فاشترك في معـارك "ماترس " و " سوينية يعقوب" و " سيناون " وكاباو" ونالوت و "تكوت" وعندما أعلن يوسف خربيشه الانضمام لايطاليا في صيف 1916 كان عمـرو غنغانـة ضـمن المجاهدين الذين حاصروا فساطو واستولوا عليها وأنزلوا من على سـاريتها العلـم الإيطالي وفر من أمامهم يوسف خربيشة مهزوما للطليان في زواره .

وفي أواخر عام 1917 عام المجاعة الكبرى توفي عمرو غنغانـة ببلدتـه تمزدة مريضا عليه رحمة الله))[2].

1 - القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص 151.
2 - القشاط ، **معارك الدفاع عن الجبل الغربي** ، ص316.

(ج) – بيان مواضع التحريف والتغيير في النصوص المقتبسة

يستند محمد سعيد القشاط حين يسعى إلى تأكيد وجهة نظره تجاه المسائل والقضايا والمواقف التي يطرحها في كتبه على نصوص يقتبسها من مصادر تاريخية عاصرت الحدث وأرّخت له ، كان أصحابها عنصرًا أساسيًا في صناعة الحدث ، أو ممن توفرت لهم امكانية المشاركة أو الإطلاع على الأرشيف المتعلق بها ، وقد تجاوزت النصوص المقتبسة في كتابه الأخير [من قيادات الجهاد الليبي] **(103)** نصُ مقتبسُ من أكثر من **(16)** مصدرًا من كتابات ووثائق الشيخ سليمان الباروني ، الشيخ الطاهر الزاوي، العقيد رودولفو غراتسياني العقيد رفائيل رابكس ، العقيد أ. بيلارينيللي ، وهي تعتبر من المصادر المهمة في تأريخ حركة الجهاد الليبي ، ولا غنى لأي باحث من الاطلاع عليها أو الاستفادة منها ، إضافة إلى مصادر أخرى لباحثين معاصرين.

وهناك العديد من الملاحظات المهمّة تبرز عند مراجعة هذه النصوص المقتبسة ومقارنتها بالنصوص الأصلية منها : –

*– **أدخل** القشاط تعديلات وتغييرات على هذه النصوص أثرت على معناها وذلك حسب نوعية الحدث والشخصية التي يتناولها ، وقد تراوحت التغييرات ما بين تغييرات شكلية بسيطة تأثيرها محدود على النصّ الأصلي ، وأخرى جوهرية عميقة غيّرت بالكامل تفسير النص ومعناه بشكل مغاير له تمامًا ، وذلك إما بحذف كلمة أو جملة ، بحيث يلتبس المعنى على القارئ ، ويتحوّل النصّ من معنى محدّد إلى معنى عام غير محدّد ، لا ينتبه إليه القارئ العادي ، أو حذف جملة من النصّ وربط جمل متباعدة في النص وليست متصلة لتكوين جملة جديدة داخل النص الأصلي تؤدي إلى تغيير تام في معاني الجمل ، وباتجاه يسيئ في الغالب للحدث أو للشخصية الجهادية التي يتناولها القشاط .

*– **يتعمّد** القشاط حين يريد أن يؤكد فكرة ما تجاه حدث أو شخص جَمْعَ عدد من النصوص المقتبسة وإن اختلفت طبيعة الموقف والحدث التي تشير إليه تلك النصوص في الأصل دون الأخذ في الاعتبار التسلسل الزمني لها ، حيث يجمع نصوصًا متباعدة زمنيًا ، وأحيانا تكون النصوص المقتبسة تتناول حدثًا لاحقًا فيوردها القشاط لتأكيد وجهة نظره تجاه حدث سابق لها زمنيًا ، وليوهم القارئ بصحة وجهة نظره نحو المسألة .

*- **يلجأ** القشاط في عملية التغيير والتحريف للنصوص المقتبسة إلى أسلوب الاختيار المتعمّد ، حيث يقوم بإحداث تغييرت جوهرية تطال النصّ وتغيّر معناه باتجاه مخالف للمعنى في النص الأصلي وبشكل مسيئ عندما يكون الأمر متعلقًا بقيادات الجهاد من قبيلتي الرجبان والزنتان ، أو بدور عموم القبيلتين في حركة الجهاد ، فيحذف ويضيف ، ويربط جملاً متباعدة لتكوين جمل تعكس موقفًا سلبيًا يحاول أن ينقله للقارئ تجاه موقف الشخصية أو الحدث ، ومن المؤكد القول أن هناك أسبابًا شخصية في علاقة القشاط بهاتين القبيلتين تدفعه إلى مثل هذا التحامل المتعمّد تجاه دورهما في حركة الجهاد .

أما في النصوص المقتبسة الأخرى والمتعلقة بأحداث أو شخصيات أو قيادات أو قبائل أخرى لا يوجد تماس شخصي بينه وبينها ، فإن التحويرات والتغييرات التي يقوم بها على النصّ بسيطة وغير ذات أهميّة ، وتكون في الغالب بحذف كلمة أو إضافة أخرى .

ومما لاشك فيه أن هذه التغييرات والتحويرات المتعمّدة للنصوص هي أمور تفقد **محمد سعيد القشاط** عنصر الحياديّة والمنهجيّة العلميّة في الكتابة التاريخيّة ، وتمسّ بشكل مباشر البعد الأخلاقي له على المستوى الشخصي ، والذي هو شرط أساسي ومهمّ ، ينبغي أن يتوفر فيمن يقوم بعملية النقل والاقتباس بحيث لا يضيف أو يحذف كلمة ، أو جملة ، أو يعيد صياغة النصّ الأصلي ، وتحميله معاني وعبارات لم ترد فيه ، وألا يتصرّف فيه كما يحلو له ، وفي حالة ما إذا كانت له ملاحظات أو تعليقات أو وجهة نظر على النصّ الأصلي ، فعليه أن يضع ذلك بين قوسين خارج النصّ ، لأن الكاتب حين يفقد هذا الوازع الأخلاقي المهمّ فإن مصداقيته على المستوى الشخصي تتأثر سلبيًا لدى القارئ ، وتتحوّل كتاباته مهما اجتهد أو حاول أن يؤكد تجرّده وحياديته ، إلى مجرّد سباب وشتائم وتهجّم تعكس نظرته السلبية تجاه الآخرين ، ومن ثم تفقد أية قيمة علميّة أو معرفيّة .
ونورد فيما يلي أمثلة لما سبق على سبيل الاستدلال لا الحصر :-

1- النصوص المقتبسة من مذكرات الشيخ سليمان الباروني

اقتـــبس القشاط عدة نصوص من مذكرات الشيخ سليمان الباروني ، ولكنه تعمّد تطويع النص بحذف جمل أو إضافة كلمات كي يوجّه تفسير النصّ في الاتجاه الذي يريده :-

النص الأول:-

- **فـــي** هذا النص أضاف وحذف وغيّر في عبارات النصّ الأصلي ، وهي عبارات ذات أهميّة لأنها غيّرت المعنى بالكامل ليتحوّل تفسير النص باتجاه أراد من خلالــه أن يلصق بالحاج محمد فكيني صفات الهروب والخيانة والنكوص وذلك على النحو التالي :- ((وصل المخترش قرب البلاد وترصدوا اسقاءهم فأتى سعد بن برنيــه الفكحال إلى القومندان وأخبره أن الجماعة وصلت فأمر السواري بالكشــف عــنهم ومعهم سعد وهو صادق وباشر من في الــبلاد الهجــوم وقصــدوا المحبوســين فأخرجوهم واشتدت الحرب فأرسل محمد فكيني من الرجبان رجلين ليفهم الحقيقــة فبقوا مع المجاهدين فأرسل في أثرهما بتذكرة هددهما إن لم يرجعا فتركا الحرب ورجعا ، ودامت الحرب (9) أيام محاصرة وفكيني منع الرجبان كافة من الفزع .

وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو ومن يفرن ومن غريـــان ومـــن ترهونه والجوش بعد أن أتوا إلى شكشوك لملاقاة الذين في فساطو **بســلاح** ووداع مع أصحابهم وكلف فكيني خربيشه ومحمد بن سعيد أن يرافقوهم إلى شكشوك وهو رجع بالجاندرمة (60) إلى الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليـــان وهـــرب وأرسل أخاه مسعود إلى فساطو ليأخذ سهمه من متروكات الطليان التي لا تحصـــى ثم أتى الزنتان ليظهر المشاركة في الحرب وخابر هو والبدوي الطليان على التسليم وأخبرهم بما جرى في فساطو وغيرها فتيقنوا ففروا في الليل واتبعهم الزنتان فقتلوا من قتلوا وأسروا نحو **(45)** هذا في آخر شعبان))[1].

إن مقارنة هذا النصّ مع النصّ الأصلي ، تظهر كيف تعامــل [المــؤرخ محمد سعيد القشاط] حين تجرّد من صفات الباحث وأخلاقه وحياديته ، خاصة وأن هذا النصّ موثق يؤرخ لحوادث وقعت منذ أكثر من تسعين عامًا ، فحذف وأضاف في عبارات النصّ الأصلي بحيث تغيّر المعنى بالكامل ، وتحــوّل التفســير لــدى

---

1 - زعيمة الباروني ، الجزء الأول ، ص 149.

القارئ غير المطّلع على الوثائق والأصول الأصلية ، باتجاه يخدم نواياه السيئة تجاه الحاج محمد فكيني ، ونورد توضيح ذلك على النحو التالي :-

- **نسب** المؤلف النصّ إلى الشيخ سليمان الباروني حين قال في تقديمه للنصّ مايلي:- ((وبعد انكسار الجيوش في غدامس ، ومرسيط والقرضابية ومهاجمة المجاهدين للقوات الإيطالية في الجبل الغربي يقول الشيخ سليمان الباروني في مذكراته عن معركة " الكردون" ببلدة الزنتان التي خاضها المجاهدون من مختلف قبائل القبلة الذين خاضوا معركة مرسيط))[1].

هذا النصّ الذي أورده ونسبه إلى الشيخ سليمان الباروني ، هو في حقيقته للشيخ أحمد السني قدمه إفادة للشيخ سليمان الباروني ، في حين أن الشيخ سليمان الباروني يؤكد أن تعليقاته على النصّ كان يضعها بين قوسين داخل نص الإفادة. ويلاحظ أنه في موضع آخر من كتابه في الهامش رقم 2 ص 158 ، أعاد نسب النص لصاحبه الشيخ أحمد السني .

من ناحية ثانية فإن إفادة الشيخ أحمد السني تحتمل المناقشة لأنها تقرير جامع لأخبار الأحداث التي وقعت ، ولم يكن حاضرًا فيها جميعًا ، وأن معلوماته في البعض منها نقلاً عن راوية أو رواية .

- **وقد أدخل** القشاط تغييرات على النص كالتالي :-

*- **التغيير والتحوير البسيط** :-

- تم حذف الكلمات والجمل التالية التي تحتها خط من النص الأصلي لتغيير معناه .
- في نص القشاط ((...فأمر السواري بالكشف عنهم ومعهم سعد وهو صادق...)) أما في النص الأصلي ((...فأمر السواري بالكشف ومعهم سعد فأحاط بهم الجماعة وقتلوهم ونجا سعد وهو صادق ....)) .
- ((.... وقصدوا المحبوسين ....)) ، وفي النص الأصلي ((..وقصدوا دار المحبوسين ..)).
- أضاف حرف الجر [عنهم] إلى النص ((..فأمر السواري بالكشف عنهم ...)) وهي غير موجودة في النص الأصلي .

1 - المصدر السابق ، ص 149.

- استبدل حرف الجر [في] ووضع بدلا منه حرف الجر [من] مما أدى إلى تغيّر بسيط في المعنى ، فالجملة في النص الأصلي تقول :- ((وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو وفي يفرن وفي غريان وفي ترهونة والجوش...)) أصبحت في نص القشاط :- ((وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو ومن يفرن ومن غريان ومن ترهونة والجوش)) .

***- التغيير والتحريف الجوهري في النص**

حين يتحدث عن الحاج محمد فكيني فإنه يقتطف كلمة محدّدة ، ويلغي السطور التي بعدها ، كدأبه دومًا حين يريد الإساءة إليه ، ليبني عليها حكمًا جائرًا يقول في نصه:- ((... وهو رجع بالجاندرمة (60) إلى الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليان وهرب وأرسل أخاه مسعود ...)).

إن النصّ بهذا المعنى يشير إلى أن الحاج محمد فكيني هرب بما في الكلمة التي وضعها بتعمّد القشاط من إساءة وتجريح لمجاهد في مكانة الحاج محمد فكيني.

أما النصّ الأصلي فيقول ما يلي :- ((...وهو **رجع بالزاندرمة (60) إلى** الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليان لمحاربتهم ، ولما وصل البلاد جرد الزاندرمة من السلاح وأخبرهم أن التليان هرب وأرسل أخاه مسعود ...))

وتفسير النصّ الأصلي كما أوردناه يشير إلى معنى آخر لا يقبل الشك وهو هروب الطليان ، والفرق في معنى النصيّن وتفسيرهما واضح وجلّي .

النص الثاني

في الصفحة (152) أورد رسالة الشيخ علي القبلاوي للحاج محمد فكيني بعد أن حذف منه بعض حروف الجر والجمل، وأضاف كلمة أو حرف، وفسر المعنى على هواه.

***- التغيير والتحوير البسيط على النص**

- حذف حرف [الهاء] من حرف الجر ففي النص الأصلي:- ((... لأحدكم منه للحكومة ..)) ليصبح في نص القشاط ((لأحدكم من للحكومة)) .

- أضاف [سيما] للنص وهي غير موجودة بالنص الأصلي لتصبح الجملة:- ((.. رغما عن تطفل الغير عليها بدون حق ولا أهلية سيما وأغلب فساطو نادمون على ما فرط منهم ..)) .

***- التغيير والتحريف الجوهري للنص**

تعمّد القشاط حذف جملة مهمة من النص الأصلي ، فجاء نصه كالتالي ((...وأملنا أن تكون أول طليعة لطاعة الغربيين على العمى طوعا للأشقياء ...)).

أما في النص الأصلي :-((... وأملنا أن تكون أول طليعة لطاعة عموم الجبل سيما وطنك ومجاوروك وهم الزنتان والرحيبات والريايينه إن أصر الغربيون على العمى طوعا للأشقياء ...)).

2 - النصوص المقتبسة من كتابي [نحو فزان] و[إعادة احتلال فزان] لغراتسياني

ينتقي القشاط اقتباساته من هذين المصدرين بشكل يحاول أن يسيئ فيه إلى دور الحاج محمد فكيني وقيادات الجهاد من قبيلتي الرجبان والزنتان ، ويورد عدة نصوص في مواضع مختلفة ليربط بينها معنى يؤيد فكرته ، وكذلك يحذف بعض الكلمات ليصبح المعنى عامًا بعد أن كان في النصّ الأصلي محدّدًا .

النص الأول

أورد القشاط النص بعد أن حذف منه كلمة [الليبية] وموقعها بعد كلمة الكتيبة ، ليتحوّل المعنى إلى عام بدل التحديد :-((ولقد سبب ذلك اليوم الشديد الحرارة عدة إصابات بضربة الشمس بين أفراد الكتيبة ...))(1).

النص الثاني

***- التغيير والتحريف الجوهري للمعنى**

يضع القشاط هذا النص المقتبس مبتورًا من أجل أن يوهم القارئ بصحة ما يريد طرحه حيال معركة الجوش ، من أن الصيعان هم وحدهم كانوا يدافعون عن الجوش ، ولكي يلصق تهم الهروب وعدم المشاركة في القتال للدفاع عن واحة

1 - غراسياني ، مصدر سابق ، ص 165.

الجوش بالمجاهدين ، وتحديدًا من الرجبان والزنتان والرحيبات التي مهد لهـا فـي حديثه ، فيورد النصّ على النحو التالي :- ((... وهكذا وصل الآلاي إلـى الآبـار وقد تناقصت مقدرته إلى حد بعيد وفي حالة لا تمكنه من التقدم في اليوم التالي نحو [الجوش] التي كانت الهدف الذي يجب بلوغه ...))[1].

ودون أن يكمل بقية النص لكي يكتمل المعنى الذي قصده غراتسياني وهـو ((دون أن يلحق بها خطر الانكسار أمام تشكيلات الثوار التي يقودها " الحاج محمد فكيني " وجميع زعماء " الزنتان" والتي تعترض الزحف والتقدم نحو آبار " الوخيم" القريبة)) .

ويتضح سوء النيّة لدى القشاط عندما يتناول هذه المعركة ، ويتعلق الحـال بقبائل الرجبان والزنتان فإنه لا يكتفي ببتر المعنى ، وإنما يقدّم لما يريد طرحه من إساءات بجمل وعبارات جارحة ، فيصف قيادة الحاج محمـد فكينـي للمجاهـدين بأنهـا [مهلهلة وضعيفة] ، ولا يراعي اتصال الكلام والمعنـى فـي النصـوص الأصلية في كتاب غراتسياني، فما يهمّه هو السعي لتركيب معنى من جمل مبتورة فيقول في تقديمه لنصّ يقتبسه من كتاب غراتسياني ليؤكد به ما يريـد طرحـه:- ((وعلى الذين يرون في حديث غراسياني هو الصدق الحقيقي يقول في كتابه نحـو فزان :- "... ويؤكدون أيضا أن من يوم واقعة الوخيم "3 يونيه" بدأ أهالي الزنتـان والرجبان في الفرار بمنتهى السرعة نحو القبلة بعد أن استبد بهم الفـزع والـذعر الشديدين وأن آلافا من المواشي قد ذبحت بسبب ما أصابها من العطش"))[2].

وعلى هذا الاقتباس المبتور سعى المؤلف في سطوره اللاحقة لتأكيـد تهـم الهروب بالرجبان والزنتان ، وتأكيد الصمود لقبيلته مستندًا في كلامه على أقـوال لأشخاص من نفس قبيلته ، أو من قبائل على خصام مع قبيلتي الرجبان والزنتـان ودون أن يتخلّق بخلق الباحث الذي يفترض فيه أن يصل الكلام والمعاني ببعضهما ويستنتج منهما رأيه الذي يودّ طرحه ، فلم يذكر القشاط أن غراتسياني حين قـال هذا الكلام كان قد مهّد له بكلام عن وقائع وحوادث حين قال :- ((وكان من شأن تلك الأيام التي تلت الاحتلال أن أعطت في تلك الأثناء الإحساس الدقيق بكـل مـا كانت لضربات الوخيم والجوش والسلامات من أثر فـي انكسـار قـوات فكينـي وهزيمته . وبعد أن قامت الكتيبة الاريترية بضربات مستمرة في بـلاد الرجبـان

1 – المصدر السابق ، ص 166 .

2 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 169.

والزنتان استطاعت أن تدرك في الواقع كيف أصبحت هذه البلاد خاوية على عروشها . وقد اتفقت جميع المعلومات التي وردت تدريجيا على التأكيد بأن فكيني انسحب إلى مزدة وبأن قبائله قد انتشرت بين [بئر علاق] و[بئر الكلاب] و[بئر سانية الجديد] في [القبلة] وكانت الخسائر التي أصيب بها في الأعيان والأقارب والرجال والمواشي فادحة للغاية . ويؤكدون أيضا أن من يوم واقعة الوخيم [3 يونيه] بدأ أهالي الزنتان والرجبان في الفرار بمنتهى السرعة نحو [القبلة] بعد أن استبد بهم الفزع والذعر الشديدان وأن آلافا من المواشي قد ذبحت بسبب ما أصابها من العطش))[1].

إن كلام غراتسياني المتّصل يعطي معنى متكاملاً منطقيًا للأحداث ونتائجها وهذا ما أكدّه المؤرخ خليفة التليسي تعليقًا على تلك الأحداث بالقول:- ((..وقد استغل هذه الفترة الكولونيل غراتسياني أسوأ استغلال للاستعداد لحملاته القادمة وللانتقام من الأهالي وخاصة أولئك الذين كان لهم موقف سابق من مقاومة الاحتلال الإيطالي وقد اضطرت كثير من القبائل إلى مغادرة مواقعها والنزوح إلى القبلة . كما فعلت قبيلة الزنتان وقبيلة الرجبان ...))[2] .

ولكن ما يلاحظ على محمد سعيد القشاط أنه يقفز بالاقتباسات والعبارات دون مراعاة لتسلسلها الزمنى، ونطاق معناها، ليكوّن منها جملاً أو معنى لما يريد طرحه، فيأتي باقتباسات تتحدث عن أحداث وقعت بعد معركتي الوخيم والجوش ليضعها تمهيدًا لمعركة الجوش، وليظهر للقارئ حين يستدل بكلام لأناس قال أنهم رووا له ما حدث، أن من تصدّى للإيطاليين هم رجال قبيلته فقط، وأن الرجبان والزنتان قد فرّوا، ولم يشاركوا في الدفاع عن الجوش التي يقول عنها غراتسياني ((حوالي الساعة الثامنة والنصف هاجمتني وحدات قوية من وحدات العدو كانت تتلقى على الدوام امدادات من المحلات التي كانت تأتي من الوخيم وكانت هذه كلها من الزنتان والرجبان والحرابة والصيعان وغيرها " قوامها 2500 بندقية " وكلهم من الرجال المدربين على الحروب، والذين كانوا يفاخرون بانتصاراتهم علينا التي أحرزوها في سنة 1915))[3].

1 – غراسياني ، المصدر السابق ، ص 102.
2 – د. خليفة محمد التليسي ، مصدر سابق ، ص 110.
3 – غراسياني ، المصدر السابق ، ص 95.

ولم يكتف القشاط بهذه الإساءات ، بل أنه وضع نفسه محللاً عسكريًا في مواجهة القائد الإيطالي غراتسياني ، فنراه اعتمادًا على روايات لأفراد أغلبهم لا يعرف لغة الحرف والرقم ، يفند بها كتابات غراتسياني وأرقامه وحساباته الاستراتيجية التي رسمت في روما ، ويستخدم المعلومة في غير محلها فيقول:- ((ولما سألت المجاهدين عن تعدادهم في هذه المعركة كانت أقوالهم غير متفقة فمنهم من قال إنهم **350** مجاهدا ومنهم من قال إنهم حوالي **400** ومنهم من قال إن المجموعة لا تزيد عن **500** ... ولكن غراتسياني بمبالغاته المعهودة يقول إن تعداد الثوار **4500** وهناك من صدق هذا القول وأعجبته الكثرة التي إن كانت حقيقة فإن الهزيمة مأساة لا مبرر لها ولكن غراتسياني في نفس كتابه يقول عن تعداد المجاهدين في أغلب معاركهم التي خاضوها " ونحن نعرف بحكم تجاربنا الطويلة أن [محلات] العدو من الصعب أن تجتمع كلها سويا في صعيد واحد – وذلك بسبب صعوبة التموين وإيجاد مستلزماتها. ونعرف أنه متى كانت [المحلة] كبيرة العدد لا يصل عددها إلا إلى [500] رجل لذلك كانت قوة أقل من قوة كتيبة من كتائبنا))[1].

هكذا أورد القشاط هذا الجزء الموجود في كتاب غراتسياني في الفصل التاسع المعنون [**نحو تهدئة المستعمرة واحتلالها بالكامل**] في الصفحة **(409)** وهذا الفصل على خلاف الفصول الأخرى هو خلاصة لرأي القائد الإيطالي من تجاربه في القتال ضد المجاهدين ، وقد استغلّ القشاط هذه الجملة ليشير إلى أن غراتسياني يؤكد أن المحلة لا تزيد عن **(500)** رجل ، ليحاول أن ينقض ما أورده غراتسياني من أن عدد المجاهدين كان في حدود **(4500)** ، ونسي في خضم عباراته أن غراتسياني حين تحدث عن معركة الجوش أشار إلى محلات الثوار بصيغة الجمع ولم يقل واجهت محلة واحدة كي ينطبق عليها تحليل محمد سعيد القشاط الذي بدأ شاعرًا شعبيًا ، ثم نراه محللاً سياسيًا وعسكريًا استراتيجيًا .

ورغم الملاحظات والانتقادات التي يبديها البعض حول دقة وحيادية المصادر الأجنبية ، أو انحيازها لوجهة نظر واحدة ، إلا أنها من وجهة نظر علمية منهجية تظل المصدر الهام الأساسي الذي لا غنى عنه عند تناول تلك الأحداث والوقائع ، وفي هذا الخصوص يشير المؤرخ د. خليفة محمد التليسي إلى أهمية هذه

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 172.

المصادر، خاصة المصادر الإيطالية فيقول :- ((... وقد شغلني وأنا أتابع هذه الأعمال العلمية أن أجدهم قد تقصّوا كل شيء ودرسوا كل شيء وأرّخوا لكل شيء وتابعوا الأحداث والوقائع متابعة تامة ، وكان أشد ما آلمني ألا أجد لدى الكثير من الشباب والأجيال الناشئة الصاعدة سوى صورة ضبابية غائبة موشحة بالخطابية ومملؤة بسحر الكلمات عن هذا الجهاد الطويل العنيد ، ثم ألتفت إلى المصادر الإيطالية فأجدها قد وثقت لحروبها في ليبيا وسجّلتها تسجيلا تاريخيا يعتمد أسلوب المعاجم والموسوعات (الانيكلوبيدي) أو التسلسل والتتابع الزمني (الكرونولوجي) أو العرض والسرد التاريخي العام))[1].

النص الثالث

كعادته في تصيّد الجمل المبتورة ، نراه لكي يجد منفذًا لاتهام المجاهد أحمد المريض يورد اقتباسًا من كتاب غراتسياني دون أن يكمله كي يفسح المجال لروايته التي أصبحت تشبه إلى حد كبير روايات ألف ليلة وليلة ، فهي صناعته يقف بها على مفاصل الكلمة والحدث ، ليؤسس بعدها مواقف لشخوص روايته ، ويضخّ فيهم روح الاستمرارية ، فالملحمة ماتزال في بدايتها ، وكي يكون لهم دور فيها ينبغي أن تتساقط كل الرموز الجهادية المعروفة ، وكي يكون لأبطال روايته شأن ينبغي أن تكون لهم مواقف في مواجهة هذه الرموز ، وليستمرّ ذاك البطل في رفع راية التحدي ، فهو ما يزال على خصام ، وعداوة مع إيطاليا وجيوشها يقطع الأرض شرقًا وغربًا حاملا راية العصيان ببندقية فارغة العتاد !!!.

فيورد القول التالي المنسوب إلى غراتسياني دون أن يكمل الجملة ليغمز في صدق جهاد وموقف الشيخ أحمد المريض :-((وقد انسحب جانب من رجال ترهونة المسلحين إلى مصراته في أثر [المريض] وبقوا فيها حتى تم احتلالنا لبني وليد))[2].

أما بقية الجملة التي لم يكملها فهي:- ((وكانوا يحاولون القيام بهجوم مضاد في فصل الصيف – كما سنرى – ويشتركون في عملية المقاومة في ورفلة والجانب الآخر استسلم فورا وسلم في أيام قلائل 1806 بندقية))[3].

---

1 – د. خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا**، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972، ص9.

2 – القشاط ، المصدر نفسه ، ص 187.

3 – غراسياني ، المصدر نفسه ، ص 162.

وفي الصفحة نفسها من كتابه يورد نصًا لغراتسياني حول محاولات إيطاليا دفع المجاهد أحمد المريض للاستسلام ، ولكنه كعادته يختزل الجمل والكلمات التي تعطي للنص معناه الحقيقي ، ويضمّ كلماته المختزلة لتعطي المعنى الذي يريده فيقول القشاط:- ((وقد حاولت إيطاليا عن طريق الخونة فرض استسلام المريض ولكنها لم تفلح في مسعاها . يقول غراتسياني في محاولات إيطاليا لاستسلام أحمد المريض: [لم تتأخر الحكومة في طرابلس عن العمل مباشرة بوساطة الرجل العاقل الشديد الإخلاص حسونة باشا وأحمد المنتصر على إقناع المريض الذي كان في وقت ما أنه يقبل الاستسلام ، ولكنه سرعان ما اتخذ طريق العدوان]))[1].

أما النصّ الأصلي لغراتسياني فهو :- ((لم تتأخر الحكومة في طرابلس عن العمل مباشرة بوساطة الرجل العاقل الشديد الإخلاص حسونة باشا وأحمد المنتصر على إقناع المريض وزعماء ترهونة الآخرين الأقل شأنا بأن يقبلوا الاستسلام من تلقاء أنفسهم دون قيد أو شرط . وقد حاولت قيادة منطقة الجبل التي كانت قد وضعت مقرها في غريان أن تعمل هي الأخرى على التأثير على المريض الذي كان في وقت ما أنه يقبل الاستسلام ولكنه سرعان ما اتخذ طريق العدوان))[2].

إن الفرق واضح بين النصيّن ، فنصّ القشاط وضعه عمدًا على هذا النحو كي يشير إلى تأرجح الحالة النفسية للمجاهد أحمد المريض ، في حين أن نصّ غراتسياني يؤكد صلابة موقف المجاهد أحمد المريض بالرغم من محاولات التأثير عليه من أكثر من طرف ، ووسط كل الظروف القاسية التي تحيط به ، وذلك ليصل إلى هدفه بسبك روايته وأحكامه ضد رمز من رموز الجهاد الشيخ أحمد المريض ليصفه بالنكوص والهروب ، بل ويورد شعر هجاء فيه فيقول :- ((ولكن أحمد المريض خيب آمالهم ، فما إن سقطت ترهونة مباشرة حتى ارتحل إلى سرت بأسرته وأقربائه ، وترك المجاهدين الذين التفوا حوله يلاقون مصيرهم في أرض يجهلونها ، وبإمكانيات ضعيفة وقدرة متردّية . وهنا يقول الشاعر الككلي أحمد الفيتوري البوموسى:

يا زعم باشتنا الوين عطاها   خش الخلا ورعيته خلاها))[3].

---

1 – القشاط ، المصدر نفسه ، ص 187.

2 – غراسياني ،المصدر نفسه ، ص 162.

3 – القشاط ، المصدر نفسه ، ص 199.

النص الرابع

اقتبس القشاط من كتاب غراتسياني الثاني[إعادة احتلال فزان] نصًا واحدًا وضعه بشكل يسيئ به إلى المجاهد سالم بن عبد النبي ، فأورد عن غراتسياني قوله ((خلال فترة الاحتلال الأولى كان موظفا تابعا لنا بالقريات))[1].

وقد أراد القشاط من ذلك الإيحاء بأن الشيخ سالم بن عبدالنبي كان تابعًا للطليان ودون أن يكمل الشطر الثاني من الجملة ليعطي المعنى الكامل للعبارة فالنص الأصلي لغراتسياني يقول:- ((خلال فترة الاحتلال الأولى كان موظفًا تابعًا لنا بالقريات، ثم ساهم مساهمة نشطة في التمرد عام 1915م ، وقاد الهجوم على حامية الزنتان ودمرها في يونيو1915م))[2].

كما أنه لم يتورّع عن وصف هجرة الشيخ سالم بن عبدالنبي إلى تونس أواخر عام 1930 بعد أن ضاقت به ميادين الجهاد [بالفرار] ، في حين يصف رحيل أحد بطلي روايته [بالمهاجر] والحرب ما تزال في بدايتها عام 1913 !!.

3- **النصوص المقتبسة من كتاب القبلة لبيلاردينيللي**

اقتبس القشاط من كتاب [القبلة] حوالي **(18)** نصًا ، ودون الدخول في كيفية عرض هذه النصوص وأماكن الاستدلال بها ، فإن هناك نصيّن أوردهما القشاط ، وتعمّد ألا يستكملهما بحيث بتر المعنى الكامل الذي أورده المؤلف ، ولكي يخدم الاتجاه الذي يريده وهما:-

***- النص الأول**

وضع القشاط في كتابه النص التالي :- ((...بعد زوال الحكم العثماني عاد إلى الجبل ليصطدم بزعيم البربر سليمان الباروني الذي لم يكن أقل منه طموحا ليس ذلك فحسب بل بدافع من غيرته على ما كان يتمتع به فكيني من سيطرة كاملة على الجبل أقصاه من السلطة عندما بدأ في توزيع الوظائف والمناصب المدنية على مختلف مراكز الجبل فاستشاط فكيني غضبا ونقمة عليه وبعدما شكل لجنة تضم أعيان مديريته قدم إلى طرابلس ليستسلم للسلطات الإيطالية وظل حتى سنة 1915 وفيا للحكومة التي عينته قائمقام جادو ويعتقد أن ولاءه كان صادقاً))[3].

---

1 - القشاط ، المصدر نفسه ، ص 249.

2 - غراسياني، **إعادة احتلال فزان**، ص 303.

3 - بيلاردينيللي ، القبلة ، مخطوط ، ص 130-131.

أما باقي النص الذي يعكس التفسير التام له ، فلم يورده القشاط ولسان حاله يقــول [لا تقربوا الصلاة] ونورد بقية نص الفقرة كما ورد في الهامش **من** كتاب القبلة:- ((وعند انسحاب حاميات الدواخل إلى الساحل، انضم إلى صفوف العصاة فحاربنا وقاتلنا بعناد وإصرار لا يلين حتى أنه أنفق قسماً كبيراً من ثروته في سبيل ذلك، فامتد نفوذه وانتشرت سمعته حتى اجتازت الحدود الفاصلة بــين قائمقاميتــه والمناطق الأخرى فأصبح في مقدمة متزعمي حركة العصيان ضدنا وتزعم حركة المقاومة طوال فترة إعادة احتلالنا للجبل ومناطق الدواخل (**1922**) إلا أن الأحداث والتقلبات التي صادفها في حياته جرفته معها وجرفت معه ثروتــه الطائلــة: والآن يعيش آخر سنوات حياته لاجئا في تونس بعد أن فقد بصره))[1].

***- النص الثاني**

وضع القشاط هذا النص الطويل :- ((ومهما يكن من أمر فإنه لــم يبــق بالقبلة إلا بضع قبائل من الرحل الذين كان يسيطر عليهم نفوذ أحمد السني رئــيس زاوية مزدة الذي ما زال متوقفا في الطابونية وأحمد البدوي رئيس زاوية الطبقة .

في 14 أبريل 1914 وتنفيذا لاتفاقات سابقة جرى حوار في القرية الغربية بين المقدم قراتزيولي رئيس المكتب السياسي العسكري وهذين الــزعيمين اللــذين سبق وأن تقدما إلى الرائد بانتانو للإعراب عن ولائهما للحكومة الإيطالية وكان في تلك المناسبة أن سلمت لكل من هذين الزعيمين وثيقتا امتيازات قديمة مؤرختين في 5 أبريل 1914 وكانتا تحملان توقيع الوالي قاريوني[أن حكومة طرابلس الغــرب تعترف للسيد أحمد السني رئيس زاوية مزدة ولأقاربه وأفراد أسرته بالمزايا القديمة الممنوحة لهم شريطة أن يحافظ اتباعه على أمن وسلامة طرق القوافل التــي تمــر بمناطقهم].

وسلمت براءة امتياز مماثلة لأحمد البدوي رئيس زاوية الطبقة .

ومن وثيقة قديمة تتعلق بتلك الحقبة من الزمن أن الامتيازات المنوه عنهــا فيما تقدم كانت تتضمنها المواد التالية :-

1 – المصدر السابق ، ص 133.

- **مادة (1)** مخصصات شهرية قدرها **500** ليرة لزاوية مزدة اعتبارا من أول يوليه 1912 يستلمها الشيخ أحمد السني شريطة أن يعود إلى مقر إقامته الأصلية في مزدة وهو ما يبرهن بصورة ملموسة على خضوعه للحكومة .
- **مادة (2)** مخصصات شهرية قدرها 200 ليرة لزاوية الطبقة اعتبارا من أول أبريل 1913 يستلمها الشيخ أحمد البدوي الأزهري رئيس الزاوية المذكورة المقيم بها حاليا .
- **مادة (3)** يمنح الرئيسان المذكوران وعائلتاهما وكذلك زاويتا مزدة والطبقة والزوايا التابعة لكل منهما مباشرة " أي مسلاته برقن الحرابة والقلعة بالنسبة لمزدة وونزريك والدويسة والزائدة بالنسبة للطبقة مقابل اعفائهم من أداء الضرائب التعهد بضمان أمن وسلامة تلك البقعة وحرية نقل مؤننا وعتادنا على طريق قوافل فزان نيابة عن الحكومة وذلك بممارسة ما للسني والبدوي وغيرهما من رؤساء الزوايا من نفوذ أدبي على أهالي القبلة .
وهذه الامتيازات تعتبر مقتصرة على مبنى كل زاوية والحقل الصغير الملحق بها وليس على أي شيء آخر .
- **مادة(4)** يمنح نفس امتياز التعويض من واجب أداء الضرائب بواجب ضمان وسلامة طرق القبلة وذلك بالنسبة لأفراد قبائل أولاد أبوسيف عندما يقيمون في القبلة ، أي المناطق التي يهم الحكومة ضمان أمنها وسلامتها بواسطتهم ولا يمنح أي امتياز خاص لأهالي المشاشي والزنتان القاطنين في القبلة الذين ليست لهم تقاليد دينية خاصة كأولاد بوسيف .
- **مادة(5)** تكون للحكومة حرية كاملة ومطلقة لإقامة حاميات خاصة ولعبور قواتها مناطق القبلة كلما رأت لزوما لذلك ، ولها أيضا أن تلغي الامتيازات المذكورة عندما يثبت لديها قيام الرؤساء المذكورين بأعمال معادية لنا ، أو بما يثبت إخلالهم بالشروط المقررة))[1].

---

1 – بيلاردينيللي، المصدر نفسه ، ص 140-141.

ولكن القشاط كعادته لم يورد تكملة نص بيلاردينيللي السابق الموجود في الكتاب نفسه ، وهو على النحو التالي:- ((إلا أن رغم هذه الامتيازات وما بذلته الحكومة من جهود لاخضاع هؤلاء القوم لسلطتها أو تحويلهم إلى عناصر حماية ضد أعمال قطاع الطرق(*) لم تتحقق أبدا أية نتيجة عملية ملموسة لصالحنا))[1].

* – قطاع الطرق الذين يقصدهم بيلاردينيللي هم المجاهدون الذين كانوا يهاجمون القوات الإيطالية التي توغلت في القبلة، وهذه الأوصاف والتي من بينها العصاة، والمتمردين والفلاقة دأبت إيطاليا على وصف المجاهدين بها.

1 – المصدر نفسه ، ص 142.

الفصل الثالـــث

الثابت والمتغير
في كتابات ومواقف
الشاعر محمد سعيد القشاط

*– مفاهيم: الثوابت والمتغيّرات، المبادئ والمصالح

– مدخل عام

تمثل الثوابت قيم إنسانيّة عالية يحرص الفرد على أن يتحلّى بها ، ويسعى المجتمع عبر مؤسّساته التعليميّة والثقافيّة ، وقنواته التربويّة إبتداءً من الأسرة والجامع والمدرسة ، إلى بيئات الوسط الاجتماعي المختلفة على غرسها في نفوس النشء لبناء جيل سليم ، ومجتمع خالٍ من الأمراض الإجتماعيّة ، كما أن الديانات السماوية كلها تحثّ عليها وتدعو لها ، وهي من مكارم الأخلاق وسموّها ورفعتها فالصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، والثبات على الموقف ، والحرص على قول المعروف ، والنهي عن المنكر ، كلها قيم أخلاقيّة سلوكيّة عالية تُغْرَسُ في الفرد منذ صغره ، فينشأ مواطنًا صالحًا : أبيًا صادقًا ، أمينًا ، وفيًا ، غيورًا ، وطنيًا .

وهذه القيم الأخلاقيّة تسمّى **مبادئ** ، وعندما يتحلّى بها الشخص يطلق عليه **صاحب مبدأ ، أو صاحب موقف ، أو رجل ذو وجه واحد** ، فيجلّه الناس ويحترمه العدو قبل الصديق ، لأنه إذا حدّث صدق ، وإذا وعد أوفى ، وإذا خاصم كان شريفًا في خصامه ، كما أنه ثابت في مواقفه وقناعاته ، فتأتي كلماته وأحاديثه صادقة ومواقفه راسخة لا تتأثر بالضغوط أو الاستمالة .

وفي مقابل هذه القيم النبيلة هناك صفات مذمومة ينفر منها الناس ، وتنهى عنها الأديان، وتستهجنها الأعراف والتقاليد ، ويقف المجتمع منها موقفًا معاديًا فالكذب ، والرياء ، والخيانة ، والسرقة ، والتزوير، والتقلب في المواقف الخ وكلها صفات إذا وجدت في شخص كرهه الناس ، وابتعدوا عن مخالطته أو الاستماع إليه ، أو تصديقه ، ويشار إليه بأنه انتهازي ، منافق لا مبادئ له صاحب مصلحة ، وهو أيضًا لا يتورّع عن فعل الخبائث ، وخيانة بلده وأمته والسعي لبث الفتنة بين أفراده .

هذه الصفات المذمومة تندرج تحت مفهوم ((**الانتهازية**)) وهو مفهوم شامل لمعاني المصلحيّة ، والنفعيّة ، والرياء ، والنفاق ، الخ ، ويطلق على المتّصف بها **الشخص الانتهازي والنفعي** وتعرّف منظومة المصطلحات مفهوم الانتهازي والانتهازية بما يلي:– ((الانتهازية هي سلوك بشري لا يعرف السكون على حال معينة بل يتلوّن بحسب مقتضيات المنفعة الذاتية بلا مبالاة للمسائل الاعتبارية ، فالإنتهازي شخص دؤوب في سعيه الحثيث لبلوغ موقع اجتماعي أو

سياسي متقدم وهدفه الأول والأخير تحقيق منفعة مادية صرفة ليس إلا ، فالإنسان الإنتهازي يكون ثاقب النظر في تشخيص متطلبات المرحلة الجديدة ومتغيّراتها الطارئة على شكل الحكم وطبيعة المجتمع ، تجده يغيّر آراءه وأفكاره التي يؤمن بها لأنه يعتبرها أصبحت بالية ، ولم تعد نافعة له فالمبادئ الأخلاقية والتقاليد والأعراف لا قيمة لها في قاموسه لذلك لا يتوانى عن تغييرها))[1].

***- تحديد معاني المفاهيم عند محمد سعيد القشاط:-**

عادة ما يستخدم الكاتب أو الباحث جملة من المفاهيم والمصطلحات عند تناوله مجالاً من المجالات ، أو قضيّة من القضايا ، ولكلّ مصطلح دلالة يجب أن تتطابق مع الاستخدام ، وهذه المفاهيم يضعها وفق مدلولاتها ، ومعانيها المتّفق عليها حسب تعريفها ، لتوضيح وتأكيد مسار البحث لديه ، ونادرًا ما يحيد الباحث أو ينحرف في تفسير مفهوم أو مصطلح بشكل مغاير لمعناه الأصلي ، ويحدث هذا في حالات التعمّد المُسْبَق التي تعكس نوايا الكاتب والباحث تجاه المسألة التي يخوض فيها .

تعكس بعض هذه العبارات والجمل المختارة من كتابات محمد سعيد القشاط والتي يعبّر من خلالها عن قناعاته ومواقفه ومبادئه وثوابته ، رغم قسوتها وحدّة معانيها ، والمتبّثة في كتبه " خليفة بن عسكر: الثورة والاستسلام " و" معارك الدفاع عن الجبل الغربي" و" من قيادات الجهاد الليبي " انطباعًا لدى القارئ **بأن سخط الكاتب وقسوته ، نابعة من كونه صاحب مبادئ ومواقف ثابتة ومشاعر وطنية أصيلة** ، بحيث أنه لا يقبل تحت أي ظرف أو وضع أن يلتقي مع المنافقين والانتهازيين ذوي المصالح ، الذين تتأرجح مواقفهم وولاءاتهم حسب مصالحهم فموقف تكتيكي من مجاهد ، أو إطلاق كلمة ، تعني لدى القشاط ((**الخيانة**)) التي تستوجب العقاب ، وإصدار الأحكام القاسية ، كما تعكس أيضًا نوع المشاعر التي يشعر بها تجاه أبناء المجتمع ، والتي تنبعث منها مشاعر كثيرة متناقضة : الكراهيّة والمحبّة ، والتحدّي والعتاب ، والتي تتّضح أكثر حين يدّعي دون سند تاريخي ، أن قبيلته ((الصيعان)) كانت تقاتل الفرنسيين وقدّمت عشرات الشهداء منذ عام 1881

1 – شبكة المعلومات الدولية ، (تعريف مصطلح الانتهازية).

إلى 1911 في الوقت الذي كان فيه بقيّة الليبيّين يرفلون في الراحة والدعة ، ولـم يمدّوا لهم يد المساعدة ، وقد سبق في الفصل الثاني دحض هذه الادعاءات !!!.

***- نماذج من تلك الكتابات والعبارات:-**

((.... وقد كان معظم المسئولين وقتها من أبناء وأحفاد المساعدين لإيطاليا على احتلال ليبيا وعلى رأسهم الملك ادريس . فتولد لدي اصرار علـى التحـدي لمتابعة البحث التاريخي وابراز دور المجاهدين الحقيقيين الذين قتلوا أو هاجروا في سبيل الله . وتوضيح الدور الخبيث الذي لعبه الخونة في مساعدة المستعمرين على توطيد أقدامهم في تراب الوطن . فعقدت العزم بإذن الله على تأليف سلسـلة مـن الكتب تتناول زعماء الجهاد يكون مصدرها الرواة من المجاهدين الذين أمد الله في عمرهم من مختلف المناطق .....عدم وعي المواطنين بأهمية نشر الحقائق وخوفهم من بطش النظام فكانوا يقفزون على الحقائق وسرد الوقائع التـي تمـس الخونـة وأذناب إيطاليا بحجة أن هذا يثير نقمة بعض المسئولين ..))[1].

((إن الخيانة لا تورث فكثيرون ممن كان أجدادهم خونـة أثبتـوا وطنيـة منقطعة النظيـر، وإن الإخـلاص لا يـورث، فكثيـرون ممـن كـان أجـدادهم أشرافا ومجاهدين واستشهدوا في سبيل الوطن ، نكصوا على أعقـابهم وسـقطوا" كجلمود صخر حطه السيل من عل" على رأي امـرئ القـيس. وحتـى لا نظلـم الكثيرين . فهناك من شابه أباه خيرًا أم شرًا ... لقد كتبت من مفهـوم أن التـاريخ ملك للجميع ولا يدعي أحد أنه يرث كتابة التاريخ أو يرث مفاخر الجهاد، أو يـرث مواهن الجهاد. إن التاريخ الوطني والقومي هو ملك لكل الأجيـال. وإن ايجابياتـه وسلبياته يجب أن تدرس لاستخلاص العبر وتجنب مواقع الزلل مستقبلاً.

لقد كتبت ما كتبت على ضوء وثائق توفرت لدي وعلى ضوء شهادة شهود العيان للمعارك وعلى ضوء شهادة أفراد معاصرين لمن صنع حدثا أو تولى تسيير أمر من الأمور واعتبر ما كتبته حقيقة ثابتة على ضوء هذه المستمسكات المتـوفرة وقد يأتي المستقبل بجديد من الوثائق التي لم تنشر ، والشهود الذين لم يسعفني الحظ اللقاء بهم ، فيصحح ما يجب تصحيحه ، ويثبت ما يجب تثبيته وسأتقبل ذلك بقلـب مفتوح وبشعور غامر من السرور... لأن تلك هي ديناميكيـة الحيـاة ، وللحقيقـة جوانب وشعب ومتشعبات قد يـبرز بعضها وقد يغـور البعض الآخـر ، ولكـن

---

1 - محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر ، ص 9-10.

إلى حين فالحقيقة لن تموت وسيبعث الله لها من يحييها ويبعثها ولو بعد حين من الدهر .))[1].

((.... ولكنني أردت من ذلك وضع كل شخص في الموقع الذي وضع فيه نفسه بأعماله وتصرفاته تدفعني الغيرة على هذا الوطن تلك الغيرة التي تجعلني لا أتساهل مع الخونة الذين خانوا أقدس قضية وتخلوا عن وطنهم يوم احتياجه لهم بل وتسببوا في سقوطه وهو المثخن بالجراح . كما كان حرصي على أن يبقى كل شخص في حجمه الطبيعي دون أن يرفع التعصب القبلي أشخاصا على حساب الآخرين الذين لا قبائل لهم وساهموا بجهاد نظيف يجب أن يذكر لهم . ويجب أن لا يسرق جهادهم وتضحياتهم . ... إن الذين يقيّمون الماضي بنظرة الحاضر سيخطئون والذين يتوقعون أن التاريخ مزارع الأهواء والحزازات وحدائق التباهي إنهم يخطئون في حق أنفسهم وفي حق التاريخ وفي حق الآخرين . والذين يتوقعون أن الحقائق يطمسها التزييف والتحريف واهمون فالحق لابد وأن يظهره الزمن طال ذلك أم قصر . والذين يتوقعون أنهم وحدهم يملكون الحقيقة في التاريخ واهمون وقصيري نظر وناقصي اطلاع فالحقيقة في التاريخ نسبية وتاريخ الوطن لم تجمع وثائقه بعد ولم نطلع على جميع الوثائق المتعلقة بنا والحقيقة الكاملة يملكها الله وحده جل شأنه ..... لقد كتبت هذا الكتاب على ضوء الوثائق التي تحت يدي واعتبرت قصائد الشعر الشعبي وثائق تاريخية كما اعتمدت ذلك منظمة " اليونسكو" ولذلك أوردت ما وجدته منها يؤيد موضوع الكتاب . وليعلم عقلاء هذا الشعب أن جميع القبائل والعائلات الليبية ساهمت في الجهاد دون استثناء وبدرجات متفاوتة وأن أي قبيلة تتوقع أنها جاهدت أكثر من غيرها واهمة وينقصها الموضوعية في تصورها هذا ...... إن التاريخ لا ينسى ، ولا يرحم ، ولا يجامل ، ولا يمكن تفسيره على ضوء الواقع وعلى نظرة الواقع ، فلكل زمن نظرته ورجاله....))[2].

((وأن قبيلة الصيعان – قد يخفى على البعض – مع قبيلة النوائل ، وأولاد مريم والحوامد ، ووازن ، ونالوت ، كانت تقارع الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى تونس عام 1881 ، أي قبل الاحتلال الإيطالي بثلاثين سنة ، وسقط من هذه

1 – محمد سعيد القشاط ، **معارك الدفاع عن الجبل الغربي** ، ص356-357.

2 – محمد سعيد القشاط ، **من قيادات الجهاد الليبي** ، ص533-534-536.

القبائل العشرات من الشهداء وعشرات الجرحى ونفقت وصودرت آلاف الرؤوس من المواشي، وبقية الليبيين يرفلون في ثوب الراحة والدعة ...))[1].

((..... وإنني سأتقبل بكل رحابة صدر، أي نقد أو رأي مخالف تدعمه الوثائق والروايات الصادقة ، فلا أحد من العقلاء له مصلحة في تزوير التاريخ أو إخفاء الحقائق. أما العواطف الجامحة المتفجرة في الأساليب الإنشائية والكراهية الشخصية والحسد الآكل للنفوس، فإنني لا آبه به، ولا يؤثر في نفسي حُبَّ أحد أحبَّ، أو كره أحد كره، ما دمت على اقتناع بأنني أسير في الطريقالصواب لأنال رضا ربي قبل كل أحد، ذلك العظيم الذي لاتخفى عليه خافية ، ومرضيا ضميري الذي يعيش معي دون سواه. وأن التاريخ هو شهادة ستلاقي الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وإن الذين يحاولون إعطاء بعض الأشخاص أو القبائل حجما أكبر من حجمهم يضرون بهم وبتاريخهم ...))[2].

والمطّلع على كتابات الشاعر محمد سعيد القشاط يلاحظ أن معاني المفاهيم والمصطلحات لديه ضبابية وغير دقيقة ، ولا تعكس المعنى الأصلي ، حيث يستخدم القشاط المفهوم حسب نواياه ورغبته المُسْبَقَة ، في توجيه مسار كتاباته في الاتجاه الذي يريده ، وليس الاتجاه الذي تفرضه المعاني الحقيقية للمفهوم ، ولذلك يصطدم القارئ دائمًا من الصفحات الأولى ، وأحيانًا من مجـرّد قـراءة غلاف الكتاب بانحراف النصّ والمفهوم عن النزاهة والحياديّة ، والمنهجيّة في الطرح لقضايا غاية في الأهميّة ، لأنها تمّس قيم ومشاعر أبناء كلّ المجتمع ، مما يتسبّب في إثارة المشاحنات والحساسيّات ، وأحيانًا الردود الإنفعاليّة التي في الغالب تجد لها مبررًا نتيجة للاستخدام اللامسئول للمعلومة والمفهوم من طرف القشاط . فمصطلح ومفهوم : **الوطنية – الخيانة – الجهاد – الاستسلام – العمالة – الإقدام – النكوص– الهجرة – الفرار– الثبات – التقلّب** ، الخ ، يتكرّر بمعاني غير محدّدة وأحيانا يتناقض المفهوم أو المصطلح الواحد في أكثر من موقف في الكتاب الواحد أو مع كتبه الأخرى ، وذلك حسب الموضع والاتجاه الذي يريده القشاط للحدث أو الشخصيّة التاريخيّة.

---

1 – المصدر السابق ، ص 9.

2 – المصدر السابق ، ص 12 .

وكتابات القشاط مليئة بمثل هذه النماذج، ففي الأحداث والشخصيّات خلال مرحلة الجهاد لا يتناول القشاط هذه الشخصيّة أو تلك من خلال المشهد الكليّ للأحداث، ومداه الزمني الذي يصل إلى **(20)** عامًا من الصراع والدسائس والفتن والقوة والضعف وقسوة الطبيعة بجدبها وجفافها وقوة العدو بمصانعه وآلالاته وعتاده، وحدّية المعنى عند القشاط تتمثل في أنه انفعالي التحليل لا يتحكّم في مشاعره وعواطفه، ولا يستخدم المنطق والقياس بتجرّد، فيعمد إلى كلمة أو جملة قيلت دون أن يتأكّد من صحتها أو موقف اتخذ تكتيكًا في لحظة ما قد تفرضها ظروف وأوضاع خارجة عن إرادة الفرد أو الجماعة إلى إطلاق وصف الخيانة أو النكوص أو الاستسلام وما إلى ذلك، ثم يعود في موضع آخر فيصف فعل خياني متعمّد، أوموقف استسلامي واضح بأنه جهاد أو هجرة أو ثبات على موقف ففي لحظة يكون الشخص ((مجاهدًا))، وفي أخرى ((خائنًا))، وفي الثالثة ((مهاجرًا))، والرابعة ((فارًا))، فعند حديثه عن قائد من قادة المجاهدين قضى عشرين عامًا من عمره وهو يقاتل الإيطاليين دون أن يكلّ أو يركن، وحين اضطرته القوة وضاقت به ساحات القتال إلى عبور الحدود تحت وابل قصف الطيران الإيطالي بأنه ((فرار))، في حين يصف مجاهد آخر فردًا ترك ميدان القتال مبكرًا ((1913)) ورحل إلى بلاد الشام، وعاش فيها منعمًا بعيدًا عن الحروب وأهوالها، ثم عاد بعد **(7)** سنوات، ليبقى **(3)** سنوات ثم يرحل ((بالمجاهد المهاجر)) الذي لا تلين قناته ولا يركن إلى العدو ، وإليه مبتدأ الأمر ونهايته. أو ذاك الآخر الذي انضم لعدو المجاهدين خليفة الدعيك الزاوي وقاتل معه ضد جبهة المجاهدين في مرزق، وحين قتُل وصفه بالمجاهد الفارس البطل الشهم الذي رفض مهادنة العدو أو التسليم له، والذي قاتل بضراوة كما يقول القشاط، فمن هو العدو الذي لم يهادنه حتى قتل ((فالعدو هنا ليس إيطاليا))!!!!؟.

هذا النموذج ، وتقاس عليه نماذج كثيرة ، فالمفاهيم لا تعني للقشاط معنى محددًا يقيّده ، وإنما هي مطاطيّة القياس حدّية المعنى ، وهكذا على هذا المنوال يستمرّ القشاط في تناول نفس الأشخاص والحوادث في نفس الحيز المكاني ، ولكن بمفاهيم مختلفة ومتناقضة تحت دعاوى ظهور حقائق ووثائق جديدة تدفع به إلى إلصاق صفات ليست حقيقيّة بتلك الشخصيّة ، أو ذلك الحدث ، بغرض التهجم والتجريح والتخوين.

ويشير عمر المجدوب زبيدة في مقال له بعنوان: ((على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي)) والتي أقيمت بمركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغـزو الإيطالي عام 1984 حول (تحديد مفهوم الخيانة في حركة الجهاد الليبي) والتـي كان محور النقاش فيها كتاب محمد سعيد القشاط " معارك الدفاع عن الجبل الغربي " بالقول" :- ((والحوادث التي تناولها الأخ القشاط في كتابه عن حركة الجهاد هي جزئية من كل تاريخ الجهاد بأبعاده الزمنية ، والجغرافية عامة ، مـن اقتصـادية وسكانية ، سياسية ...وغيرها . والكتاب - إذا سلم مـن قصـور فـي إدراكـي لمضمونه - لم يقدم أو يذيل للواقعة التاريخية بأسبابها الموضوعية ، ولذلك فهو قد حرم القارئ من إمكان الاقتناع بما أصدر فيه من أحكام على الحوادث ، أو حكـم على الواحدة ؛ سواء كانت الحادثة جماعية ، أم فرديـة ، وبالتـالي هـل تصـلح الحادثة أن تستعمل كقياس لمثيلاتها حتى مع اختلاف الزمان والمكان . وإذا كـان ذلك لا يخلي القارئ من واجب تقديم الشكر للأخ القشاط على ما بذله من مجهـود اكتنفته صعوبات جمّة ، في مقدمتها أنه من غير ذوي الإختصاص بالتـأليف فـي التاريخ ....))[1].

ويخلص الكاتب إلى القول:- ((ومع ذلك فإطلاق عبارة الخيانة التاريخيـة قبل جمع الأدلة أو تكامل جمعها قد تكون عبارة فيها الكثيـرعن مـدلول الوقـائع التاريخية وبالتالي فإن إلصاقها بأشخاص ، أو جماعات في فترة ما من التاريخ قد لا تجد المبرّر المسلم به .))[2].

ورغم هذا الموقف النقدي على تسرّع القشاط في إطلاق الأحكام دون تكامل الأدلة والوثائق حول مواقف قادة الجهاد ، فإن الكاتب وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه القشاط حين اختتم مقاله بتناول مواقف بعض قادة الجهاد بإدانـة رمزيّـة لهـم بالخيانة حين قرّر وفق ما توفر لديه من أدلّة بقوله متسائلاً:- ((فما تكـون هـذه المواقف من الجهاد - وما نوع عمل هؤلاء الزعماء ؟!))[3].

---

1 - عمر المجدوب زبيدة ، على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي ، مجلة الشهيد ، مركز دراسات الجهاد الليبي ، العدد الخامس ، 1984 ، ص 315.

2 - المصدر السابق ، ص319.

3 - المصدر السابق ، ص 320.

***- الثابت والمتغيّر في كتابات ومواقف الشاعر محمد سعيد القشاط.**

لأننا في هذا الكتاب نتناول بالنقد منهج محمد سعيد القشاط في الكتابة التاريخيّة والذي يرتكز بالأساس على القناعات والمبادئ ، والقيم التي يؤمن بها القشاط ، فإنه من الضروري التعرّف على ماهية هذه الثوابت والقيم والمبادئ لأنها تشكّل المدخل الرئيسي للوصول إلى نتائج منطقية ، تبرّر وتوضّح طبيعة كتاباته ومدى صحتها ، وسلامة تحليله ، إضافة إلى أننا لا نحلّل شخصية القشاط بقصد الإساءة أو التعرّض له على المستوى الشخصي ، ولكن للتعرّف على مضمون هذه الشخصيّة واتجاهاتها ، ومن محاسن الصدف أنّنا في هذا الكتاب نتعرّض بالنقد لهذه الشخصيّة وهي معاصرة حيّة ، يتاح لها الردّ والدفاع عن مواقفها وكتاباتها وتصحيح ما قد يكون مخالفًا للحقيقة ، أو تجنيًا عليها ، وبالتالي تكون له فرصة للدفاع عن نفسه ومواقفه ، وحاله دون شك أفضل من حال أولئك الأبطال المجاهدين الذين يتعرض لهم بالنقد اللاذع ، والتحريف المتعمّد لكلامهم والطعن في مواقفهم ، واتهامهم بالخيانة والنكوص عن واجب الدفاع عن وطنهم وهم بجوار ربهم .

فالمتتبّع لحياة ومسيرة الشاعر القشاط، وكتاباته التي تعكس مواقفه تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، والقضايا السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي تقع ويتفاعل معها ضمن التركيبة الاجتماعية والثقافية السائدة، يلاحظ وجود مرحلتين واضحتين في المعالم ، ومتباينتين تباينًا حادًا في مواقف القشاط تجاه هذه القضايا وهما:-

***- المرحلة الأولى**

منذ بداية الستينيات وحتى 1969/9/1 ((قيام ثورة الفاتح من سبتمبر))

عرفت الساحة الثقافية في ليبيا محمد سعيد القشاط في أوائل عقد الستينيّات حين بدأ الكتابة في الصحف والمجلات ،ونشر أول ديوان له ((بين نجوع البادية)) عام 1963 ، كما قدّم برنامج ((الأدب الشعبي)) في الإذاعة المسموعة، وشارك في المسابقات الشعرية ، وتحصّل على الجائزة الأولى في الشعر الشعبي ، وخلال هذه الفترة صدرت له عدة دواوين شعريّة منها ((عشيات وادي غدو)) و ((ريم على الغدير)) و ((من ليالي السمر))، إضافة إلى دراسات في الأدب الشعبي الليبي منها: كتاب ((الأدب الشعبي في ليبيا)) و كتاب ((سوف المحمودي نشأته وشعره)).

تنوّعت المجالات التي تناولها القشاط في شعره ودواوينه خلال هذه الفتــرة فشملت الغزل الذي أخذ حيزًا كبيرا في أشعاره ، والوطنيــات التــي تغنّــى فيهــا بالوطــن بما يمثله من تاريخ جهادي مجيد ، والسلطة القائمة التي تناغم معها دون اصطدام والاجتماعيّات التي حاول أن ينتقد ، أو يسلّط الضوء فيهــا علــى بعــض المظاهر السيئة في المجتمع .

ففي جانب الشعر الغزلي أجاد القشاط في التشبيه ورســم الصــورالجميلة التي استعارها من واقع الحياة البدويّة، بصحرائها ورمالها وطريقة معيشــة أهلهــا وحركة حيواناتها البريّة من: قفز، وجري، وانتباه حين تجفل من غريب، أو خطــر داهمها، وله قصيدة نرى أنها حوت وصفًا دقيقًا فيقول في قصيدة بعنــوان ((داروا رواشن)) نختار منها بعض الأبيات التالية كمثال على دقة التعبير وغناه.

اعيون بنت كيف المقارين طاشن   وللقلب ناشن
وحسيت في الجاش داروا رواشن

اعيون بنت كيف جدي الصحاري   أشرّب الواري
وقيس العشية رقب في ظهاري   وبانوا ضواري
شبحوا ونبحوا وسبحوا جراري   وربحوا البراري
ودنقر وعنقر ازنقر يباري   و واتوا حفاري
حطّب وجلّب وقمّر اجباري   وخش الجفاري
تريّح وصيّح وميّح يصاري   جلايب اطاشن
تراقص تماقس ظراريه شاشن

اعيون بنت تحت الشعر لمعكّسْ   اتمرّضْ اتنكّسْ
وتحلف روامق الماهو اموكس   وللريح يعكّسْ
يقطّف يخطّف يشبّه يدنْكس   يرقص يفنكس
يبرطعْ يقطّعْ ينطّعْ ينكّسْ   ايبنقص ايدكّسْ
يعقّطْ ينقّطْ يققّطْ يشكّسْ   وحاذا براشن
وفي فج يرعب وسمعوا شناشن[1].

---

1 – محمد سعيد القشاط ، ديوان شعر (ريم على الغدير) ، الطبعة الأولى ، ص 79.

ولكن هناك مآخذ على القشاط في هذا المجال ، إذ أنه لم يتعفف في شعره فجاءت بعض أشعاره متجاوزة حدود الأدب السائد في المجتمع المحافظ أنذاك ومثال ذلك أنه نشر في ديوانه الأول بيت من الشعر ، يتغزّل فيه بصبيّة دون الرابعة عشر أسماه ((المعطّش)) نكتفي بالإشارة إليه دون أن نورده احترامًا للذوق العام(1).

وفي باب الإجتماعيّات ، تطرّق في شعره إلى نقد بعض الظواهر السيّئة كالتدخين ومضارّه ، ونشر قصيدة حمّلها حين تغيّرت الأوضاع السياسيّة في ليبيا بعدًا سياسيًا آخر ، إضافة إلى نقده لأولئك النوع من البشر الذين يتقلّبون في ولائهم ومواقفهم الانتهازيّة ، لتحقيق مصالحهم الخاصّة على حساب القيم والأخلاق والمبادئ.

أما في المجال الوطني فكانت له قصائد تعبّر عن قناعاته ومواقفه الواضحة من تاريخ مضى لجيل مجاهد ، قاوم الإيطاليين بكل ما أوتي من جهد وقدرة فجاءت قصائده مديحًا لتلك البطولات ، وهؤلاء المجاهدين دون استثناء ، وتجاه واقع سياسي يعايشه الشاعر تمثل في العهد الملكي ، الذي تناغم الشاعر معه بكل جوارحه ومشاعره ، فأورد قصائد كثيرة ملأت دواوينه وكتاباته ، تمجّد ذاك النظام ورموزه ، وتسبغ عليهم صفات ومواقف وأمجاد كثيرة ، ومن خلال مراجعتنا لدواوينه ومقالاته في الصحف والمجلات الصادرة آنذاك ، لم نجد ما يمكن أن يسجّل على القشاط أنه قال شعرًا أو نثرًا أو كلمة عارض أو انتقد فيها النظام السياسي القائم ، وبما يحسب له كموقف معارض للنظام ، أو ناقد لسياساته ، أو أنه كتب ما كتب تحت ضغط أو إكراه ، بل كانت كتاباته وأشعاره تعبّر عن الولاء المطلق للنظام ، والتمجيد لكل خطواته ، وكان دائمًا يقدّم دواوينه بالقول :–((ديوان من الشعر الشعبي الليبي ضمّ بين دفتيْه مختارات من القصائد في أبواب ومواضيع شتى تتجلى فيها كلها عاطفة جياشة وحرارة مخلصة وصدق تعبير ودقة وصف ورقة عبارة هي صور ناطقة عن حياة الشاعر في ربوع ليبيا ومجتمعاتها))(2).

ونورد بعضًا من أبيات مختارة من عدد من القصائد من دواوينه للتدليل:–

---

1 – القشاط ، **ديوان بين نجوع البادية** ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1963 .

2 – القشاط ، **ديوان عشيات وادي غدو** ، مكتبة الفكر ، طرابلس ، الطبعة الثانية ، 1968.

***- ديوان بين نجوع البادية**

يعتبر هذا الديوان باكورة انتاج الشاعر، وقد صدرت الطبعة الأولى منه في ((سبتمبر)) 1963، وتضمّن عدد من القصائد الشعبيّة التي ترنّم بها الشاعر مدحًا في الواقع السياسي القائم آنذاك ومنها:-

***- القصيدة الأولى بعنوان ((إن بعد العسر يسر))** قدّمها الشاعر بقوله:- ((قيلت هذه القصيدة بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال ليبيا)) نختار منها هذه الأبيات:

كنا في حالات اعسار — عكس الوقت اسنين
اليوم عنا سطعت لنوار وصرنا حريين
مـــدة ساد الاستعمار — على دولة لسلام
حاموا بيه ارجال اصقور — ادريس جيشه تبغيله
ادريس فيها للشعب رزم — وقال نبغي استقلال
على الشعب الليبي يخمم — وما يهنا له بال
في قضية ها لوطن خدم — ا ْ لتحقيق الآمـــال
رفعها ا ْ ليا هيئة لمم — واللي يبغي نـــال
اعلن بالمرسوم رسم — اليوم يوم ا ستقلال
بدي الشعب الليبي ينعم — علم نجمه وهلال
من الحرب اللي فات غنم — قرار واحد وخمسين
وصار الشعب اللي حاكم — وهو المحكومين
صار ابن الشعب رئيس — ايسدد في خطواته
يعيش ملك الأمة الإدريس — عمم باصلاحاته
على رفعتْ ها لوطن حريص — يتمم مشروعاته
على ترفيه الشعب حريص — ويحيي فيه الدين
وكشافه ورئيس عظيم — ولّي العهد الزين
ادريس بحوال البر عليم — ايطول عمره آمين
توّه عشر اسنين قضينا — في عهد الحريه
بفضل اخطط ادريس الزينا — وشعب الليبيين
رامي تاجه فوق جبينه — باني مجد متين[1].

1 – القشاط ، **ديوان بين نجوع البادية**، ص16.

*- **القصيدة الثانية** وهي بعنوان: ((**حوار بين مواطن وعائد من الهجرة**)) نختار منها هذه الأبيات

المواطن :

تفراج بعد المعسره والضيقه ومن قال بيلاقي الصديق صديق

العائد :

بعد لمشاق افراجت وعكست علينا افوقتها واعواجت

المواطن :

لولا المليك وجيشه قعدت ابلادك خاليه ووحيشه
عليهم زحف ودارهم في شيشه ومش رافعه وهي عليهم ظيقه
ومنها مشي الطليان لابس خيشه حذفوه في وسط البحر وغريقه

العائد :

فرحنا لكم جمليه وقت ا'لبديتوا مملكه ليبية
معاي المرا في البيت وظراريه من الفرح نبكوا والدموع دفيقة

المواطن:

باهي طيب هكه انتمنوا حال كل احبيّب
وهالحكم مولاي عليه ايهيّب ناس يعملوا للمصلحة بحقيقه

العائد:

رئيس بالدين الحنيف ايصرّح وصرنا منارة في شمال افريقه

المواطن :

ابنادم الحق ايقوله كانت بلادنا ليبيا مجهوله
بفضل المليك اليوم وأهل الدولة والشعب يتبع فيه شد طريقه
أصبح العالم كافة نمشوا له وفي كل هيئة انوقعوا مواثيقه

العائد:

يا رب بارك فيهم ارجال مملكتنا من العدو اتنجيهم
مليك ليبيا قاد السفينة بيهم بنجاح نجاها البحر وغريقه
يحييه ربي الملتجي حاميهم ويحيا ولّي العهد دوم رفيقه[1].

---

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص28.

*- **القصيدة الثالثة : وهي بعنوان ((هنيئا لك يا وطن))** ويقول الشاعر أنه نظمها بمناسبة إعلان الوحدة الليبية ، ونشرت بجريدة فزان تحت توقيع البدوي نختار منها هذه الأبيات :

توحدت يا وطن نلت التمني اربوعك تهني والفين يا وطن مبروك مني
فرح شعبنا اليوم يزداد خيره وملكك امهني
طرق وتر في القلب والله نصيره وبيه شعب هالوطن يشكر يثني
خطاهم مليك وطنا الحر بينا افمجدك ايبني
زعيم حر من راد ديمه صلاحك وعنّك مونّي
وجاب الدوا بيه ضمّد جراحك ويا بشرت الخير في الوطن مني
اليوم غات للتاج ترفع تحية وطبرق ا'لنالوت فيها اتهني[1].

*- **القصيدة الرابعة وهي بعنوان: ((خبر سعيد))** أشار الشاعر في تقديمه لها أنه قالها بمناسبة اعلان الوحدة الليبية ونشرت بجريدة "فزان" بتوقيع البدوي نختار منها هذه الأبيات .

سعيد خبر بيه امصدره الجريدة وقوف صف كنا نشتهوا توحيده
خبر بالاذاعة جانا رقصت عليه اقلوبنا فرحانا
اليوم ملكنا ثوب التقطع خاطه وكلف ارجال التصلحه وانجيده
اتهنى شباب الأمة والشعب هللي افليبيا الملتمة
الوطن صارت رقعته منظمة ادريس بعد حكم الله هو سيده
وجلّى علينا من كساده وغمّه موش عيب لينا نكثروا تمجيده[2].

كمـا يقول أيضًا عام 1968 :- ((وعندما قامت الحرب العالميـة الثانيـة وانضم الليبيون الموجودون في مصر إلى الإنجليز بقيادة الملك الإدريس[*] سـارع شعراء الملحون في داخل الوطن للتمجيد بهذه الخطوة ...))[3].

---

1 – المصدر نفسه ، ص 35.
2 – المصدر نفسه ، ص38.
3 – القشاط ، **الأدب الشعبي في ليبيا** ، الطبعة الأولى ، 1968 ، ص75 .
* – يلاحظ القارئ أن القشاط خلال كتاباته في هذه المرحلة دائما يعرف اسم العلم (إدريس) وذلك تفخيما وتمجيدا.

أما حين تحدّث عن شعر الوطنيّات يقول :- ((شــعر السياســة : الشــعر السياسي وهو ما عرف عندنا في المدة الأخيرة بالوطنيات لم يكــن موجــودا كمــا أسلفنا قبل العهد الإيطالي في ليبيا . ولم يتبلور ويكتسب صبغة السياسة حقا إلا في عهد الاستقلال فسارع الكثير من الشباب يزاحمهم في ذلك من بقــي مــن شــعراء العهود الماضية إلى الحديث عن الوضع الداخلي والأممي والتفاعــل مــع أحــداث المشرق والمغرب . فتغنوا بالجزائر وتمجيد ثورتها تحرير فلسطن وتأييــد القــوى الوطنية في الكنغو **إلى جانب تمجيد الوطن ورجالاته** .... ولقد كثــرت القصــائد الوطنية حتى صار من الصعب جمعها رغم أن شعراءها معاصرون . والسبب أن الشعراء يتسابقون إلى قرضها وإلى الإكثار منها))[1].

***- المرحلة الثانية :- منذ الفاتح 1969 وحتى الآن**

في 1969/8/1 انتهى القشاط من تأليف كتابه ((صدى الجهاد الليبي فــي الأدب الشعبي)) ، وهو كتاب تناول فيه القشاط دور الشعراء الشعبيّن في رصــد حركة الجهاد ، ومعاناة الليبيّين في معسكرات الاعتقال الخ ، وبقدر ما كــان هــذا الكتاب من حيث المحتوى محاولة جادة مبكّرة من القشاط لتوثيق الشــعر الشــعبي حول تلك المرحلة ، إلا أنه شكّل علامة فارقة ومؤثرة على توجّهات ومواقف محمد سعيد القشاط ، نقلت ولاءاته للنظام الملكي من حالة التناغم والولاء ، إلــى حالــة المعارضة والعداء في لحظة تاريخيّة في حياة ليبيا والليبيّين ابتدأت مع فاتح سبتمبر 1969 بقيام الثورة المباركة ، انتهزها القشاط ليبدأ مرحلة جديدة مختلفة ومتناقضة بشكل حدّي متطرّف مع المرحلة السابقة التي كان يحياها .

ولأنه في منطق الأشياء هو عدم الكمال ، وأن التاريخ يسجّل كــل شــيء ولا يغفل أي شيء مهما كان صغيرًا أو تافهًا لا قيمة له ، ليتم عن طريقــه كشــف الحقائق التي يحاول المرء إخفاءها ، أو طمس شواهدها ، ولو بعــد عشــرات أو مئات السنين فقد كتب القشاط ملاحظة في آخر الكتاب قال فيها :- ((**جهزت هذا الكتاب للطبع قبل الثورة ، وتجنبا لإيراد شعر المديح وغيره اكتفيت بثمانية فصول فقط ولم أضع فصلا عن عهد الاستقلال . ولما فجّر الله ينبوع رحمته مــع فجــر سبتمبر الأغر ارتأيت أن أزيد فصلا تاسعا يوضح الشــعر فــي عهــد الاســتقلال**

1 – المصدر نفسه ، ص 113

والثورة . أيد الله العاملين على تخليص هذه الأمة من نير الرق والعبودية وهداهم إلى ما فيه خير ليبيا والعرب)) . محمد القشاط

من المؤكّد أن قيام الثورة كحدث سياسي فاجأ القشاط وأربكه ، وهو يـــرى جهوده التي كان يبذلها طوال هذه السنين مدحًا بالكلمة والموقـــف للنظـــام الملكـــي تضيع في لحظة مع سقوط هذا النظام على يد الثورة ، فالكتاب جاهز للطبع بعد أن انتهى منه في ((1969/8/1)) أي قبل قيام الثورة بشهر واحد ، وبقـــدر تســـارع الأحداث على المستوى الوطني منذ انبلاج الثورة ، والتفاف الشعب بكل فئاته حولها مؤيدًا ومناصرًا لها ، بقدر ما سعى القشاط أن يواكـــب ســـرعة هـــذه التغيّـــرات بتغييرمواقفه وولاءاته السابقة ، فكان كما قال وكتب أنـــه :–((أول شـــاعر ســـمع الشعب قصائده يوم الفاتح من سبتمبر 1969))[1] .

يقول القشاط :– ((من القصائد التي ألفت في أول أيام الثورة هذا القصـــيد للمؤلف :–

نور نار بين الفجر والتظليمه ... لحّق على الباطل كبير غريمه
نور امنور ... اسنين ياسره شعبي عليه يدوّر
الخاين على نفسه قعد يتطّوىّ ... وزال من اصباغه ثروته ونعيمه
وعهد الفساد الكل راح يسوّه ... وجانا سرور النفس والتبسيمه
علينا شعاع الفجر كيف ازّين ... جلّى على الخاطر اهموم قديمه
لا فقر عل شعب البلاد امطيّن ... لا جهل كذب افكذب في تعليمه
لا واسطه في فرضها تتحين ... لا مدح لا تسييد بالتلزيمه
اليوم حكم الحق كيف تعين ... والزور لحقت بيه شر هزيمه))[2]

وعودة إلى مضمون الكتاب ، فقد فرضت هذه الأحداث على القشاط إعادة مراجعة ما كتبه ، بما يتلاءم والوضع السياسي الجديد ، ويبدو أنه في خضّم تسرّعه في إعادة ترتيب محتويات كتابه لم يتمكّن من قطـــع صـــلاته بالماضـــي ، حتـــى لا يتعرّف أحد على مواقفه ، فبعد أن حذف شعر المديح الذي لم يوضّح أي نـــوع

---

1 – القشاط ، خليفة بن عسكر – الثورة والاستسلام ، (صفحة الغلاف) .
2 – القشاط ، صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي ، ص279 .

هو ، ويتحرّج القشاط من إبقائه في الكتاب ، هل هو شعر المديح في المجاهدين وكفاحهم ضد الإيطاليين الغزاة!!! أو التغنّي بقيم الوطن وإبداع أهله !!! أم ذلك الشعر الذي حوته دواوينه مدحًا في النظام الملكي ومسؤوليه !!! ؟، فنسي أن يحذف التاريخ المثبّت لانتهائه من إعداد الكتاب وهو 1969/8/1 ليأتي التاريخ علامة تناقض واستغراب من القارئ لوجود مواضيع مستقبليّة يتنبأ بها كتاب أعدّ بتاريخ سابق لوقوعها.

وكان القشاط قد أشار في الملاحظة التي دوّنها للاستدراك في الكتاب إلى أنه أضاف فصلين أحدهما عن الشعر في عهد الاستقلال ((العهد الملكي)) والآخر في عهد الثورة ، ولنبدأ أولاً بالتعرّف على ما كتبه في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الثورة ، ثم بالفصل المتعلق بالشعر في عهد الاستقلال ، إضافة إلى نماذج من كتاباته اللاحقة للدلالة لا الحصر، ونحاول أن نجد رابطًا بينها ، وبين كتاباته السابقة قبل قيام الثورة للمقارنة ، والتأكد من ثبات أو تغيّر الموقف والمبدأ لديه .

*- يقول القشاط :- في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الثورة :-((جاءت الثورة في ليبيا هزة بعد سبات وفرحة بعد يأس وحدثا أخرج الناس من العدم وانتشل الشعب من ظلام القرون الوسطى إلى نسمات القرن العشرين ، فاندفع الشعب يعانق ويطوق جيشه بأكاليل الزهر بعدما طوقه الجيش بأكاليل النصر .

واندفع الشعراء يمجدون الثورة التي ردت لهم اعتبارهم في قصائد مطولة ومنذ يومها الأول بغزارة انتاج وبتفتح قريحة لم يشهد الوطن في أحداثه الماضية نظيرًا لما حدث عند انبلاج فجر الثورة مع غرّة سبتمبر الأغرّ . وعندما أوضح هنا بعض القصائد لا أقصد من ذلك الحصر فقصائد الثورة أكثر من أن تحصر وأغزر من أن يجمعها بحث كهذا . ولكنها تتفق جميعها في سرد فضائح العهد البائد المباد وإظهارعوراته وفساده وتبيان وسائله المعوجة لابتزاز الأموال والسمسرة وإباحة البلاد للأجنبي الذي يتصرف وكأنه المواطن الأصلي فيها وامتهان حرمة المواطن الليبي والمتاجرة في عرق جبينه واضطهاده . والسلبية التي فرضها العهد البائد على ليبيا حيال القضايا العربية .

وهناك من الشعراء من خاطب الوزراء السابقين بتهكم ، ومنهم من خاطب سيارة المرسيدس التي بقيت ورثة وتركة ، ومنهم من خاطب القصور التي عادت

للشعب ناهيك عن القصائد التي كانت تدبج في الإشادة بالجيش وكيف اســتطاع أن يعيد لنا حقا طال انتظاره واغتصابه ...))[1].

*- أما في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الاستقلال فيقول :- ((لاشــك فــي أن الكفاح الأكبر ابتدأ مع عهد لاستقلال . فلقد كان هذا الشعب يكافح في الماضي عدوًا سافرًا بيّنًا ظاهرًا للعيان . ولكن بعد اعلان الاستقلال المزيف أصبح الشعب يحارب عدوًا غير منظور مقنعا يقبع خلف التحف التي نصبها تماثيل للشعب يــزاول بهــا رغائبه ويحقق عن طريقها ما يأمله من مطامع .

وانقسم الشعراء في هذا العهد إلى أقسام **منهم** من انزوى منطويــا علــى نفسه يلهج بالقصيد ولا يرى النور ويحادث نفسه ويحاول ألا تسمعه ، **ومنهم** مــن ذهب إلى التورية والرمزية يبثها أحزانه وينشر قصائده على الناس فيفهم البســطاء المعنى القريب ويغيب على الرقيب ومقصه المعنى المراد فيجيزها تخفيا بها . وما الرقيب إلا مواطن يحس إحساس الشاعر .

وقسم ثالث من الشعراء رماه الطمع والفقر في أحضان الإذاعة التي كانت تعطي بعض الدريهمات نظير كل قصيد فلهج هذا الفريق بالمدح المبتذل الســخيف يجعلون من الملك المخلوع خليفة لله في أرضه وملاكا لا يتصرف الشــعب فــي شيء إلا من أفضاله ونعمه . ويشجع هذا الفريق تصريحات المسئولين من أولــي السلطة في البلاد الذين كانوا يؤلهون الملك وحاشيته .

والمسابقات التي كانت تعلن عنها وزارة الإعــلام والثقافــة فــي العهــد المنصرم كانت تجعل المدح ركيزة لا يمكن أن يتجاهلها الشاعرإذا أراد أن يشترك في المسابقة . وقد زادوا مغالاة في ذلك أن كانوا يختلقون للمؤلف الذي لا يمتــدح الملك أعذارًا وأسبابًا واهية يتخذونها ذريعة لمصادرة مؤلفه . ولقــد حــدثني أحــد وزراء الإعلام السابقين عندما جئت أراجعه عن مؤلف لي صودر قال لي : إنك لم تمتدح الملك فأجبته أن الشعر لم يكن لي وإنما أنا دارس لشعر الشاعر . والشاعرلم يمدح الملك فكيف لي أن أختلق قولا وأنسبه لرجل مات منذ خمسين عاما ؟ قال لي: يجب أن تمتدحه في المقدمة .

قلت له : ماذا أقول . أأقول في عهده .؟ فالشاعر لم يكن في عهد الملــك . أأقول بقيادته ..؟ فالشاعر لم يجتمع بالملك قط ولم يعرفه ولم يكن له فضل عليه .

---
1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص277.

فأجابني الوزير : هذه سياسة الدولة " ادهن السير يسير" كما عرض عليّ إعادة طبع الكتاب على نفقة الوزارة مع دفع تعويض مناسب في حالة ما إذا وضعت اسم الملك ومدحته في كتابي الذي هو دراسة عن شخصية جاهدت قبل أن يخلق الملك . وطبعا رفضت وصودر الكتاب .

بهذه العقلية كان حكام العهد البائد يضغطون على الكتاب والشعراء ليختلقوا بطولات قام بها الملك المخلوع وبطانته . وقد سايرهم البعض ورفضهم البعض الآخر . فاغدقوا العطاء للأولين وحورب الآخرون . وأنا هنا ما جئت لأقيم مسالك الشعراء وأحدد وطنية كل منهم ولكنني أتحدث عن الاتجاه الشعري في عهد ما يسمى بالاستقلال ويحلو لي أن أسميه ما قبل الثورة))[1].

*- **كما** حاول القشاط تحميل بعض قصائده ذات الطابع الاجتماعي الصرف وسبق له أن نشرها في دواوينه السابقة بعدًا رمزيًا ، وتضمينها موقفًا سياسيًا مناهضًا للنظام الملكي ، فيقول :- ((ومن القصائد الرمزية التي نشرت في العهد الملكي قصيد للمؤلف عنوانه " اجتماع الدخان" هذا القصيد تناولت فيه التفرقة التي تسود الوطن والأنانية وحب الذات وغطرسة الأجنبي في بلادنا ونظرة الاستخفاف التي ينظر بها إلينا وكيف نستطيع بالاتحاد أن نتخلص من جبروته وغطرسته . وقد نشر هذا القصيد في جريدة " فزان " بعد تخوفات من رئيس التحرير آنذاك ونشر بديوان " عشيات وادي غدو"))[2].

ونورد القصيد لمعرفة مكامن الرمزيّة فيها ، والتي قدّمها حين نشرها في ديوانه بالقول :-((اجتمعت أصناف السجاير الليبية والأجنبية وكل صار يعدد مزاياه وخصائصه :-

الدخان داير مجتمع وخطابه	مزاياه يبغي تسمع الشرّابه
الرايس : أنا انعاشر البدويّه	ميعادهم لازم يرسّم بيّه
امعاهم انقضّي في ليالي هنيّه	وكل حد لازم يرسّم بيّه
يطلّع من الكانون جمره حيّه	ويبحث عليّه فسلفته واجيابه

1 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 257.

2 – القشاط ، المصدر السابق ، ص 259.

جفاره : الرايـــس شرابـــه بايـــخ — من يشربه يقعد نهاره دايخ
أعيان القبايل كلهم ومشايخ — كان ما لقوني بايتين غضابه
وبالثمن يا رايس عليك انفايخ — ليك زاد ثمني النصف للطلابه

اسبيريا : شـــن قـــال ساك اجفـــاره — بالحق ما يصلحش حتى باره
يعقب الكحه وفي المذاق مراره — اخسارة الفارس ركبته وانقابه
أنا اسبير مشهور في السيجاره — وكل حد بيّه امعبيات اجيابه

لبده : في اول كلامي نبـــدا — مشهور واسمي عل مدينة لبده
وكل من خذي ويذوق مني جبده — يلقى تحسن فكرته وطيابه
استخلصت من دخان كيف الزبده — ممتاز فوق العال يا شرابه

سفير : أنـــا السفيـــر الليبـــي — سفير ينبعث تدكار كل حبيب
فلتر ونكهه حزتها في نصيبي — وفيّ يشربوا حتى صقيل انيابه
الكل دبلوماسي منحشي في الجيب — انزيده شجاعه وفلسفه واخطابه

سنيور
سرفيس : أنا بريطاني — دخان متعلي على الدخـــان
ما تقدروشي توصلولي شاني — سنيور سرفيس (نيم) موش غرابه
(هاي هاي فيري قود) فسط اوطاني — وفي ليبيا هابه عليك اذوابه

غريان : خرّف وارفس — غير اسمعوا شن قال عمك سرفس
مغرور جاي قْوطنا تفلفس — توه كفينا بلادنا يا بابه
زمان كنت في محل السفير بتعفس — واليوم من فضلك ترا تتبابه

كنج سايز : (آي آم اكنج سايز) — (أول كنترز) يبعث إليّ عايز
شهادات من عالم اكله حايز — (نووَن) في التاريخ مثْلي جابه
نغني الرياضي عمل لكسر سايز — انخليه مثل الوحش وسط الغابه

ودان : اذهب عطيك ثقيله — تسحاب بتعدي علينا لحيله
من بّسك معاد يرفع حيله — ويقعد امفلس فارغات اجيابه

الدخان ليبي ما هناك مثيله   منتوج وطني رخص زاد طيابه))[1]

كما يورد القشاط قصيدة أخرى فيقول :- ((وفي قصيدة " أحوال" من نفس الديوان رمزا لما يعانيه الوطن من ألم وتبرم من الفساد الذي ضرب أطنابـــه وقــد قدمت لها بقولي هذا : " عندما يرى المرء حيف الزمان ولا يستطيع أن يغيّر شــيئا من مجرياته فما عليه إلا أن يردد قولي هذا " . يقول القصيد رامزا إلى العهد الذي كنا نعيشه يومها :-

حوال حايله حال الزمان وعكسه   وحال المرض بعد الشفي والنكسه
حوال   اتبكّي   حوال حايله مسعودها متكي
حوال صابغه صبغت اصباغ اللكي   فجرد الكتافي تحت ليْ العكسه
بين الصمادغ كثرت لي حكّي   وشيب العوارض في شبابك وكسه
حوال   حويله   حوال ما عرفتلها هوى لاحيله
حوال هولها ياويل من لا جيله   اتخليه قبل البيع يعطي مكسه
حوال وقت كيف البير في تمطيله   كيف كسب لا يكسيك لا يستكسى))[2].

ويلاحظ القارئ أن كلمات ومعاني القصيدتين واضحتين وضـــوحًا شـــديدًا لا تحتمل التورية والرمزية لموقف سياسي أو معارض أو نقدي .

*- **كما** يقول في مواضع أخرى :- ((وقد كان معظم المسؤولين وقتها هــم مــن أبناء وأحفاد المساعدين لإيطاليا على احتلال ليبيا وعلى رأسهم الملك إدريــس ... عدم وعي المواطنين بأهمية نشر الحقائق وخوفهم من بطش النظام فكانوا يقفــزون على الحقائق وسرد الوقائع التي تمس الخونة وأذناب إيطاليا بحجة أن هذا يثير نقمة بعض المسئولين ...))[3].

إذن ما هي الثوابت ، وماهي المتغيّرات لدى الشاعر محمد سعيد القشاط ؟

تشير هذه النماذج المختارة من كتابات القشاط في المرحلــة الثانيــة إلـــى انقلاب متطرّف سريع في الموقف والكلمة ، فمن كان بالأمسّ محلّ مدح بقصـــائد

---

1 – القشاط ، **ديوان عشيات وادي غدو** ، ص 182.

2 – القشاط ، **صدى الجهاد في الأدب الشعبي** ، ص 262.

3 – القشاط، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ، ص9–10.

قال عنها القشاط أنها تعبّر عن عاطفة جياشة ، وحرارة مخلصة ، وصدق تعبيــر ودقة وصف ، انقلبت إلى هجو وذمّ ، وقدح ونعت بكل النعوت المسيئة ، ومن كان يدعو الليبيّين جميعهم إلى أن يجعلوه تاجًا فوق رؤوسهم داعيًا الله أن يطيــل فــي عمره أصبح خائنًا فاسدًا من أذناب الاستعمار، ولتحديد الثوابت والمتغيّــرات فــي المواقف والكتابات عند محمد سعيد القشاط ، نعيد الانتباه إلى ما أوردنــاه سابقــًا حول قيَم المبادئ ، وصفات الانتهازيّة ، ومدى انطباق أي من هذه القيَم والصــفات على كتابات ومواقف القشاط ، فنشير إلى أنه سبق أن قسّم مواقف الشــعراء مــن العهد الملكي إلى ثلاثة أنواع :-

*- **النوع الأول** : منكفئ على ذاته ونفسه يلهج بقصيد لا يرى النور ويحادث نفسه ويحاول ألاّ تسمعه ، كناية عن الخوف والحذر من العقاب .

*- **النوع الثاني** استخدم التورية والرمزيّة يبثها أحزانه ، وينشر قصــائده علــى الناس ، فيفهم البسطاء المعنى القريب ، ويغيب على الرقيب ومقصه المعنى المراد فيجيزها تخفيا بها .

*- **النوع الثالث** : رماه الطمع والفقر في أحضان الإذاعة ، التي كانــت تعطــي بعض الدريهمات نظير كل قصيد ، فلهج هذا الفريق بالمــدح المبتــذل الســخيف يجعلون من الملك المخلوع خليفة لله في أرضه ، وملاكا لا يتصرف الشــعب فــي شيء إلا من أفضاله ونعمه . ويشجع هذا الفريق تصريحات المسئولين من أولــي السلطة في البلاد الذين كانوا يؤلهون الملك وحاشيته .

إن التساؤل الذي يُطْرَحْ هنا على ضوء ما سبق الإشارة إليه ، هو إلى أي من هذه الأنواع الثلاثة ينتمي الشاعر محمد سعيد القشاط ، وهو من شعراء تلــك المرحلة؟.

لم يكن محمد سعيد القشاط من **النوع الأول** إطلاقًا ، إذ لم ينكفئ على نفسه وذاته بل قال شعره في العلن ، ونشر دواوينه ودراساته ومقالاته على الملأ ولم يكن من **النوع الثاني** فلم يلجأ إلى التورية والرمزيّة في شعره ، بل كان واضــحًا وضوح الشمس في تعابيره ومعانيه ، فهل في هذه الأبيات التي نوردها كمثــال أي توريـــة أو رمزيّة من أي نوع :-

صار ابن الشعب رئيس   ايسدد في خطواته
يعيش ملك الأمة الإدريس   عمم بإصلاحاته
على رفعت ها لوطن حريص   يتم مشروعاته
بفضل اخطط إدريس الزينا   وشعب الليبيين
رامي تاجه فوق جبينه   باني مجد متين

أما النوع الثالث فهو ينطبق شكلاً ومضمونًا على القشـــاط ، فقــد التحــق بالإذاعة وقدّم برنامج الأدب الشعبي فيها ، وشارك في المســابقات التـــي تنظمهـــا وزارة الإعلام آنذاك وفاز بالترتيب الأول ، ونظم شعرًا في مدح النظـــام الملكـــي على نحو ما أشار إليه القشاط في وصف النوع الثالث من الشعراء ، فقد جعل مـــن الملك خليفة لله وسيدًا على الليبيّين بعد الله ، ودعاهم إلى تمجيده حين يقول في هذه الأبيات على سبيل المثال لا الحصر :-

اليوم ملكنا ثوب التقطّع خاطه   وكلف ارجال التصلحة وانجيده
الوطن صارت رقعته منظمّة   إدريس بعد حكم الله هو سيده
ولى علينا من كساده وغمّه   موش عيب علينا نكثروا تمجيده

وحول التغيّر في المواقف يقول د. عاصم الدسوقي :- ((وعلـــى الباحـــث ألاّ يعفي نفسه من النقد الذاتي متى وضح خطأ أفكاره . والنقد الذاتي لا يعنـــي أن يراجع الباحث أفكاره ومواقفه السياسية نتيجة تغيّر الظروف السياسية - راجــــع تغيّر مواقف بعض الكتاب من مؤيد لعبد الناصر في عهده إلى معاد له فـــي عهــد

السادات – لأن هذا ابتذال لمعنى النقد ، وإبعاد للباحث عن الموضوعية ، ويضعه في صفوف الانتهازية))[1].

كما أن ما قدمناه من تحليلات سابقة لكلّ كتابات محمد سعيد القشاط تؤكّد أنه لا يتحرّى الصدق فيها ، ويقوم بعمليات تحوير وتغيير للنصوص التي يقتبس منها مخالفًا الأمانة العلميّة ، كما أنه يغيّر ولاءاته تبعًا لمصالحه ومنافعه ، وأنه يستخدم الكتابة في اتجاه يثير الفتنة ، وينشر الحساسيّات والتعصّب في المجتمع وليس من أجل المصلحة العامة ، والوفاق الوطني .

لذلك يتضّح مما سبق أن **الثوابت** لدى محمد سعيد القشاط ترتبط أرتباطًا وثيقًا بتحقيق منافع خاصة أي ((**المصالح**)) التي تقوم على انتهازية الموقف والكلمة ، في حين أن **المتغيّرات** وهي تلك ((**القيم الأخلاقية والمبادئ**)) التي تعني الثبات على الموقف والكلمة ، فهي تتغيّر حسب مقتضى الحال ، وواقع اللحظة التي يمرّ بها القشاط ويتأثر بها إيجابًا أو سلبًا .

ونختم تحليلنا بقصيدة للشاعر محمد سعيد القشاط في ذمّ هؤلاء الانتهازيّين عديمي المبدأ ، نشرها مبكرًا في الستينيّات بعنوان : ((ابتعد عن عديم المبدأ)).

ابنادم بلا مبدأ تنفر منه	اتنال التعب لا كان تسأل عنه
اتنال التعب عل جاله	ويكشف حوالك كان تستر حاله
اتصدق مقاله وقت ما تصغاله	ولك يشتكي يخليك حاير منه
ثعلب امراوغ كاذبات أقواله	اليا نال منك سر ما يتهنى
ابنادم عديم اشواره	انوصيك عنه بالسراب تواره
اخصوصن اليا كان عبد الباره	كما الغصن وقت ايهب ريح اثنى
يرطاب ويديرك وديع اسراره	يخبّر عليك ايزيد يعمل رنه
انوصيك خوذ نصيحة	من كبد من خبث الخبيث جريحه
سرك اليا ماتشتهيش اتبيحه	السندوك ما تخليه يخرج منه
وخلطة الغري ما تكون صحيحة	عقاب خلطته لا بد اتولي عنه
وسع عليه وباعد	وفوق من ابعاد الباعده تتباعد
يرقق اسلوبه ليك فيك ايواعد	يلقاش منك خرم يمرق منه
يرميك لارايف عليك امساعد	ايفوت يتركك من طعنته تثنى

1 – د .عاصم الدسوقي ، مصدر سابق ، ص 15.

مــا تقربـــه بقرايب	لا تكلمه لا تراسله بكتايب
خُلْطَتْ صغير العقل كل مصايب	قربه جحيم البعد عنه جنه
ايخليك تشبح بهذله وعجايب	ايجحش على مطراح كنت اتظنه
كان انشغلت ابزايد	عل حالته راهو قليل افايد
الحسنات يغسلهم مثيل التايد	وحرث السطح مالك نفيعه منه
ولسرار ما هي للقبيح عوايد	اليا باحها ما هي غريبه عنه))[1].

لقد فطن الشاعر وهو في ريعان شبابه ، ومقتبل عمره إلى هذا النوع من الناس الذين ليس لهم مبدأ ، أو قيَم أخلاقية تحكم سلوكهم وتصرّفاتهم تجاه الآخرين والذين يسيطرعلى أنفسهم حبّ الذات والطمع ، فيستعملون كل الوسائل للوصـــول إلى أطماعهم ، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخـــرين ، أو ظلمهـــم أو أذيّـــتهم فنراه يوصي وبشدّة بالابتعاد عن مثل هذا الصنف من البشر ، لأنه لا يكـــتم ســـرًا عرفـــه ، ولا يؤمن جانبه ، خاصة إذا كان عبدًا للمال ، والشـــهوات ، والمطـــامع فينتهز كلّ فرصة سانحة ليستفيد منها دون أن يتمسّك بالقيَم والثوابت ، ولن يتـــردّد في تشويه سمعة الآخر ، بل سيزيد من اختلاق الكذب ليضخّم الأمر فيقول :-

اخصوصن اليا كان عبد الباره	**كما الغصن وقت ايهب ريح اثنى**
يرطاب ويديرك وديع اسراره	**يخبّر عليك ايزيد يعمل رنه**

ويذهب الشاعر إلى التأكيد على ضرورة البعد عن هذا النوع الذي يـــــراه صغير العقل لا يجلب إلاّ المصائب ، فيصوّر أن مخالطته ، والتعامل معه كمـــن يعيش في الجحيم وأن البعد عنه ، وازدرائه ، تجعل المرء في راحة بـــال وهنـــاء كمن يعيش في الجنة ، وينجح الشاعر في تصوير خبث وحقارة هـــذا النـــوع مـــن البشر، حين يقول إن أفعال هذا النوع من البشر فيها من البهدلة الشـــيء العجيـــب ويورد كلمة ((ايجَحّشْ)) وهي من مفردات البيئة الرعويّـــة التـــي تعتمـــد علـــى الحيوانات خاصّة الحمير في تنقلاتها ، ونقل امتعتها ، فحين يتمنّع الجحـــش عـــن المسير و ((يَحْرِنْ)) فلن يستطيع صاحبه مهمَا انهال عليه بالضرب أن يزحزحـــه قيد أنملة عن مكانه ، وكأن الشاعر يقول لنا إن هذا الصنف حين يجد فرصة فلـــن يتركها تفلت منه دون أن يستغلّها ويتشبّث بها ويجحّش عليها فيقول:-

---

1 – محمد سعيد القشاط ، ديوان : بين نجوع البادية ، ص129

خُلْطَتْ صغير العقل كل مصايب　　　قربه جحيم البعد عنه جنه

ايخليك تشبح بهذله وعجايب　　　ايجحش على مطراح كنت اتظنه

وهنا يصوّر الشاعر حياة هذا النوع من البشر التي تفني عمرهـا ، وهـي تفعل السيئات فتتعاظم آثامها ، وتقلّ حسنات أعمالها ، فيصوّر كيف تزيل السيئات كل الحسنات كفعاليّة مسحوق صابون التايد في تنظيف الأوساخ ، أو كمن يحـرث زرعه فوق سطح بيته فلا يجني منه شيئا فيقول :-

الحسنات يغسلهم مثيل التايد　　　وحرث السطح مالك نفيعه منه

ولسرار ما هي للقبيح عوايد　　　اليا باحها ما هي غريبه عنه

الخاتمـــــــــة

مثل الثعلب والطبل

قال دمنه :- ((زعموا أن ثعلبًا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكلما هبّت الريح على قضبان تلك الشجرة ، حرّكتها فضربت الطبل ، فسُمع له صوت عظيم باهر ، فتوجّه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه وجده ضخمًا فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقه ، فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال : لا أدري لعلّ أفشل الأشياء أجهرها صوتًا وأعظمها جثة .

وإنّما ضربتُ لك هذا المثل ، لتعلمْ أن هذا الصوت الذي راعنا ، لو وصلنا إليه لوجدناه أيسرُ ممّا في أنفسنا.))[1].

..... وبعد ،،،

فهذه الضجّة والجلبة التي أحدثها الشاعر محمد سعيد القشاط بكتاباته وتحليلاته السياسيّة والعسكريّة ، وتطويعاته للنصوص والوقائع ، وأحكامه القاسيّة التي يطلقها تجاه رجالٍ صنعوا تاريخًا مجيدًا ، في مواجهة آلة حرب جهنميّة ظالمة لا تفرّق بين أعزل ومسلّح ، وسط دوائر النار والبارود ، والموت ، والجوع والنفي والاعتقال .

فإن ما حوته هذه الكتابات من مغالطات تاريخية من السهل تفنيدها وبيان عدم صحتها .

1 – بيدبا ، كليلة ودمنة ، نقله من الفهلوية إلى العربية عبدالله بن المقفع ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ص119

ونحن نصل إلى خاتمة دراستنا لمنهج وأسلوب الشاعر الشعبي محمد سعيد القشاط في الكتابة التاريخيّة ، والثابت في مواقفه ، والمتغيّر منها ، فإننا نخلص إلى جملة من النتائج النقديّة المرتبطة بهذه الشخصيّة المتقلّبة في أحكامها ومواقفها والتي تعتمد أسلوب الكتابة القائم على العاطفة ، والانفعالات الشخصيّة ، والقبليّة وعدم الحياديّة في الطرح ، والإصرار على أن يقف موقف الخصم والقاضي ، تجاه وقائع وأشخاص تاريخيّة من الماضي دون أن يمتلك الأدلّة الوافية ، أو المطالعة الشاملة للحدث وفق ظروف وقوعه ، فيصدر أحكامه جزافًا متهمًا بالخيانة من ضحّوا بأنفسهم ، وأبنائهم وأموالهم في سبيل هذا الوطن ، ويورد حكايات وروايات ويثير الحساسيّات والتعصّب والكراهية في مجتمع ما تزال القبيلة هي النموذج الاجتماعي السائد الذي يحكم سلوك وتصرفات أبنائه فيما بينهم ، كما أنه غير أمين في نقله للنصوص من مصادرها ، فتراه يغيّر النصّ ، ويطوّعه حسب رغباته وغاياته ، سواء بالحذف أو الإضافة ، أو ربط جمل منه متباعدة ليشكل منها معنى مخالفًا للنصّ الأصلي.

أما من حيث مضمون المادة ، فالقشاط لا يقدّم مادة علميّة تعتمد المنهج العلمي والحقائق ، ولكنه يقدّم المروي والمحكي على ألسنة العامّة ، والتي تختلط بخيالات وصور، تزداد وتتلوّن بأشكال وألوان جديدة ، وفي كلّ مرّة يتضخّم مدى الخيال وتتقلص مساحة الحقيقة، كما أن القشاط لا يراجع كتاباته ، فتأتي بالكثير من المتناقضات ، وهذا يدلّ على عدم الاطلاع والمراجعة ، كما تعوزه الفطنة والمقدرة على تحليل الكلمات والمعاني، وقراءة ما بين السطور التي ينبغي أن تتوقر في الباحث، فيورد بتباهي وفخرٍ الكثير من الوثائق ، خاصة تلك التي تتعلق بقبيلته ((الصيعان)) ، وفيها تعريض بمواقف وأوضاع تسيء إليهم .

ونستخلص من تحليل كتابات القشاط ومواقفه ، **أن القشاط تتجسّد فيه مزيج من نزعات سلبية لنماذج من شعراء عبروا التاريخ ، وهم يصارعون أقدارهم في الحياة ففيه– مع بُعده عنهم بُعد المشرقين– : نزعة المتنبي الطموحة لامتلاك وجاهة أو سلطة ما ، وحنق ابن الرومي على الدنيا التي لم تستقبله استقبالاً يليق به كعلم مفرد فيها ، وهجاء الحطيئة لكل شيء بما في ذلك ذاته وناسه ، وتهتك أبي نواس في شعره ، وتزلّف شعراء البلاط** ووجود هذه النزعات على اختلافها ، وتصارعها في شخص واحد ، قدراته المعرفيّة محدودة وفي حيّز زمني ومكاني محدود ، تشكّل عاملاً مهمًا في عدم ثبات مواقفه وكتاباته

تجاه كل شيء ، وتؤكّد في ذات الوقت عدم قدرته وأهليّته للخوض في مثـل هـذه المواضيع التي تمسّ وجدان وحياة المجتمع ، والتي تتطلب قدرًا عاليًا من الانضباط السلوكي والمعرفي فيها ، لأن آثار كتاباته كلها تصبّ في الاتجاه السلبي الذي يؤثر على وحدة المجتمع واستقراره ، سواء في المدى القريب أو البعيد وينبغي عليه أن يتوقف عن الكتابة على مثل هذا النحو ، لأن كل شرائح المجتمع ترى في منهجـه وأسلوبه [القائم على التخوين ، والحطّ من أدوار أفراده وقبائله عن فترة زمنية في الماضي ، تحت حجّة البحث العلمي] تهجمًا غير مبرّر ، لأنه في حقيقة الحال حتى وإن لم يخطئ أحد ، أو يضعف ، أو يركن ، أو يهادن في مرحلة الجهـاد ، فـإن مجريات الأمور ما كانت لتتغيّر ، أو توقف اندفاعة العدو الغازي لاحـتلال ليبيـا التي جاءت ضمن موجة شاملة لحركة قوى الاستعمار ، وكان لا بد لهـا مـن أن تأخذ مداها الزمني والجغرافي ، وهذه الموجة كانت مدجّجة بالسلاح والمعرفة ضد الآخر الذي لا يمتلك للمواجهة إلاّ العزيمة والشجاعة.

وبشكل عام نتفق مع د . مصطفى هويدي في نقده لمنهج القشاط في الكتابة التاريخيّة حين يورد عدداً من الأسباب التي يرى أنها محلّ إختلاف له مع القشـاط وهي :-

((1- في الأخذ بالرواية الشفوية المفردة التي أرى ضرورة الإجماع فيها .

2- في عدم التوثيق للحدث أو وجهة النظر مصدريا أو مرجعيا أو توثيقيا .

3- في تناول الحديث والكتابة بصورة التعميم .

4- في عدم الدفع بالأسباب المقنعة والمحججة للأحكام التي يطلقها .

5- في الأسلوب الكتابي الشعبي العامي .

6- في تناقض الأفكار في الكتاب الواحد أو في كتاباته المختلفة .

7- وفي الخروج عن عنوان الدراسة أو الفكرة في حد ذاتها زمنيا ومكانيا))[1].

وقد تشكّلت ، واتّضحت معالم المنهج الذي يتّبعه الشاعر القشاط في الكتابة في التاريخ ، حيث تبرز الملامح الرئيسية للأسلوب على النحو التالي :-

---

1 - مصطفى هويدي ، تقديم كتاب :المجاهدون المنسيون ، أحمد كريم ، ص 8 .

1- التركيز على البعد القبلي ، ومحاولة رسم دور رئيسي لقبيلته ، بوضع روايات مفتعلة عن دور بعض مشايخها ، كقيادات وزعامات من الصف الأول في معارك الجهاد الليبي ، كمدخل لموضوعه الأساسي بالتهجّم على القيادات والزعامات والقبائل الليبية المجاهدة .

2- اتباع أسلوب التهجّم ، والتخوين ، والتخاذل على القبائل والزعامات التي كان لها دور رئيسي في مرحلة الجهاد في المنطقة ، ومحاولة النيل من مركزهم وجهادهم ، والتركيز بشكل انتقائي مبتور على عبارات ، وأحداث لصياغة موقف أو إصدار حكم قطعي للإساءة إليها .

3- استخدام الكتابة في اتجاه يفتح بابًا للفتنة بين أبناء المجتمع الليبي ، وهم في أمسّ الحاجة إلى تناسي جراحات وآلام الماضي ، من أجل تعزيز وتقوية روابط اللحمة الوطنية ، في مواجهة كافة الأخطار التي تتربّص بهم من الداخل والخارج.

4- إثارة النعرات القبليّة ، ومحاولة إحياء الفتن بين مختلف القبائل ، بسرد حكايات مختلفة تسيء إليهم على المستوى الاجتماعي أو الجهادي .

5- حشو المادة التاريخيّة بروايات وأحداث لا داعي لطرحها وذكرها ، لانعدام العلاقة السببيّة بينها وبين المضمون .

6- تفسير الأحداث من منظور أحادي ضيّق الأفق ، بما يتماشى والغاية التي يرمي الوصول إليها.

إن خطورة هذا الاتجاه في الكتابة التاريخيّة التي لم تُعْرَفْ إلا في العقدين الأخيرين وخاصة المنهج الذي يتّبعه القشاط في أنه يشكّل عامل تفتيت ، وفرقة وضعف في العناصر المكوّنة للمجتمع ، ويصبّ في المحصّلة التي بدأت تتشكّل صورتها ببروز المشاحنات والحساسيّات بين الأفراد والقبائل ، والتي لم تكن موجودة بمثل هذه الحدّة ، ممّا يؤشّر إلى إمكانية ظهور وضع اجتماعي في المستقبل مهلهل ، ضعيف ، متناحر ، متباعد ، متعدّد الولاءات ، أمام قوى خارجيّة شرسة تريد أن تهيمن وتسيطر عليه ، وتستحوذ على امكاناته المتوفرة حاليًا والتي قد تزداد أهميتها في المستقبل كالطاقة الشمسية ، لتضمن استمرار حياة شعوبها على حساب الشعوب الأخرى ، فحوادث التاريخ تشير إلى أن دورة الاستعمار تتكرّر باستمرار كلما توفرت شروطها ، وتتم بدوافع اقتصاديّة في الغالب

نتيجة لضغوط تزايد السكان وقلة الموارد ، أو لتأمين موارد تحتاجها لاستمراريّة تطوّرها وتأمين حياة الرفاهيّة لشعوبها ، كما يحدث الآن من تنافس شرس بين الدول للسيطرة على موارد الطاقة في العالم ، وهو ما يعني إعادة الهيمنة من جديد وإن كانت بأشكال مختلفة ، ويكفي أن نشير هنا أن إيطاليا عندما غزت ليبيا كانت تحت ضغط انفجار سكاني بلغ (50) مليون نسمة ، وتناقص في الامكانات الاقتصاديّة في حين كان سكان ليبيا **لايتجاوز** (مليون) نسمة مع وجود أرض بكر غير مستغلة .

وعودة الاستعمار تكون بلا شكّ سهلة عندما تكون في مواجهة مجتمع ضعيف تسوده الصراعات والخلافات ، وتتعدّد فيه الولاءات ، فتراهم جميعًا وقلوبهم شتّى ، وهذا الوضع تتشكل وتتهيأ أرضيته عبر فترة من الزمن تبدأ بكلمة وتنتهي بلكمة قاضية ، عندما يقوم فرد أو فئة بعمل متعمّد ، أو دون قصد ، أو معرفة ، أو تقدير لآثاره السلبية على المجتمع في المستقبل ، بمسّ جوانب حسّاسة في نسيج المجتمع مما يؤدي إلى انتشار الحساسيّة والخلافات ، والتي من السهل أن تنتشر بعد ذلك كالمرض ، فيوهن المجتمع ، وتضعف قدرته ومناعته ، ويصبح سهل المنال ، فهل سيكون القشاط ((**سعيدًا**)) إذا وصل المجتمع الليبي نتيجة مهاتراته إلى هذه المرحلة من الوهن ، والكراهية ، والشقاق بين أفراده وقبائله ومناطقه بعد أن كان متراحمًا مترابطًا متناسيًا آلام الماضي ، ففي ما مضى من الأيام دفعت إمرأة جاهليّة قومها للفناء بسبب ناقة ، **فقيل : أشأم من البسوس** ، فهل يريد القشاط أن يقول الأحفاد ذات يوم في زمن قادم : **أشأم من القشاط !!!؟.**

لذلك وفي هذا المقام ومن منطلق الحرص على وحدة المجتمع ، ندعو مركز جهاد الليبيّين للدراسات التاريخية الذي أنشأه المجتمع خصيصًا لتوثيق تاريخ هذه المرحلة الهامّة ، أن يقوم بدوره الذي أناطه به المجتمع في مواجهة مثل هذه الكتابات من واقع الوثائق والمصادر المتوفرة لديه .

كما ندعو الجميع إلى تعاهد جماعي ، على مستوى كافة شرائح المجتمع ومكوّناته يكون على شكل التزام أخلاقي عند تناول تلك المرحلة ، بعدم الانحراف في تنصيب أنفسنا قضاة فلا نجرّم ، ولا نخوّن أحدًا من **جيل التضحية والمعاناة** وأن يراعى عند تناول هذه المرحلة النظر بشموليّة لجميع العوامل التي ساهمت أو صنعت تلك الأحداث ، وعدم اطلاق التهم بالخيانة أو النكوص ، أو ما شابه ذلك على أي مجاهد ، أو زعيم ، أو قبيلة ، أو منطقة ، فما عاناه الليبيّون جميعهم آنذاك

من قتل وتدمير، وبث للفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وفق سياسة مدروسة اعتمدها المستعمر الإيطالي منهجًا نفدّه بإحكام يفوق الوصف ما تزال أثاره باقية حتى الآن ، ولذلك لا يجوز للبعض منّا أن يظلّ يسلّط هذه النظرة الضيّقة تجاه تلك الأحداث من واقع منظور اليوم ، ويظلّ يسبّ ويلعن ويتهجّم على هذا وذاك ، في تعبير واضح عن فشله في القدرة على التعايش ، والمساهمة مع الآخرين في بناء حاضر ومستقبل هذا المجتمع ، ويعيد بكتاباته الطفوليّة ونظرته القاصرة ، تهيئة الظروف لنجاح الغازي مرّة ثانية في استعمارنا .

ولذلك ينبغي أن نكون أكثر حكمة ، وتفهّم في دراسة وتحليل تلك المرحلة لنستفيد من تلك التجربة الغنيّة بمشاهدها ، لزيادة تماسك اللحمة الوطنيّة في مواجهة كافة المخاطر، واضعين نصب أعيننا قول الله تعالى في محكم آياته :-((**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون** (140) **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** (141)))[1].

وختامًا ونحن نطوي آخر صفحة من هذا الكتاب نؤكّد ونقول ،،

ومع كلّ ذلك فإن الجميع يحفظ للشاعر محمد سعيد القشاط قدره وقيمته مهمَا خالفهم فيما يدّعيه ، أو ينشره ، فلا يرفعونه مداهنة ، ولا يحطّونه احتقارًا ولكن ينزلونه منزلته : **شاعرًا معروفًا على امتداد هذا الوطن** ، ولكنه أبدًا لن يكون في مرتبة المؤرّخ ، والباحث ، فذلك فن وعلم نتركه للمتخصصين فيه الذين يملكون أدواته وأهمها : النزاهة العلميّة ، والموضوعيّة ، والحياديّة ، والثقافة العميقة التي تمكّن المؤرّخ من تحليل الوقائع ، واستنباط النتائج الصحيحة ، وهذه الخصائص بمجملها ، أو على حدة لا تتوفر في كتابات القشاط وتحليلاته ، **وقد قيل في الأمثال والحِكَمْ :- رحم الله رجلاً عرف قدر نفسه فنزل دونها .**

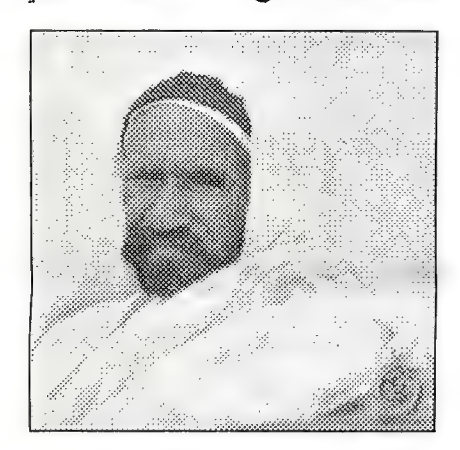
1 – سورة البقرة ، الآيتان 140-141.

الملاحق

تضم (23) وثيقة منها (20) وثيقة تنشر لأول مرة

الوثائق مرتبة حسب التسلسل الزمني لها

نبذة عن الحاج محمد خليفة فكيني



*- **ولد** في بلدة تاردية بقبيلة الرجبان في 4 شوال عام 1276هـ ، وتلقى تعليمه الأول بكتاتيب الرجبان ، وزاوية الرجبان وتعلم اللغة التركية " لغة الدواوين " .

*- درس على شيوخ عاملين أجلاء أمثال : الشيخ أبوالقاسم محمد العيساوي والشيخ ابن منيع ، والشيخ ابن مصطفى ، والشيخ محمد بن عثمان الحضيري وغيرهم .

*- **تولى الوظائف التالية :-**

- انخرط في سلك الإدارة العثمانية في شوال 1297هـ في وظيفة باش كاتب متصرف لواء الجبل .
- أمين صندوق مال قضاء فساطو سنة 1300هـ .
- مدير مال بقضاء غدامس سنة 1304هـ .
- مدير مال فساطو سنة 1308هـ .
- مدير عام الطابو بلواء الجبل سنة 1326هـ .
- قائمقام قضاء نالوت سنة 1328هـ .
- قائمقام بقضاء فساطو سنة 1332 هـ.
- متصرف لواء الجبل 1915-1916 .
- مفتش عمومي للقسم الغربي من ولاية طرابلس سنة 1335 هـ (1917) .
- متصرف لواء فزان سنة 1335هـ (1917) .

- عضو مجلس شورى الجمهورية الطرابلسية عام 1918 .
- عضو مجلس حكومة قطر طرابلس 1919-1920 .
- عضو هيئة مؤتمر غريان .
- عضو في مفاوضات الصلح في العزيزية وسواني بن آدم وفندق الشريف وفندق بن غشير .
- وكيل رئيس هيئة الإصلاح المركزية 1921 .

*- **الأوسمة** :-
- نال وسام الامتياز سنة 1320هـ .
- نال وسام الشجاعة سنة 1322هـ عندما قاد فرقة من العساكر ، وهزم حملة من المجندين بقيادة فرنسية في معركة سانية الرجل قرب سيناون .

*- **عايش** الحاج محمد فكيني كامل مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين من بداية الغزو 1911 وحتى 1930 ، وشارك في معارك : الهاني وعين زاره وسيدي المصري ، وقاد المجاهدين في القسم الغربي من طرابلس ضد زحف غراسياني في معارك الوطية وسواني الكردي والوخيم والجوش والسلامات ، واستشهد في هذه المعارك ولداه : حسن فهمي عام 1920 ، حسين فهمي في معركة الوخيم عام 1922 ، كما شارك بعد ذلك في معارك زمزم والمويلحات وعلاق ووادي الثلث وأوال والعصمة ، وقد أجبر وإخوانه المجاهدون على الانسحاب ودخول الأراضي الجزائرية تحت قصف طائرات القوات الإيطالية في معركة تارات على الحدود مع الجزائر يوم 1930/2/15 .

*- **كان** الحاج محمد فكيني على قدر كبير من الذكاء والمعرفة والثقافة ، وقد شهد له الأعداء والأصدقاء بالمقدرة والشجاعة والثبات ، وأيده وزكاه على استقامته وإخلاصه وصدقه المجاهد الفذ ، والرجل الصالح السيد محمد بن عبدالله البوسيفي قائد وشهيد معركة القارة في وادي الشاطئ بفزان قرب قرية محروقة كما شهد له أيضا الولي الصالح الشيخ عبدالله بن فضل العجيلي الذي استشهد منفيًا في جزيرة سردينيا في إيطاليا .

*- **أدركته** المنية في دار الهجرة في مدينة قابس مساء يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى 1369هـ الموافق 28 مارس 1950م عن عمر ناهز الثلاثة والتسعين عامًا ، ودفن بجوار الصحابي الجليل سيدي أبي لبابة الأنصاري رضي الله عنه .

*- **رثاه** العديد من الشعراء الليبيين والعرب ، ومن بينهم :- رفيقه في الجهاد والهجرة الفقيه الفاضل والعالم الشيخ محمد النعاس الفقهي الورفلي شيخ زاوية سيدي سعد في زغوان فقال مرثيته التي نظمها بمناسبة مرور عام على وفاة الحاج محمد فكيني نورد منها هذه الأبيات :-

أبا لبابة هذا في كفالتكم ... مجاهد صادق بيض أياديه
قد كان يأمل نوما في رحابكم ... وجيرة الصحب من أغلى أمانيه
فحقق الله ما يرجو وتم له ... أن مات في هجرة زانت مساعيه
لله درك من شهم غدا مثلا ... في المكرمات ولكن من يضاهيه
برّ أمين نزيه ، مخلص بطل ... مقاوم الظلم والعدوان يرديه
ليث الوغى فارس الهيجاء في وطن ... قاد الجيوش دفاعا عن مغانيه
فاهنأ بقرب صحابي سما شرفًا ... من ذا يفاخره أو من يدانيه
فأنت في زمرة الأبرار منتظم ... بسنّة المصطفى الهادي وأهليه
هذا الزعيم الذي كالشمس مطلعه ... هذا الفكيني الذي كالبحر ماضيه
(بيض صنائعه ، سود وقائعه ... خضر مرابعه ، حمر مواضيه)

وكذلك الشاعر المصري الكبير أحمد خيري باشا الذي زار ضريح المجاهد محمد فكيني في مدينة قابس عام 1958 ونظم قصيدة قال فيها :-

أعد ذكر المعامع والنزال ... على سمعي وفاخر بالنضال
رعى الرحمن أبطالا تعتوا ... فأمسوا يحرزون على الكمال
وضمخ أعظمًا كانت كماة ... يحوزون المفاخر والمعالي
وأكرم ربّنا شهداء ليبيا ... وتونس والجزائر بالظلال
وأنزل رحمة من معصرات ... غوادقها تعاقب بالتوالي
على رمس به يثوى فكيني ... بقابس فيه أضواء الجلال
نبيل في مآثره عريق ... تحلّى بالحميد من الخلال
وثقفه أساتذة كرام ... ذوو المجد الغني عن السؤال
فعاش حياته حرًا وفيًا ... وديدنه الكفاح بلا ملال
له ولدان في الميدان قتلى ... وكم للكرّ عشاق عجال

****

الوثيقة رقم (1)

أمر ولائي بوضع إكرامية
لمن يقبض على الحاج محمد فكيني

BOLLE TINO UFFICIALE DELLA TRIPOLITANIA
TAGLIA SULLA PERSONA DEL
HAG MOHAMED FGHENI BEN HALIFA BEN ABDALLAH

نحن
الحامل لوسام الدولة الأعظم
((المشير جواني آميليو))
والي القطر الطرابلسي

نظرا للمناسبة السياسية في وضع اكرامية خصوصية على الشخص المتمرد الأهلي الحاج محمد فكيني بن خليفة بن عبدالله ووفاية بنت أحمد المتولد بتاردية من ناحية الرجبان .

وبعد الإطلاع على الأمر الملوكي المؤرخ / 14 مايو سنة 1915 عدد 777 وعلى المادة 8 و9 من الأمر الملوكي المؤرخ / 9 يناير سنة 1913 عدد39 وبعد الإطلاع على المادة 251 من القانون الجزائي العسكري

وعلى أمر الولاية المؤرخ /15 مايو سنة 1915

نأمر بما يأتي

قد وضعت إكرامية قدرها عشرة آلاف فرنك على شخص الحاج محمد فكيني بن خليفة بن عبدالله التارديتي الرجباني ، وسيصير دفع المبلغ المذكور مكافأة لأولئك الذين يتوفقون في القبض على الشخص المذكور الحاج محمد فكيني أو في قتله .

طرابلس في / 11 سبتمبر 1916

والي الولاية : آميليو

الوثيقة رقم (2)

رسالة الجنرال بانتانو إلى قادة المجاهدين عام 1919

من جنزور / 26 فبراير 1919

COMANDO DELLE TRUPPE DELLA TRIPOLITANIA IL GENERALE

إلى المحترمين الأفاضل :
رمضان بك الشتيوي وأحمد بك المريض وسليمان بك الباروني ومختار بك كعبار وعبد النبي بك بالخير والهادي بك كعبار والحاج محمد بك فكيني وعلي بك بن تنتوش

دام مجدهم آمين

بعد إهداء السلام عليكم أعلمكم أن حضرة الجنرال تارديتي رئيس دائرة السياسة العسكرية كان أرسل لكم مكتوبا وذكر فيه تقريبا ما هو مذكور أدناه :

الحكومة الإيطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر ، وتعلم أنكم أنتم كذلك حاضرون ولكم قبل انصباب الطرفين في المعارك رأت واجبا عليها وعليكم حل كل شيء لكي لا تسفك الدماء ثانيا وأنا أظن في الإمكان فهم المشاكل بحضور الطرفين والمكالمة تفصيلا وبكامل الحرية ، ولأجل هذا فأنا أسألكم الاجتماع ، وأظن أن رجالا مثلكم عقلاء ومدربين لا يمتنعون عن هذا ، ولا أظن أنكم تحملون وجدانكم سفك الدماء المأمول .

وإنني منتظر إشعاراتكم أين وكيف ومتى تكون الملاقاة ... هذا قد كتبه لكم الجنرال تارديتي ، وأنا أعيده لكم ثانيا على لسان الجنرال تارديتي ، بارسال مكتوب لكل واحد منكم لأن مكتوبا واحدا محتمل ضياعه وأيضا يضيع وقت كثير في قراءته من طرف كل واحد منكم . وأعرض على جميعكم سلامي واحترامي .... والجواب يكون إلى الجنرال تارديتي بطرابلس .

الجنرال : بانطانو LE GENERALA : PANTANO

*- من وثائق الحاج محمد فكيني، سبق نشر صورة من نفس الرسالة في كتاب الجمهورية الطرابلسية للدكتور مصطفى هويدي .

الوثيقة رقم (3)

مضبطة الصيعان الموجهة إلى
الحاج محمد خليفة فكيني
بتجديد الطاعة والمبايعة لقيادته

10جمادي الثاني 1338
(1920/2/29)

حضور جناب ذوي المكارم أعضاء حكومة القطر الطرابلسي
الحاج محمد فكيني وعلي بك الشنطة دام حفظهما آمين

بعد مزيد السلام عليكم ورحمته تعالى وأزكى تحياته والسؤال عن حالكم (غير مقروءة) وبعد فقد بلغنا وتشرفنا بجوابكم المؤرخ 12 جمادي أول سنة 1338 ، قولكم أن خليفة بك بن عسكر جعل اعلانات وبعثها لبعض محلات وكما لا يخفاكم معاملته السابقة معنا والفتنة التي وقعت بيننا وبينه وهي من جانب الغنائم التي أخذناها وهو أكلها منا فمن ذلك الوقت منقطعةالعلاقة بيننا في جميع الأمور ولو أنه كاتبنا لا تظنوا يغرنا قوله ولا نعتبروا أحواله . وتعلموا أن عمومنا منسرّة وممنونة بما جعلتم من تلك المصالح الذي حصلت وقولكم مناصحته هذا تعلموه لا ينظر قولنا ولا يمتثله ، ونحن مثلنا مثل عموم اسلام الولاية وقلدناكم أمورنا حيث جعلكم الله لتوفيق مصالحنا ولازلنا ندعو لكم بدوام العز وطول العمر والتوفيق في جميع أموركم والسلام .

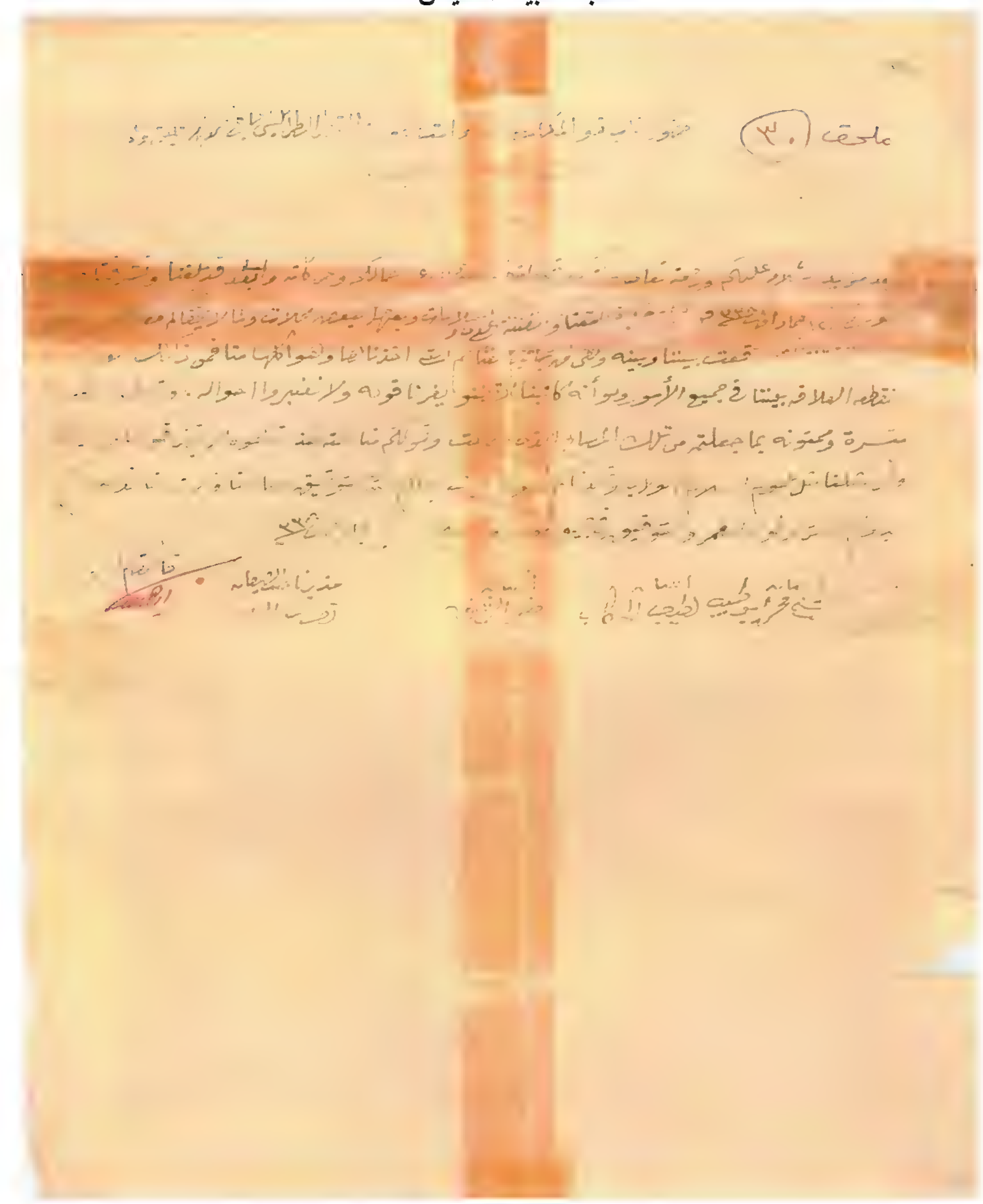
10 جمادي الثاني سنة 1338

أعيان الشيخ	أعيان الشيخ	أعيان	أعيان
المبروك الغدّي	محمد أبوطيب	لطيف الحطاب	ضو الرقيق

مدير ناحية الصيعان
نصر بن الحاج

توقيع
قائمقام الجوش
إبراهيم أبو الأحباس

النص الأصلي للوثيقة رقم (3)
مضبطة قبيلة الصيعان


ملحق (٣٠)

*- ملحق رقم (30) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

الوثيقة رقم (4)

نص
المضبطة ولائحة المطالب
التي أشار إليها غراسياني
في رسالته إلى الحاج محمد فكيني في (الوثيقة رقم 11 بالملحق)

إلى حضرة دولة والي الولاية الطرابلسية
بعد السؤال عن حضرتكم وضمنا (ربطا) جوابا لأوامركم أما الأمر المشترك ، فإن المشـــتركين معي بعدوا لسكناهم بعيدين المسافة ولزومهم الحياد عن هاذه الاصلاحات الواقعة في الجبل وقد آن الوقت لمخابرة دولتكم وطلبنا منكم تبعيد أصحاب الفساد ، وهما سليمان الباروني وخليفـــة بن عسكر ، وانظروا تاريخ أعمالهم ، وإجراء مجازاتهم بما فعلوه فعندها يصير بـــث الراحـــة العمومية بالجبل . وأملنا إجراء ما هو مطلوبا باللائحة المتقدمة بواسطة المحترم الشيخ أحمد بك الفساطوي والسنيور أنطونيو سبريشه . ومني فائق الاحترام لسمو دولتكم .
في جمادى الأولى سنة 1340 هـــ 30 ديسمبر 1921 م

محمد فكيني

ملاحظة:
ربطا لائحة المطالب المقدمة لسيادتكم .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

1- وبعد لا يخفى أن هاذه الفتن الواقعة بالجبل هي أسبابها سليمان الباروني وحزبه من أولها الخ

2- ونحن مع حزب الحكومة الحر أردنا المحافظة على القانون الأساسي ، ولما فعل خليفة بن عسكر مع الماجور ، أمرت الحكومة بزجره على ما فعلوه حتى خربوا بلداننا وقتلوا أولادنا ونهبوا أموالنا ، بعاونهم حزب الكولونيل مازيتي ومن معه .

3- والخ الوقوعات حتى الآن افضت الأمور وأتضحت على أكاذيب سليمان الباروني وحزبه وخراب أوطانهم بأسباب ما فعلوه وما أضمروه لفساد القانون الأساسي وخراب أوطان الجبل وعموم القارة

4- وحيث كان الأمر كذلك ، فالجبال والقبلة ولواء فزان كلهم يدا واحدة ونفوذهم لقومنا وحزبنا الحر ، وقصدنا عمران هذا القطر . ولنا الأمل الوطيد بمساعدة الحكومة لأجل عمران البلاد وبث الراحة والأمن حتى تتسهل منافع الأهالي والحكومة بالخدمات الأرضية والمعادن والطرقات المفيدة للمنافع العمومية ، وذلك بطرد سليمان الباروني وخليفة بن عسكر وتبعيدهم والحكم عليهم بما فعلوه من الفساد أولا وآخرًا .

5- وأيضا على شرط مساعدة الحكومة لنا باعطانا الامتيازات التي كان يؤملها وقررها سليمان الباروني مع الحكومة أولا ، ثم إذا هي المقررات المطلوبة من حزب غريان المركزي وسمحت الولاية بإعطانا الأمر لترتيب منصب أمير مسلما فنحن ممنونين به ، أما أن يكن السيد إدريس أو بانتخاب عموم الولاية لغيره فهاذه مصلحة عمومية تصير بها راحة البلاد العمومية.

6- وإن لم تسمح الحكومة فنحن قطر الجبل بعد هاذه المكابدات ، لاشك أن الحكومة فهمت غيرتنا الوطنية ولاشك أنها يلزمها أن تعلم أن القبلة وفزان تحت نفوذنا ، فأملنا إعطانا امتيازات مخصوصة وهي ما قررتها لسليمان الباروني وسمحت له بها وما يكون صالحا لوطننا ومناسبا لديانتنا بصلاحية التامة ؛ ومساحة هاذه الأراضي وصلاحية أراضيها وسكانها أراضيها فهي زيادة عن نصف معمورة هاذه القطعة الطرابلسية .

7- بحيث تكون لنا وسعة عالية بعموم المأمورين : من متصرف إلى النهاية والعسكرية الأهلية بالترتيبات الحسنة الموافقة للقانون الأساسي .

- فهاذه الأبناد السبعة نطلب أن يفهمها حضرة الوالي ويساعد في إجرائها إذا يراه مناسبا وبعده لها فروع تصير المذاكره في بيانهم وفي ضمن البيان حرر هاذه .

1 جمادى الأولى سنة 1340

(الموافق 30 ديسمبر نة 1921م)

النص الأصلي للوثيقة رقم (4)



الى حضرة دولة والي الولاية الطرابلسية

بعد السؤال عن صحتكم [illegible] اما الامر المشترك فان المشتركين معي
[illegible] بجودة [illegible] ولزوم الجهاد على [illegible] الاصلاحات الواقعة في الجبل
وعند ان الوقت محاربة دولتكم واطلبنا منكم تعيد [illegible]
الباروني [illegible] وانظروا تاريخ [illegible] وبعضهم يغير
بث الروح [illegible] بالجبل [illegible] ما هو مطلوبنا باللائحة المتقدمة بواسطة [illegible]
[illegible] والسنيور [illegible] رئيس جانب [illegible] احتراما لسمو
دولتكم [illegible]

[illegible] ١٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

١ و[illegible] الاتحاده [illegible] الواقعه [illegible]

٤ [illegible] مع حزب الحكومه الحرار دنا المحافظه [illegible] بجعل [illegible]
[illegible] مع [illegible] الحكومه [illegible] اولادنا [illegible] فقتلوا ونهبوا اموالنا

٢ عبارتهم حزب [illegible] الحكومه و[illegible] اللوسنيلي [illegible]

٢ واخر الوقوعات حتى الان اجحفت الامور واتفقت على [illegible] سليمان الباروني وحزبه
وخرابا اوطانهم باسباب ما يجعلون [illegible] القانون الاساسي وخرابا اوطان
الجبل وعموم القبائل.

وحيث كان الامر كذلك فالجبل والقبائل [illegible] وحده ونفوذهم لقوتنا
٣ [illegible] وفقنا [illegible]
[illegible] مناجع الاهالي و[illegible]
الحذالات [illegible] وذات [illegible] سليمان الباروني
وخليفه بعسكر وتبعيدهم والحكم عليهم بما يعلمون من الفساد اولا واخرا

٥ والفا [illegible]
سليمان الباروني مع الحكومه [illegible]
المركزي وتحت الدوله باعطا [illegible]
[illegible] او رئيس امر باتخاب عمدم [illegible] وعلم عمدميه [illegible] البلاد
الحكوميه

٦ وان [illegible] الحكومه [illegible] لاشك ان الحكومه [illegible]
[illegible] الوطنيه ولا شك انها [illegible] ان القبائل و[illegible] نفوذ [illegible]
جاملنا اعطا امتيازات مخصوصه [illegible] سليمان الباروني [illegible]
هلاها الوطننا [illegible] لديانتنا الاصلاحية النافعه [illegible] هاذه الاراضي
وصلاحية [illegible] زياده [illegible] هاذه [illegible]

[illegible] من مناوئ الانزيابية العسكرية لا هلية بالترتيبات [illegible]

[illegible] القانون الا [illegible]

جهاد الا بناد السبعة وطلب ان يحرجها حفظ الوالي [illegible] اجرايات اوجد

[illegible] وبعد لها جروح [illegible] بيانهم [illegible] البيان [illegible]

[illegible] ١٣٢٦

*- ملحق : ب / 15 من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لآول مرة

الوثيقة رقم (5)

رسالة غراتسياني (الأولى) إلى الحاج محمد فكيني

GOVERNO
DELL TRIPOLTANIA

حضرة جناب محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

كيف ما علمتم أن كل من أتى ضد الحكومة تكسر بالقهر وتسبب إلى نفسه ضرار قوي جدا ولى بلده الخراب وهمّ الشديد حيث الناس ليس توجد مساكن من جيهة الحرق والخراب الذينا وقعوا وكذلك تعلم أن بلدان الشط تماما معمورين مثل العادة .

يكون معلومكم أن فكر الدولة هو لتسكين بالراحة مع جملة أهاليها إلى مصلحة الجميع وتصير ممنونة عن رجوع أبناءها إلى حياشهم وبلدانهم بناء على (غير مقروءة) قد كلفتني الدولة أن نرفع الجبالية إلى حياشهم حيث أنهم أولاد الحكومة هذا هو سبب قدومي إلى الجبل ليس لأجل الحرب ، إلا إلى تسكين الراحة العامة ، فانقول إن شاء الله تأخذ نصيحتي ومنكم لم يصير تعدي على الجبالية أو على عسكر الدولة ، وسبب يذا وقع شئ تسببوا قتل ناسكم وخرب بلدانكم ، على كل حال جنابكم تأخذ الحياطات لازمة ، ويذا مرادكم في طاعة الحكومة تقدموا لينا من غير(غير مقروءة) خوف وكان تحريره في زواره في / 27 مايو /1922

كولونيل قائد الجيش
غراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (5)



MINUTA

GOVERNO
DELLA TRIPOLITANIA

Tripoli, li 192

N.
Risposta a nota del
Allegati

ملحق (٩٥)

الكولونيل قائد الجيش
غراسياني

*- ملحق رقم (95) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة

*- يلاحظ في هذه الرسالة وغيرها من الرسائل الموجهة من غراسياني إلى الحاج محمد فكيني ضـــعفها الإنشـــائي وكثرة أخطائها اللغوية ،وبنائها اللغوي الذي يعتمد أساسا على اللهجة الدارجة فتكتب الكلمة كما تنطق بالعامية ممـــا تسبب في ركاكة جملها وصعوبة فهم المعنى المقصود أحيانا في النص .

الوثيقة رقم (6)

<u>رسالة غراتسياني الثانية إلى الحاج محمد فكيني</u>

محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

نخبركم عن مسك خليفة بن عسكر بموجب أمر من دولة الوالي وعزله من وظيفة قائمقام نالوت ، كافة عياله وأخيه عمر كلهم تحت حفظ الحكومة .

الحكومة قد أمرت بمسك خليفة بن عسكر لسبب الدين ما يريد إلا الحرب في الجبل والحال أن فكر الدولة هو لأجل توصيل الجبالية إلى حياشهم ليس بصورة حربية أو لأجل ضرر ناسكم وهذا مسك خليفة يصحح ليكم جميع ما شعرت ليكم ، ويذا كان لم حبيت تفهم تبين إلينا ليكونكم فكركم ضدنا ، وإن شاء الله ربنا سبحانه وتعالى ينور فكركم على الصلاح وطريق الطيبة أنا لم نجعل شيئا ضدكم أو ضد ناسكم يذا كان لم ريت منكم جنس تعدي على الجبالية أو على العسكر الذي معي ، ويذا كان نسمعا وجه بارود منكم نصير مجبور على براز سلاح المدهش وكافة الدماء التي يصيروا أنتم تكونوا السبب مع الله عزه وجل ومع عباده .

حرر بزواره في /29 ماجو / 1922

كولونيل قايد الجيش
قراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (6)



محمد بك فكيني رئيس الرجبان والزنتان

نخبركم عن صالح خليفة بن عسكر بموجب أمر من دولة الوالي وعزله من وظيفة

قايمقام نالوت كافة عياله واخيه عن كلهم تحت حفظ الحكومة

الحكومة فوامرت [illegible] خليفة بن عسكر لسبب الذين قايد الحرب بجبل و الخلا افكار

الدولة لهم لأجل توصيل الجبالية الى حياتهم ليس بصورة حربية او تأجيل [illegible] رئاسة

ولهذا [illegible] خليفة يصلح ليكم [illegible] لكم و يذا كان لم [illegible] تفرهم [illegible]

[illegible] فكركم [illegible] الله [illegible] وتعالى [illegible] ذكركم على [illegible]

[illegible] لم [illegible] بذكاء لم [illegible] منكم جنس تعدي

على الجبالية او على العسكرية لدي [illegible] و يذكان [illegible] وجه بارود منكم [illegible]

على [illegible] سلاح [illegible] و كافة الدعاء لدي [illegible] انتم تكونوا عنه [illegible]

الله عزه و جيله و [illegible] عباده [illegible] في ٢٩ مايو ١٩٢٢

كولونيل قايد الجيش

فرانسيان

*- ملحق رقم (95) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

الوثيقة رقم (7)

(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني)

إلى جناب الكونيلي غراسياني

أمس ورد لنا جوابكم على قطعتين وما به فهمناه وخلاصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية ...الخ ... تعلم أن الجبالية أولا هم أعداء دولتكم ثم بخيانة مازيتي والباروني جعلهم حزب مازيتي أولاد الدولة ، تعجبنا من هذه المعاملات مع أننا ما عملنا مع دولتكم إلا الطيّبة . ثم عند محارباتنا مع الجبالية ومدهم حزب دولتكم بالسلاح والأموال والجبخانة كل ذلك أغمضنا عنه النظر واتفقنا عموم الزنتان والرجبان وحزبنا على عدم التعدي على مواقع الحكومة . ووقع هذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة ، وبتعصب الجبالية ومن على فكرهم ازداد الحرب وتأخرت أهالي الجبل مدّة لعلّ وعسى تصير الهدنة حتى بديتم الآن بإخراج قوتكم لتسكين الجبالية بالجبر ، فعندنا بن عسكر أهون من فساطو وخربيشه لأنهم هو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وآخرا إذا نظرتم التواريخ . وأمس نحن أخذنا كتابكم حتى تقدم قسم من جيشكم للحرب ، فبات رأي عمومنا على أنه لا نقبلوا الجبالية يرقو علينا بالقهر فإذا تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ونجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العربان على أن يكون السلم والحرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذاكرات التي بها حقن الدماء وعمارت بلدان الولاية الخاربة الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ، وأما إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبرا علينا فلا شك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رمق فإذا نصرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحره ، وبعونه تعالى لايقدر الجبالية يسكنوا بلدهم جبرا علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنا الحرّ عموما ، وإذا رجعتم الآن وعملتم الهدنة بعد المذاكرات يصلح الله كل فساد ، وإننا الآن ما باشرناكم بالحرب حتى نروا فكركم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد منتظرين رد الجواب اليوم ختاما / 8 شوال سنة **1340**.

محمد بن محمد — عبد الواحد — أحمد بن ضو — أبوبكر بن عبدالقادر — محمد فكيني
علي أبوستة — محمد بن أحمد — عبدالله التوشي — عمر البكوش
محمد بن عمر الغنيم — ابراهيم الفرج — محمد الواعر — العلوي الشنطة
عبدالرحمن جلال — عبدالله بن حمد — عمر .....

النص الأصلي للوثيقة رقم (7)





(هذه نسخة الرسالة الأصلية للرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، ويتضح وجود اختلاف كبير في صياغتها ومعانيهاعن تلك المنشورة في كتاب غراسياني) ، أنظر التحليل الخاص بها في موضعها .

*- ملحق رقم (96) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (8)

<u>رسالة غراتسياني الثالثة إلى الحاج محمد فكيني</u>

من سواني الكردي
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهاده الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون معترفين بالإستعاد الذي يجعله ، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون وقت الذي نستعدو على الجواب المذكور .

وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن أن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشبة بعدين الطيار يخرب بيوتهم .

وأمس مشو السبايس إلى بير ال أوكيم لأجل شراب الخيل ، وأفرادكم هم الذين زاحموهم الاولين وكذلك بعض من أفراد خربيش لأجل شرب المى فهجموا عليهم وأسرتوهم عندكم وهم لا لهم نية في الحرب معد لأجل شراب المى وأفرادكم هجموا عليهم .

ولا تظنو فيفكرك لكونك غلبت في الحرب على محلتنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك مع (غير مقروءة) لم سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابهم انتم وبنأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عايلتكم .

وهذه المعاملة لازم عليك أن تحكيها لقلبك وفكرك يخمم عليها . طيب أنا قد أمرت أمس الطيار أن يرمي البومب على الجوش وإلى تاريخ اليوم يرمي معد على القصر وأركانه وهذا ما عندنا عرفنا به ، ومنتظرون حتى يأتيني أمر من طرف القورناتوري وأنت المخير لتجعل كيف ما تريد . ومع بلوغ سلامنا لكم وملاقاتنا الذي صارت بيننا توريكم محبتنا ، ولا لي عداوة إلا لمصلحة الدولة والاهالي كامل القطر الطرابلسي . وهذا الجواب يأتيك مع الطيار .

امضا
القورونيللو قايد الحملة
قراسياني
4 يونيو /1922

النص الأصلي للوثيقة رقم (8)

(97)

مد سواني كبر دي

الى الحاج محمد فكيني

قد اتانا جوابكم في هاده الليلة وبلغناه الطرف القورناتوري باش نلونو معترفينه
بالاستعداد الذي تجعله وسانبلغوا الطرفكم المضوية وقنا الذي نستعد وعلى الجواب المذكور.
وقد نبهت بواسطة جوابي الى مدير الصحافة لا يمكنه تصير منشير مناشبة معه عساكر الدول
اذا اتوا الى الجوش واذا تصير منشير مناشبة بعيد به الطيار يجرب بيوتهم.
واحس مشو السباسي الى بني الى اوكيس لاجل شراب الخيل وافرادكم هم الذي زاحموهم
الاولية وكذالك بعض من افراد خربيش لاجل شراب الذي هجموا عليهم واسرتوهم عندكم
وهم لا لهم نية فالحرب معه لاجل شراب الشي وافرادكم هجموا عليهم.
ولا تظنو افتكرك كلونك خليت فالحرب على محلاتنا وسفك الدمس مع دم ابنه اخيك
مع الغدر سمعنا وفات ابن اخيك واسبابه بهم انتم وبناسف قد نظرنا الله يداوم
على جاز انتم مع عايلتكم.
وهذا النعمانه [illegible]
امس الطيار الي يرمي البومب على الجوش والى تاريخ اليوم يرمي [illegible] على الكلس [illegible]
وهذا ما عندنا عرفناه ونتظرنه حتى يأتيني امر من طرف القورناتوري [illegible] المنير
لنجعل كيف ما نريد، ومع بلوغ سلامنا عليكم وعلاقاتنا [illegible] بيننا
نوريكم محبتنا والى عدوه الا مصلحت الدولة والاهالي كامل قطر طرابلس وهذا الجواب
يأتيك مع الطيار

امضا

القورونيللو تمايدالحاه

قراسياني

٤ جونيو

*- ملحق رقم (97) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة .

الوثيقة رقم (9)

(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني (الثاني) على رسالة غراتسياني)

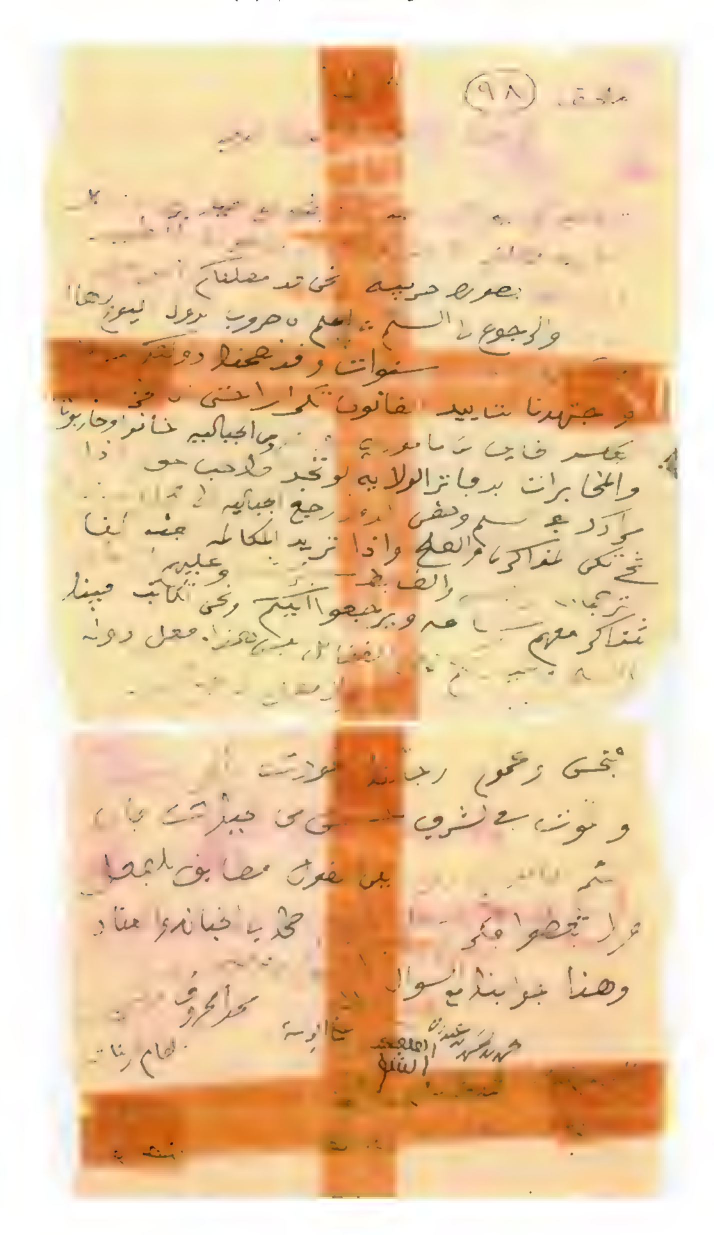
إلى جناب الكونيلي قايد جيش الوطية

ورد جوابكم اليوم مضمون جوابنا وبعثوه مع الطيار يرمي القنابل النارية وطلبتم مقابلتنا ولاعطيتم رد جوابنا بالطيبة بل رديتو بصورة حربية ونحن قد مطلناكم لأجل حقن الدماء والرجوع إلى السلم .

اعلم أن حروب الدول اليوم الأهالي فيها فوق العشر سنوات وقد نصحنا دولتكم مرارا واجتهدنا لتأييد القانون تكرارا حتى أن الحزب الخاين من مأموري دولتكم ومن الجبالية خانوا وحاربونا ، والمخابرات في دفاتر الولاية لو تجد صاحب حق . إذا كان مرادك في السلم وحقن الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكالمة ابعث لنا الترجمان رابس والضابط سبريشه وعليهم الأمان نتذاكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكاتب فينا في السلم وطياراتكم ترمي القنابل ، ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في شرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل ، ولا تعطوا فكركم للجبالية أصحاب الخيانة والعناد وهذا جوابنا مع السؤال .11 شوال 1340

العلوي الشنطة	علي أبوستة	محمد المحروق	محمد فكيني
محمد بن محمد عبدالله	خليفة بن حمد	أحمد بن عطية	بلقاسم قرينات

النص الأصلي للوثيقة رقم (9)



*- ملحق رقم(98) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (10)

رسالة غراتسياني (الرابعة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى محمد بيك افكيني ريس الزنتان والرجبان

إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرايب ، حيث أن جنابكم متماد في الضدية وكنت قررت كثيرا إلى الحكومة شفاها وبواسطة الغير بأنكم تحبون رجوع أهل الجبل لأوطانهم إلا أنكم متكدرين من إنسان قد ساعدت القدرة الإلهية عن تبعيده من غير إرادتكم ولا إرادت الحكومة والعساكر الذين بأيديهم السلطة على كافة البلدان قادرون على التوجه بدون معارض وذلك من الواجب عليهم ولمصلحة الجميع وحتى لو أن السباييس صارت لهم مقابلة من طرف جيوشكم الحكومة أرادت أن تعطيكم الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب . والعاجز أقول إن شاء الله تأتيني لأجل المذاكرة على ما يخص العرب والجبالية خصوصا لجهت فساطو التي سكانها من العرب والجبالية جميعا ، ومقصدي الاجتماع معكم على هذا الخصوص حيث جنابكم رئيس الزنتان والرجبان والحكومة ليس مقصدها إدخال مسئلة أناسكم مع المسائل التي تخص رؤساء الدواخل الذين مسائلهم تريد فصلهم بوجه آخر . وفي تعديكم إني أعطيكم الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب قبل أن تتسببوا في خراب أوطانكم وقتل أناسكم وإذا وقع تعدي فأنتم المسؤولون مع الإسلام والأهالي في جميع ما يصدر، وافتكر جيدا ولا تعمل مثل رؤساء الدواخل الذين مرادهم ضركم من غير ما يكونوا مسئولين ويسعو في قلت الراحة . وفي هذا لم عندي ما أعرضه عليكم ، وأقول إن شاء الله نأخذ الطريق الصالحة للجميع . ولذلك حرر في / 7 جونيو 1922/

الإمضا

الكولنيل: قراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (10)

*- النسختين العربية والإيطالية لنص رسالة غراسياني.

*- ملحق رقم (99) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة .

الوثيقة رقم (11)

<u>رسالة غراتسياني (الخامسة) إلى الحاج محمد فكيني</u>

إلى محمد بيك افكيني رئيس الزنتان والرجبان

بعد بلوغ جوابي المرسول إليكم بالأمس بواسطت الطيارات ، أفكركم على المظبطة المؤرخة في 31 ديسمبر /1921 وجوابكم المرسولين إلى الحكومة .

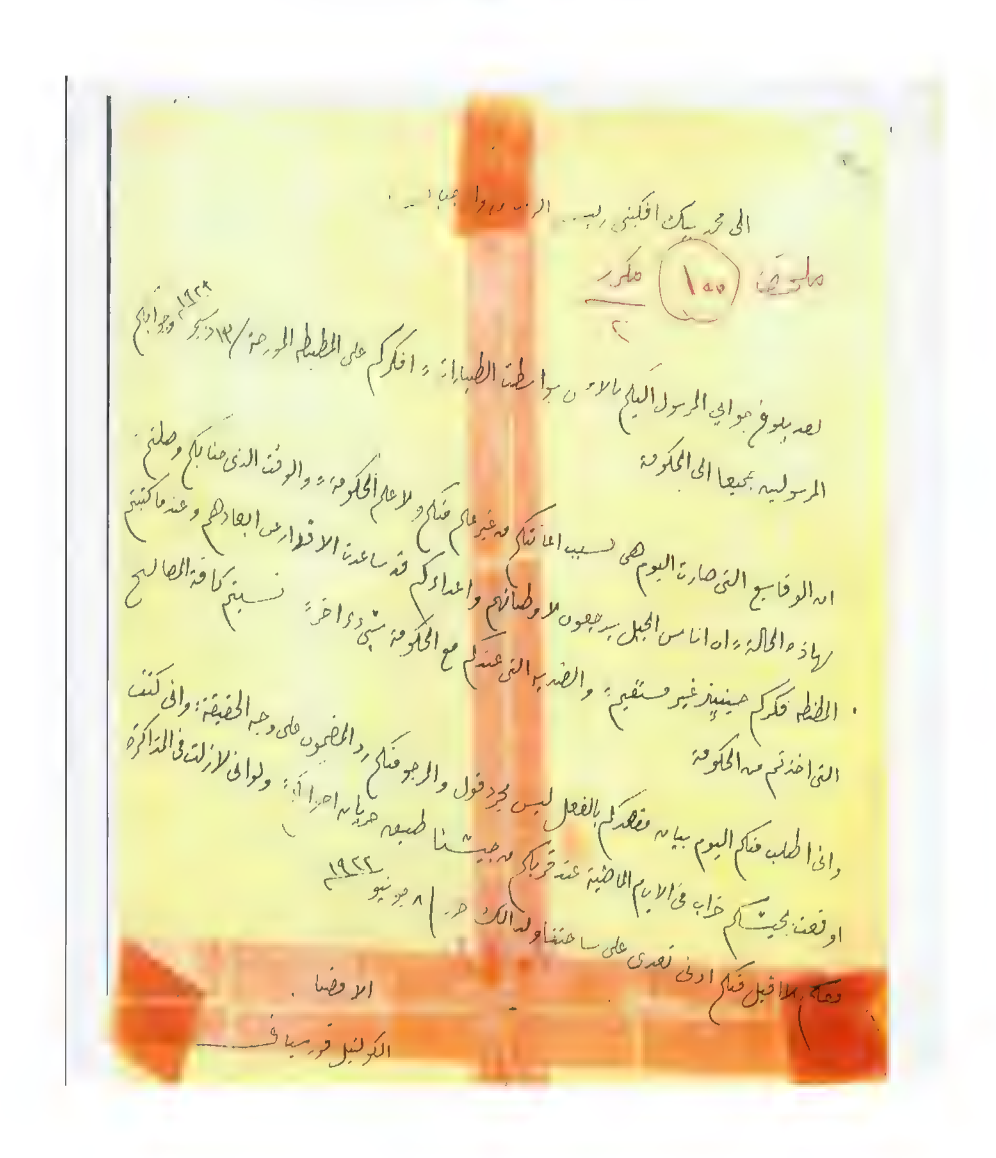
إن الوقايع التي صارت اليوم هي لسبب إعانتكم من غير علم منكم ولا علم الحكومة والوقت الذي جنابكم وصلتم لهاذه الحالة ، إن أناس الجبل يرجعون لأوطانهم وأعداءكم قد ساعدت الأقدار عن إبعادهم ، وعندما كتبتم المظبطة فكركم حينئذ غير مستقيم ، والضدية التي عندكم مع الحكومة شيء آخر ، نسيتم كافة المصالح التي أخذتم من الحكومة .

وإني أطلب منكم اليوم بيان مقصدكم بالفعل وليس مجرد قول ، والمرجو منكم رد المضمون على وجه الحقيقة ، وإني كنت أوقعت بجيشكم خرابا في الأيام الماضية عند قربكم من جيشنا طبق جريان أحوالكم ، ولو إني لا زلت في المذاكرة معكم لا أقبل منكم أدنى تعدٍ على ساحتنا ولذلك حرر في / 8 يونيو سنة 1922 .

الكولونيل : غراسياني

.

النص الأصلي للوثيقة رقم (11)



الى محمد بيك الفكيني رئيس

ملحق (١٠٠) مكرر

المسؤلية جميعا الى الحكومة

*- ملحق رقم (100) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (12)

رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالة غراسياني

إلى جناب الكونينلي غرسياني

ورد جوابك المؤرخ في / 8 جونيو سنة 1922 وأشرتم فيه لتعريفنا للحكومة بالمضبطة المؤرخة في / 31 ديسمبر وجوابنا أقول لكم إن تعريفنا صحيح وأعطى عليه دولة الوالي أمرا من غير إجراء ، وذلك التعريف هو بواسطة التينينتي سبريشه والأعضا الشيخ أحمد بك الفساطوي إذا تجروه يستحق لمذاكرة واجتماع وهدنة ليس هكذا بصورة حربية . وأما رجوع اجبالية بهاذه الحالة ومن غير مذاكرات وعهود بيننا وبين الدولة واجبالية تعرفو لا يمكن لأنه سابقا الحكومة لزمت الحياد وخلّت بيننا وبينهم حتى خرّبوا بلداننا وسلبوا أموالنا وقتلوا أولادنا فكيف الآن تأتون بهم بصورة جبرية قبل الصلح وإعطاء المواد التي تلزمنا ...

فاللازم رجوعكم بهم للوطيّة ، ونقرر للهدنة وقتا ومحلا للمذاكرة ، وأنتم تمسكو مكانكم ونحن جيوشنا بأراضيها حتى تتم المذاكرات التي بها تنتج المصلحة العامة *

وإذا جعلتم هدنة عمومية في المذاكرات العمومية من ترهونة إلى الشرق إلى غريان إلى الجبل هذا لحال العموم وللحوض وأهالي الجبل نراه لصلاح عموم الولاية ولصالح الدولة قاطعا لهاذه الحروب . وحسب تعريفي إليكم أول البارحة إذا يقدم لنا ترجمان الولاية بالأمان نتذاكر معه ويرجع إليكم ، وإذا لم تريد فترجمانكم ، وإذا تبغ معك بالذات ياتوا معك سبايس طليان وعرب ونجتمع بمحل بعدما نقرره مع ترجمانكم هذا إذا لم يأتي ترجمان الولاية . والخلاصة نحب السلم إذا افتكينا من ظلم الجبالية وعنادكم ومساعدتكم لهم وفي الختام حرر في/ 13 شوال سنة 1340 .

محمد بن محمد بن عبدالله أبوالقاسم بن عبدالله أبوبكر بن عبدالقادر
عمر البكوش محمد المحروق محمد فكيني العلوي الشنطة خليفة بن عمار
علي أبوستة أحمد بن ضو محمد وازينة

* ويحضرها أعياننا الذين بعثنا لهم وهم : علي بك الشنطة وأحمد بك الصيد والشيخ السيد أحمد السني والشيخ السيد أحمد البدوي ، وبرأي واتفاق الجملة تتم المصلحة ...

النص الأصلي للوثيقة رقم (12)



*- ملحق رقم(101) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (13)

رسالة غراتسياني (السادسة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى الحاج محمد فكيني

كيف تتجاهل في الأسباب التي صارت لك سبب في رمي القنابل الطيارة ؟ لم أنذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه نكرر لك الأسباب :

أولا – هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أنذرتك سابقا بجواب طويل وطالب فيه الأفكار السلمية .

ثانيا – لكوني أنذرت مدير الصيعان أنه إذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي سأصير مجبورا برمي القنابل الطيارة على محلاتكم وكذلك صار الأمر وهو بأمرك .

ثالثا– لكون مسلحيك تقربوا بقرب مواقعي وقصدهم المناوشات والتعدي .

أعلم أني رجل ذو كلمة وباقي في كلامي ووعدي في الأفكار الطيبة وغيرها ، إنما أنت قلت أنك بكونك لم أخذت الجواب الذي عزيتك فيه في ابن أخيك ولاكن أنا أمين بكونه وصلك سالما لكونه الطيار رمى هولك طيب وبينت لك فيه أسباب رمي القنابل الطياره وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذالك . إذا كان قصدك في إرسال بعض الأجوبة أرسلهم إلى المحل الذي رميت فيه الجواب السابق .

المسلحين عندهم الأمر القطعي بعدم تجاوزهم وخروجهم إن القرار كان لمنع المناوشات السيار الذي جاب الجواب لم عندك حجة في طلبه لكونه خاطيك وليس من رجالك ، وهذا الذي يرجعه من جوابك خاطبتك به والباقي يرجع لغيري والسلام .

القولونيل قوماندان الجيش
قراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (13)



هو

الحاج محمد فكيني

كيف تتجاهل الأسباب التي صارت لك سببًا في رمي القنابل الطيارة؟ لم أنذرتك سابقًا أنت
مع مدير الصحيفة [illegible] الأسباب:
أولاً – هجوم صحيفتك على السياسة [illegible] حيث أنذرتك سابقًا جواب طويل وطالب
الأفكار السلمية.
ثانيًا – لكون أنذرت مدير الصحيفة فإذا [illegible] التعدي والتجاوز على بعض المسيحيين الذين هم
بحيث [illegible] رمي القنابل الطيارة في محلاتهم. وكذلك صار الأمر [illegible]
ثالثًا – لكونه صحيفتك [illegible] المنافسات والتعدي.
[illegible]

الكولونيل [illegible]

9 جونيو 1922

ملاحظة–

يفهم من سياق النص ومن ترتيب الرسائل المتبادلة أن تاريخ هذه الرسالة هو على الأرجح في 9 / جونيو سنة 1922 .

*– ملحق رقم (102) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (14)

رسالة غراسياني (السابعة) إلى الحاج محمد فكيني

رئيس محلة الزنتان والرجبان المحترم الحاج محمد افكيني بك

بعد السلام :
أخذت جميع جواباتك ، ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى القطرسي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات ، وعليه نرجع لكم مضمونات الجوابات بواسطت الشخص هذه ، الجواب السابق لم رجعته لكم لكونه من الباندة . أعلمك أنني أنا قوماندان العساكر الطليانية ليس كما خاطبتني سابقا قوماندان جيش الجبالية . نكرر لك على مقاصد الحكومة واجتهادها على الصلح والراحة العمومية ، وبينت لك في جوابي السابق أسباب رمي القنابل الطيارة وما أدراك ونعده زائد التعاد بناء عليه لا شك عن تجاوزك وتعديك مرة أخرى على عسكري نصير مجبور برد الجواب بجميع استعمال الوسائط الحربية ولا تنس جواباتي القادمة إليك في خصوص السلم والصلح ، مسلحينك صار منهم الهجوم على سبايس في الوخيم . أتجهل حاكميت الحكومة على ولايت طرابلس غرب ؟ فإن هي الحاكمة على الولاية عسكرها لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها ، هذه نعلمك به لأجل المستقبل وعليه اجعل التخميم في أمان جيهت الجبالية لازم يعيشوا في بلدانهم بالصلح والراحة ولا يعملوا شيئا يخل الراحة . فهذه قصد الحكومة فإن أنت تعارض ما قررته الحكومة وقصدك ردان الجبالية لاشك بكونك معارض الحكومة . كذلك الحكومة لم تعمل شرائط مع من هو دون منها وراجع لها تعطيه عبارة الأوامر اللازمة والسلام .لازم تخمم بكون ساق السياسة تبدل ليس كما كنت تعرف . الحكومة لا تنسى لزوم إجراء الصلح بين الجبالية والعرب لكي يعيشوا بالهدوء والراحة فوق جبل نفوسه . فعليه إن كان قصدك في إجراء الصلح ولك فيه رغبة أنت يلزم تقدم إلى محلي لكوني أنا ممثل الحكومة بناء عليه حين تحركي بعسكري لأي محل كان ويصير التجاوز من مسلحينك على عسكري تكون أنت المسؤول بنفسك وأنت طالبه . فعليه يا حضرة فكيني بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعوقة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصيا فعليه لا نجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن في مصالح الحكومة . ولاكن ، إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ، ونسمع بيك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى الحكومة تسمع كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسألة بصورة حربية وجبرية ، وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير لكونه جميع العربان والجبالية أولاد حكومة وحدة .بناء عليه إن شاء الله ، نراك وين ما تبي وأمن قصدك في أي محل كان لنجرو على الصلح العام لكوني عندي الصلاحية التامة في جميع الأمور وعليه لا فيه لزوم لا إلى الترجمان رابس ولا لى التينتني اسبريشه ، ونعطيك كلمة شرف والأمان التام مني إذا أتيت إلى طرفي لأجل المذاكرة . نختم كلامي بالسلام ، ونتمنى إن شاء الله ملاقاتنا تصير سبب في محبتنا ومنفعت الأهالي ومصلحة الحكومة ، والسلام

10 يونيو / 1922

القولونيللو قوماندان الجيش
غراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (14)



*- وثيقة رقم (103) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (15)

رد الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني السابقتين

إلى جناب الكونينلي غرسياني قايد الجيش

بعد السؤال

ورد جوابك الذي به الأبناد*، ثم جوابك المؤرخ في 10 جنايو سنة 1922 ضمن جوابي قـولكم التعدي على سبايسك ، تعلم هم الذين هجموا ، وأصل الأمور ومحبـتكم وتعصـبكم الآن مـع الجبالية نحكيها لكم : أول ما عاندوا الجبالية دولة إيطاليا لأجل استقلالهم واحتمـائهم بدولـة ثانية أجنبية . ونحن العربان ما رضينا ذلك حتى وقعت بيننا وبينهم حروب معلومـة التـواريخ عندكم ثم النهاية بعد الصلح الأخير وصدور القانون الأساسي نحن صرنا نحافظوا في إجرائـه والباروني وبن عسكر أرادوا الفساد وهجموا على ماجور نالوت وأخذوا مـا عنـده ، وأمـرت الحكومة بمحاربتهم معلومة التواريخ في الولاية وعند الماجور ولينو وقبطانـه ، وقـد وقـع الحرب فعلا حتى مات فيه ابننا الحر الغيور حسن بك الذي كلفته حاكمية الولاية بالتوجه للجبل والحرب ومعلوم هذا عند الوالي الأسبق منجنجر ووكيله ، ثم بإعانة أحد أحزاب إيطاليا مـدوا الجبالية بالسلاح والجبخانة والأموال لأعدائنا وأعدائهم أي أعداء الدولة الباروني وابن عسـكر حتى خرّبوا بلداننا ، ثم تبرّمت سياسة الوالي مركاتيلي فعلا مع الجبالية ، ثـم بعـد شـكاياتنا المتعددة لزمت الحياد وخلّت الفتنة بين القبائل حتى نصرنا الله وقومنا علـى الجباليـة وجلـت قبائلهم كما جلونا . ولما أتى الوالي الحالي دولة الكونت ولبي صارت المخابرة بيننا وطلبنـا منه ما يلزم لراحتنا وراحة أوطاننا ، وقد رأينا بعد مذاكرات مع أعيان الولاية الشرقية أن الوفد الذي توجه إلى رومه مطالبه معقولة وليس فيها ضرر على الحكومة إنما فائـدتها هـي تؤيـد منافع الدولة وراحة الأهالي حتى وقع الحرب والعناد ... وحيث نحن جيهة الجبال مـن ككلـه غربا قد تأخرنا عن الدخول في الحرب قلنا لعل الهدنة تتجدد لصالح الولاية حتى بديتم بـإخراج الباندات على بير الغنم ، ومن هنا قصدكم إخراج الجبالية بصورة حربية قهرية . فـأي فائـدة تنتج للحكومة من هذا ؟ فإن هو القصد محو عموم العربان فلا يبقى إلا الجباليـة مـع دولـة إيطاليا . على كل حال ، العربان نسلهم حر وأصلهم شريف إسلامي ، نحارب عن ديننا ومسقط رؤوسنا إلى النهالية ثم نلتجوا لإحد الدول المجاورة وإلا فإن المولى يجعل لنا مخلص الخلاص . العاجز لست دولة ولا أعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية ، بل فكري تقـديم المصـالح الدولية والوطنية ، فخروجكم بالجبالية باندات بهاذه الحالة ليس فيه صلاح ورجوعكم بهم هـو المناسب ثم تصير المذاكرة الصلحية بيننا وبينهم بواسطة الحكومة حسب مكاتيبنا إليهـا ، وإن جعلت هدنة عمومية يكن بها صلاح عموم الولاية يكن أصوب لمصالح الدولة وعمران القارة . حسبماعموم رجال أوطان الجبل جعلوا لك مضبطة مختصرة في فكرهم ستأتيكم بعد هذا ، وأنـا واحد منهم و نحب السلم والراحـة ، ولا تخـوفني بالطيـارة والمسـئولية ، العمـر معـدود والمسئولية لو فيه حق ورجال إيطاليا الأحرار يطالعوا أوراق الولاية المحفوظة من أول الحرب إلى نهاية جلساتنا في عضوية مجلس الولاية لا شك يعلموا أن الحزب المعاند مع الجبالية هـو الذي يبذر في الفساد . وأملنا منك أن تكون حرا مثلهم وترجع الجبالية بسلم دون حرب وعلـى يديك تكون العافية ، والسـلام . حـرر فـي / 15 شـوال سـنة 1340 محمـد فكينـي

---

*- الأبناد : يقصد الحاج محمد فكيني المطالب السبعة المذكورة في الوثيقة السابقة رقم (4)

النص الأصلي للوثيقة رقم (15)

ملاحظة :- هذه الرسالة الوحيدة بين جميع الرسائل بتوقيع الحاج محمد فكيني وحده فقط والموجهة إلى غراسياني

*- ملحق رقم (104) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (16)

رسالة المجاهد / عبدالرحمن عزام إلى الحاج محمد فكيني

سعادة المجاهد الغيور الحاج محمد بك فكيني

تحية وسلاما ، وبعد فقد طرق آذان المسلمين خبران كادا أن يتنازعا أطراف الحس خبر هزيمتك للأعداء ، وخبر فقدانك الحسين ؛ فأما بالنسبة لآخرتك فجزاء مضاعفا بما ضمنه من الإحسان في رفع الكفر عن الأوطان ، وشهادة الولد في ميدان الجهاد أكبر ما يجد الوالد يوم لقاء الرحمن ... ولدنياك التي هجرتها شغف بك فما طردها أحد إلا وتبعته ، وإن ما حزته من الثناء والفخر هو أعز مكسوبات هذه الفانية .

نعم .. إن نفوسنا لتخور تحت آلام الفراق والمحبة ، ولكن إذا ذكرنا من سبق ونظرنا فيمن لحق لوجدنا العاقبة سواء ؛ فلتكن في سبيل الله حيث ضمنت الجنة وحق الجزاء .

إن الولد فلذة الكبد ونور المهج ، ولكنه لايولد بحق ولا يموت على حق إلا إذا ولد كما ولدت وضمن النعيم الأبدي كما ضمنت . وقد وعد الله بركات مضاعفة لأصحاب مصابك فارتقب هذه الخيرات فإنه لن يخلف وعده ، والبركة حيث وضعت ، لاهي بالكثرة ولا هي بالإختيار .

جزاكم الله عن الإسلام خيرا وبارك فيكم ولا يسمعنا عنكم مكروها ولا أوصيك بالصبر فإني أعلم أنك بتوفيقه يتولاك بعنايته ويعينك على نصرة دينه .

ودمتم محفوظين / 18 شوال سنة 1340 عبد الرحمن عزام

- ملحق : مع هذا خطاب من سيدي عبدالعزيز العيساوي وهو متشوق جدا لزيارتكم فلا بأس إذا وجهتم له بعض الأعيان لدعوته ومرافقته . وأحوال السنوسية وأهل الشرق حسنة جدا والله يتمم بالخير : عزام

*- عبدالرحمن عزام : من المجاهدين المصريين الذين شاركوا الليبيين الجهاد ضد الإيطاليين
- التحق بالمجاهد أحمد الشريف نهاية عام 1915 ، ثم انتقل إلى طرابلس عام 1916.
- سافر إلى الآستانة عام 1917 ثم عاد إلى مصراته عام 1918
- شارك في تأسيس الجمهورية الطرابلسية ، وساهم في مفاوضات صلح بن يادم عام 1919
- كان له دور في عقد مؤتمر غريان ، وعين مستشارا لهيئة الإصلاح المركزي .
- عاد إلى مصر عام 1922
- أنتخب عضوا في مجلس النواب المصري عام 1924، كما تقلد مناصب دبلوماسية خلال الفترة ما بين 1936-1939 في العراق - إيران- الحجاز- أفغانستان-تركيا.
- تولى وزارة الأوقاف عام 1939 ، ثم وزارة الشئون الاجتماعية عام 1940.
- عندما أنشئت جامعة الدول العربية عام 1945 ، أنتخب أمين عام لها ، قام بدور هام في مفاوضات استقلال ليبيا خلال فترة الأربعينيات .

المصدر: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، الشيخ الطاهر الزاوي

النص الأصلي للوثيقة رقم (16)



*- ملحق رقم ( ) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (17)

رسالة يوسف خربيشه إلى أهالي قبيلة الرجبان
يدعوهم إلى العودة بعد انسحابهم إلى القبلة
وسيطرة الإيطاليين على الجبل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
فساطو في 1 محرم 1341

حضرات المحترمين الشيخ عبد الرحمن قرينات وأعيان أولاد عطية وأعيان أولاد جابر وأعيان البراهمة وأعيان أولاد عبد الجليل وأعيان أولاد مسعود وأعيان أولاد عبيد وأعيان اشـفي ومشايخ السبعة ومن معهم عموما ، حفظهم الله آمين .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عندما وصلنا فساطو أرسلنا لكم جوابات أديت بها واجب الأخوة الإسلامية وحق الجيرة ولم يأتني منكم المضمون ولا أدري ألم تصلكم أم هناك سبب آخر ، ولكي لا أكون فيما بعد مقصرا في الواجب الديني والوطني عاودت الكتابة إليكم وأرسلت هذا لتتأكدوا من صفاء نياتنا وعدم التفاتنا إلى الماضي . وأقسم لكم بالله وبشرفي أنني لا قصد لي غير السعي في الراحة العمومية وإطفاء الفتن التي أضرت بالبلاد والعباد ، ويكفيكم دليلا إرسالي إلى الحاج محمد بك فكيني وعموم الرجبان والزنتان بحقيقة نواياي، وطلبت منهم الرجوع إلى بلادهم والكف عن زيادة إشعال الفتنة التي لا نتيجة من ورائها غير الخراب وضياع الأموال وقتل النفوس البريئة بلا ذنب أو مقصد عندها بل تساق إلى مذبحة الأغراض الشخصية كما تساق الأغنام إلى المجزرة فتراها تسير إلى هلاكها وهي غير عالمة إلى أي طريق يسوقونها ولا حول ولا قوة إلا بالله والله يهدي من يشاء .

ولا يخفى عليكم الآن أن الحكومة لا يمكن مقاومتها من الأهالي الذين لو قتل منهم رجل لا يعوضونه وإن صرخوا فوشيكه لا يجدون غيرها ، فكيف نستطيع أن نقاوم حكومة لو قتل لها ألف تأتي بألوف ، وأما السلاح والجبخانة بأنواعها فلا تحتاج إلى بيان مقدرتها على الإتيان بالملايين بلا انقطاع ، وهذا أمر لا ينكره إلا من لا عقل له فعلى هذا لا نتيجة من وراء هذه الفتن العمياء ، وما الساعي في إشعالها إلا كمن يسعى لهلاك نفسه . وإني لا أشك بأنكم من ذوي العقول الذين هم يدركون العواقب ويقنعون بهذه الحقائق ، إنما ربما يمنعكم من الرجوع إلى وطنكم ما يشيعه عنا أصحاب الفساد المغرضين من الأكاذيب وما يزعمون بأننا فعلنا وفعلنا وما جئنا إلا للانتقام ، وهو أمر لا يخطر لنا ببال ، وعزة ربي وجلاله ، فما جئنا إلا مع الحكومة لعمارة الأوطان وليعيشوا عموم إخواننا في الدين والوطن معنا في راحة وهناء . وحيث أن الدين النصيحة فنصيحتي لكم أن تعودوا إلى أوطانكم اليوم خير من رجوعكم إليه في الغد (لأنكم سترجعون يوما) ، فعمارة بلادكم الآن هي عايدة إلى منفعتكم في المستقبل . ولكم مني وعد صدق ، وأقسم لكم بربي وبذمتي وشرفي أنكم تكونوا مآمونين على أموالكم وأنفسكم وتكونوا معنا أخوة صادقين ناسين ما مضى وما صار بقضاء الله وقدره . وكذلك الحكومة تعفو عن الماضي لكل من يأتيها اليوم طائعا ولا تنظر إلا إلى المستقبل لأن مقصدها الأهم إطفاء

نار الفتنة التي شعلتها أيدي المفسدين ولتنشر ألوية الأمن والسلام في كافة الولاية . فإذا وعيتم قولي هذا وعملتم بنصيحتي وعولتم على الرجوع إلى عمارة بلادكم عرفوني لأجعل لكم الترتيبات التي تكفل لكم راحتكم بحيث تعيشون تحت ظل الحكومة وعدالتها في أرغد عيش وأهنأ راحة ، أما إذا جعلتم في نفوسكم ميدانا لخرافات المفسدين أصحاب الأغراض والمقاصد فالذنب واقع عليكم وستندمون في الدنيا حيث لا ينفع الندم وتسألون يوم القيامة أمام الله عن الدماء التي تسيل ظلما في سبيل الأغراض الذاتية . وها أنا قد أديت الواجب عليّ لكل مسلم والسلام .

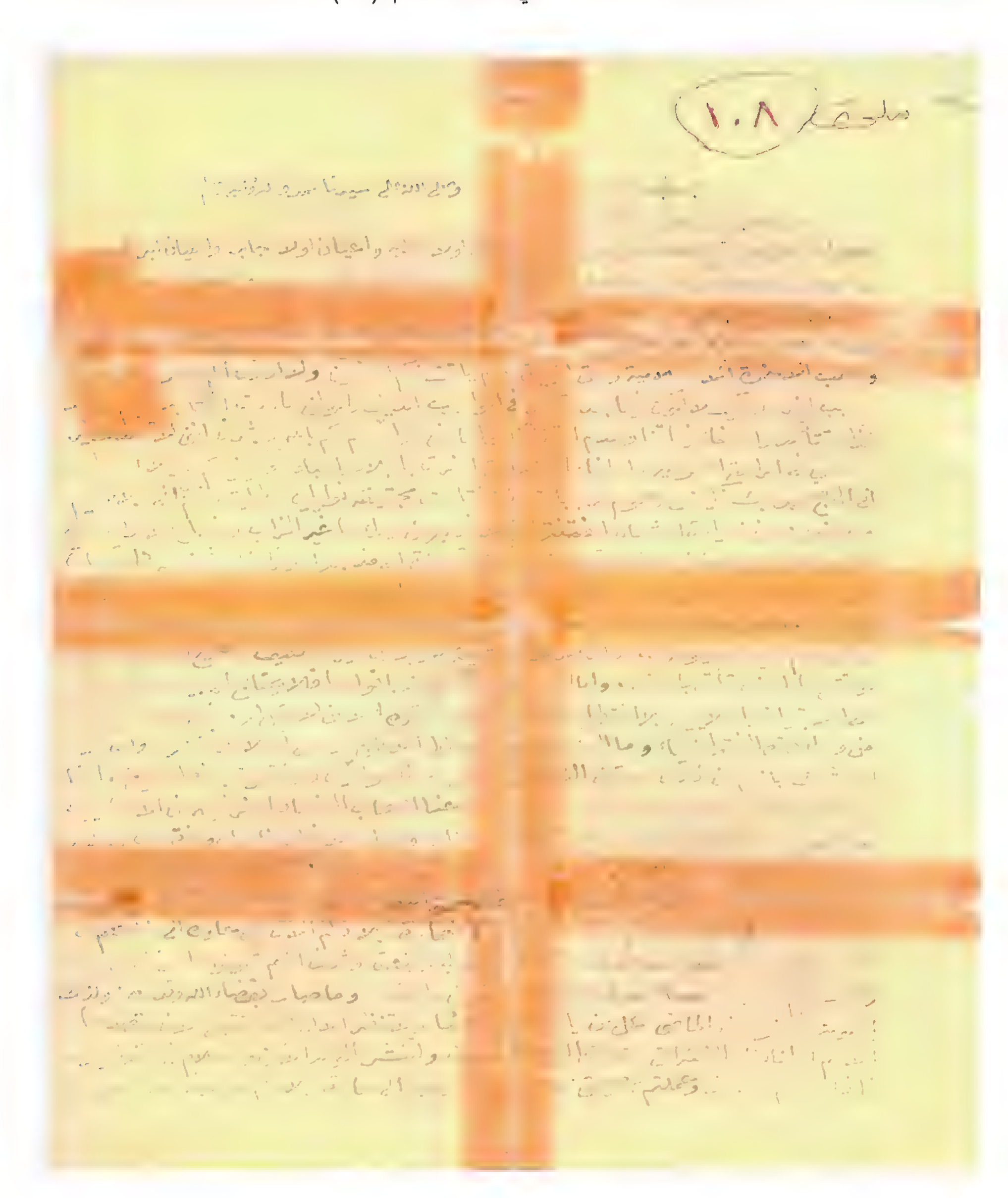
قوماندان القربو
يوسف خربيش

<u>وللأستاذ / الأخضر أبوالقاسم العيساوي تعليق على الوثيقة يقول فيه</u> :-

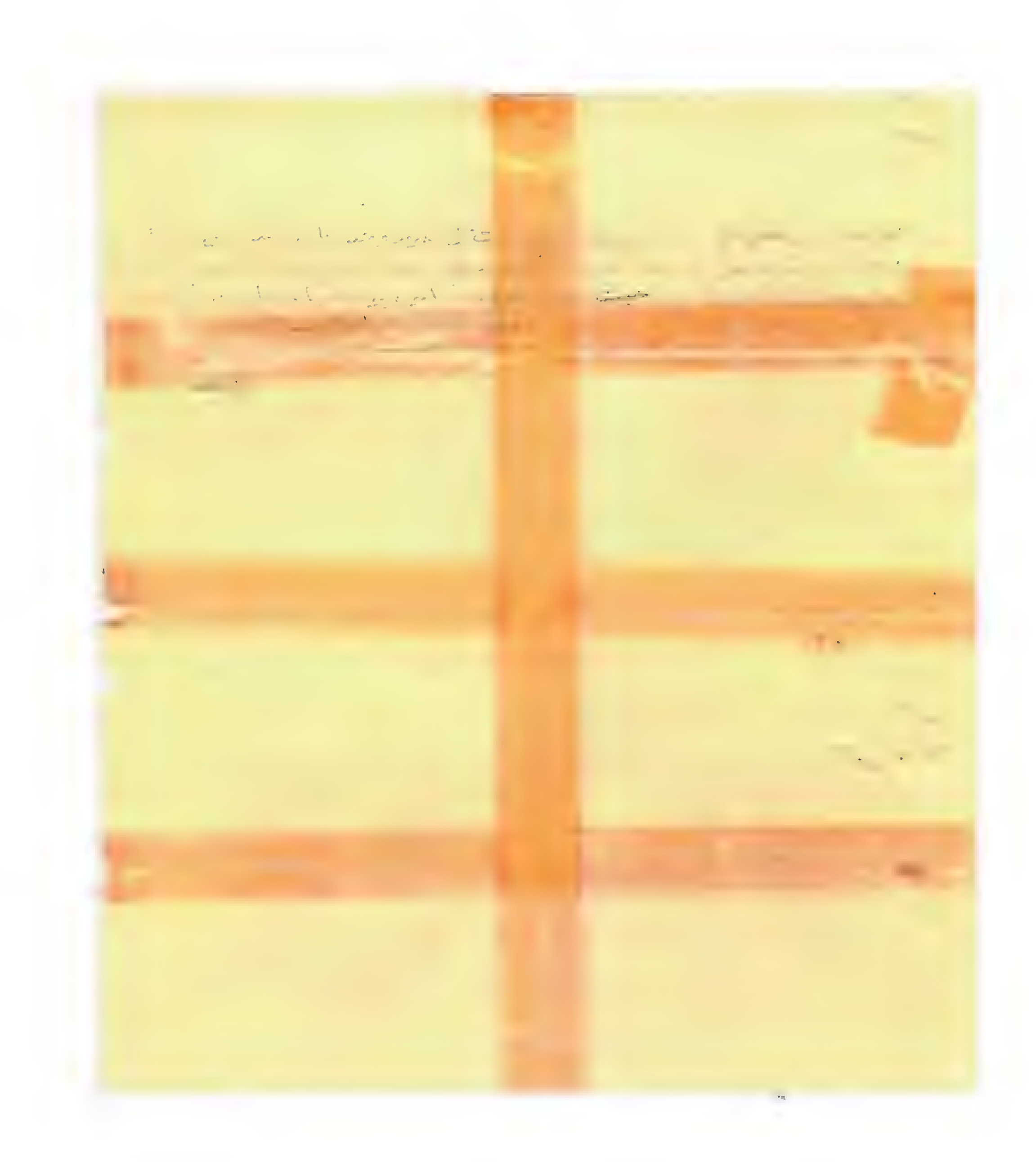
- **خاطب** يوسف خربيشه في صدر رسالته الشيخ عبدالرحمن قرينات ، ثم ثنى بالتوجه إلى أعيان قبائل الرجبان والسبعة عامة ، ولهذا معنى مقصود ، فالشيخ عبدالرحمن قرينات من الأشخاص المؤثرين وأحد مستشاري الحاج محمد فكيني ، وأحد رؤساء العصبيات الحربية ، وهو إلى جانب ذلك كله من " **أصحاب** " يوسف خربيشه ، ولذلك خصه بالذكر لعله يؤثر على الناس ، ومع ذلك لم يرجع مع من رجع ، وواصل المقاومة والهجرة فيما بعد .

وكلمة " **صاحب** " تمثل عند الرجبان والزنتان والسبعة وجادو والرحيبات والصيعان وكاباو ونالوت معاني عديدة نبيلة ، وهي تعني الكثير ، وتدل على اللحمة بين أهل الجبل على اختلاف أجناسهم ، وكان " **للصحبة** " أثارها الايجابية حتى في زمن الصراعات التي اجتاحت الجبل ، فكان " **الصاحب** " من الطرفين يحمي " **صاحبه** " وقت الشدة فيمنعه ولا يسمح بالاعتداء عليه إذا وقع أسيرًا ، ويفديه بنفسه وأهله ويقسم الأيمان أنه سيقتل من يؤذيه ولوكان من أهله ، وهو ما يعبر عنه بـ " **صنعه** " إذا منعه من القتل بعد أسره ، وكثيرون من الطرفين المتحاربين منعوا أصحابهم وأمّنوهم ووفروا لهم الحماية ، ومنعوا حرق بيوت أصحابهم بعد فرارهم ، بل هناك من جاهد في إطفاء النار التي تلتهم بيت صاحبه ، فالأصل في علاقات أهل الجبل " **الصحبة** " بما تحمله من معان نبيلة سامية بين الطرفين ، أما الفتنة والعداوة فهي شيء طارئ أوجدتها ظروف قاسية متعددة ، وغالبا ما تكون بغير رغبة الطرفين وفي حال السلم ، وهو سمة العلاقات بين أهل المنطقة ، فإن حاجة الصاحب مقضية مهما كانت ، بل إنه يقضي حاجة صاحبه ويقدمها على حاجة قريبه ، وإذا قدم أحدهم إلى بيت صاحبه فكأنه في بيته وبين أفراد عائلته ، ومن النادر أن تجد بيتا في جادو أو الرجبان ليس له صاحب مقابل في بلد الآخر ، ولايزال ذلك إلى الآن .

النص الأصلي للوثيقة رقم (17)



ملحق ١٠٨



*- ملحق رقم (108) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (18)

رسالة محمد صفي الدين الشريف السنوسي إلى الحاج محمد فكيني

نومرو
319

إنه من عبد ربه سبحانه محمد صفي الدين الشريف السنوسي
إلى جناب المقدام الغيور الأخ الحاج محمد بك فكيني حفظه الله آمين

سلام عليكم ورحمته وبركاته . وبعد فقد وصلني خطابكم المؤرخ 1 ذي الحجة سنة 1341 وفهمنا كل ما شرحتم ، ولقد سرنا دوام العافية وما أنتم عليه من المثابرة والثبات على مبدأ الجهاد والدفاع ، ولم يبلغنا عنكم لحد الآن إلا الجد والاجتهاد في الأعمال بارك الله فيكم وسهّل أمام المخلصين كل صعاب الأمور .

وقد كنا قبل ورود كتابكم بقليل وجّهنا لجهاتكم وفدا مؤلفا من الأعيان حاملا لتحاريرنا ومزودا بما يلزم من الوصايات مأمورا بالمذاكرة وباستصحاب أعيان من كل قسم لتتميم المذاكرة معنا رأسا لأجل أن تتأسس الأمور بعد التفاهم الحقيقي ولذلك فقد أخّرنا القطع في ترتيب جهاتكم الإدارية والحربية إلى حين عودة الوفد إلينا ، وعليه يقتضي منكم الآن الاستمرار على نشاطكم في جمع المجاهدين وترتيب الخطوط والمبادرة للتقدم على العدو ومشاغلته حيث خطوط هذه الجهة باشرت في الحركات ، وقد فوضنا إلى إقدامكم ولباقتكم المنطقة التي تبدأ من الرحيبات إلى نهاية الرجبان ، كما عرفنا كلا من السلطان آمود والسيد أحمد السني والسيد أحمد الأزهري بمناطقهم ، ندعو الله التوفيق والنصر القريب .

فأصرفوا كل غيرة وناصحوا المنحازين تحت العدو بالالتحاق والانضمام إلى الجامعة الإسلامية وأمّنوا كل من طلب الأمان ، ولا تتركوا ميدانا للغزو إلا على العدو وكرواناته وأعلموا أن بقدر نزاكة موقعكم وأهميته السياسية والحربية وتأثيره على المواصلات عبرة وانتباه . ومدوا يد الاتفاق لكل من مدها إليكم سواء كان من أولاد بوسيف أو من المشاشية ومن معهم . فالأمل أن ينتبه كل لواجبه الديني والوطني وأن تكون الحادثات السابقة وأفعال العدو للجميع درس عبرة وانتباه ونحن مهتمون بمطلوبكم وبكل ما يؤيدكم وسينجز قريبا إن شاء الله . وقد ورد إلينا أمس التاريخ بريد من الجهة الشرقية يفيد قرب تشريف سمو الأمير من مصر وإن الانتصارات في الحروب متوالية ، غنم المسلمون في الوقعتين الأخيرتين ثمانية كراهب مدرعة أخرى غير الاثنتين وثلاثين كرهبة في الوقعة السابقة التي يعرّفوكم عنها أعضاء الوفد حيث أنهم كانوا حاضرين البوستة الأولى . وها هو يأتيكم علم الإمارة لتركزوه في مركز المجاهدين ، وحيث أقمتم . مع بلوغ سلامنا لكافة من معكم من المجاهدين ودمتم سالمين 1 محرم سنة 1341 . نائب سمو الأمير
وها هو العلم الرسمي المخصوص للإمارة تستعملونه في الأيام الرسمية التي هي الجمعة والأعياد ووقت الحرب ، جعله الله بالنصر والظفر آمين

توقيع

لوهرد

٢١٩

من عبد ربه سبحانه محمد صفي الدين الشريف السنوسي

الى جناب المقدام الغيور الاخ الحج محمد بك اشكيني حفظه الدائم

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته . وبعد فقد وصلني خطابكم المؤرخ ١ ذي الحجة ٦٦ وفهمنا كلما شرحتم . ولقد سرنا دوام العافية وما انتم عليه من المثابرة والثبات على مبدأ الجهاد والدفاع ولم يبلغنا عنكم لحد الان الا الجد والاجتهاد في الاعمال بارك الله فيكم وسهل امام الجميع كل صعاب الامور .

وقد كنا قبل ورود كتابكم بقليل وجهنا لجهاتكم وفدا من لفيف الاعيان حاملا لتحارير لنا مزودا بما يلزم من الوصايات مأمورا بالمذاكرة وباستصحاب اعيان من كل قسم لتتميم المذاكرة معنا رأسا لاجل ان تتأسس الامور بعد التفاهم الحقيقي ولذلك فقد اخرنا القطع في ترتيب جهاتكم الادارية والحربية الى حين عودة الوفد الينا وعليه يقتضي منكم الان الاستمرار على نشاطكم في جميع المجاهدين وترتيب الخطوط والمبادرة للتقدم على العدو وشاغلته حيث خطوط هذه الجهة باشرت في الحركات وقد فوضنا الى اقدامكم ولياقتكم المنطقة التي تبدأ من الرحيبات الى نهاية الرجبان كما عرفنا كلا من السلطان احمد والسيد احمد السني والسيد احمد الازهري بما فعلهم ندعو الله التوفيق والنصر القريب .

فاحرضوا كل غيرة وناصحوا المخازنية تحت العدو بالالتحاق والانضمام الى الجمعة الاسلامية وامنوا كل من طلب الامان . ولا تتركوا ميدانا للغزو الا على العدو وكرروا ذلك وعرفوا انا بصدد ازالة موقعكم واهميته السياسية والحربية وتأثيره على المواصلات عبرة وانتباه . وحث على الاتفاق لكل من عندها اليكم سواء كان من اولاد بو سيف او من المشاشية ومن معهم . فالاول ان يتبع كل لواجبه الديني والوطني وان تكون الحادثات السابقة وافعال العدو للجميع درس عبرة وانتباه . يهتمون بمطلوبكم وبكل ما يؤيدكم وسينجز قريبا ان شاء الله . وقد ورد الينا يوم التاريخ برقية من الجهة الشرقية يفيد قرب تشريف سمو الامير [illegible] مصر [illegible] الانتصارات في الحرب [illegible]


غنم المسلمون في الوقعية الاخيرتيه ثمانية كراهيب مدرعة اخرى غير الاثنية وثلاثية كرهبة التي
في الوقعة السابقة التي يعرفكم عنها اعضاء الوفد حيث انهم حضريه الوقعة الاولى . وها هو يأتيكم
علم الامارة لتركزوه في مركز المجاهدين وحيث اختم مع بلوغ سلامنا لكافة من معكم من المجاهدين
. ودمتم سالمين في ١ محرم الحرام ١٣٦١ نائب سمو الامير

*- ملحق رقم (121) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (19)

رسالة من غراتسياني إلى الحاج محمد فكيني عام 1923

المحترم الحاج محمد فكيني

قد طرق سمعي أنك كتبت جوابا إلى الحكومة إنما لم أطلع عليه لكوننا تخاطينا في الطريق ، فحين وصولي إلى طرابلس كنت تسقدت* منها .

اليوم قدمت لكي نتكلم مع مشايخ الرجبان والزنتان ، وإن شاء الله نهديهم إلى النور وإلى طريق الرشاد . قلبي سليم لكوني سمعت من بعض أحبابك بأنك ندمت كثيرا لعدم استماعك إلى نصائحي وقت كنت نهدي فيك إلى طريق النجاة وقت كنا في سواني الكردي .

الآن أسألك باسم الله تعالى ما هذا التأني ولماذا لم تفتكر عاقبة الأمور ؟
ألم تعلم بأن قصر العنكبوت المبني في ترهونه عن قريب يبدا في التراب تحت يدي القاهرة المستعينة بالله في جميع أفعالها لكون أفعالي حسنة مع عباده ؟

ما مرادك ، وما أفكارك ، ألم تعلم أن الأوهام أوانها قد رحل وما بقي إلا الأعمال الصحيحة والأفعال المليحة ؟ ألم تر أن الله تبارك وتعالى يكافي فيك في أعمالك يوما فيوما في ذريتك وشيعتك وفي جميع ما عندك؟ وأنت باقي على ما أنت عليه والا تارك رحمة الله خوفا من الحكومة ، والحال الله تعالى والحكومة رحمتهم واسعة لكل من التجأ إليهم وتاب ، ويعاقبوا العقاب الشديد لمن داوم على ما عليه .

بناء عليه أنذرك مرة ثانية ، وربما الأخيرة ، وما بعد الإنذار أعذار فاختر لنفسك أي القرار تختار ، والسلام 4 يناير 1923

قوماندان المنطقة الجبلية
الكولونيل : غراسياني

*- تسقدت : يعني مشيت أو ذهبت

النص الأصلي للوثيقة رقم (19)



*- ملحق رقم (114) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (20)

رسالة من غراتسياني إلى الحاج محمد فكيني عام 1923

الحاج محمد فكيني

من قصر ترهونه 17 فبراير 1923 الموافق 2 رجب الأصم 1341

أخذت جوابك المملوء حشوا ، ولم أجد فيه سوى قولك ليس من شيم الرجال الشماتة وإظهار المسرة في المصائب الإلهية وفي وفاة ابني وما أدراك .

أسفت جدا من ذلك ، ولم كان قصدي معنى ما قلت بل قلت لك أفعالك وحركاتك هي على عبث ولا على نية حسنة ، وعليه حتى الله تبارك وتعالى لم يعاونك على ما أنت عليه بل يجازي فيك في رجالك ومالك وخلفك وحيدا فريدا من غير قوم ولا منال وهذا المراد .

القولونيل قومندان المنطقة الجبلية
غراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (20)



ملحق

(١١٨)

Comando Zona [illegible] Occidentale

الحاج محمد فكيني

من قصر ترهونة [illegible] فبراير [illegible] رجب الاصم [illegible]

اخذت جوابك [illegible] ولم [illegible] فيه [illegible] لك ليس [illegible] الرجال الشماته

واظهار المسره في المصائب الالهيه [illegible] و ما ادراك .

استغربت جدا من ذلك ولم [illegible] بل [illegible] افعالك

وحركاتك [illegible] على عقبك ولا [illegible] حسنه وعليه الله تبارك وتعالى

لم يعاونك على ما انت عليه بل يجازيك في رجالك و مالك وخلفك [illegible]

[illegible] قومهم ولا [illegible]

القائد [illegible] المنطقة الجبلية

[illegible]

Comando Zona Gebel Occidentale

*- ملحق رقم (118) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (21)

مرسوم ولائي
مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لبعض الثوار
رقم 1/211 وتاريخ /28 فبراير 1924

حكومة طرابلس الغرب
بعد الإطلاع على المرسوم الملكي رقم 886 بتاريخ 17 مايو 1919
وعلى المرسوم الولائي رقم 640 / أ بتاريخ 17 يوليو 1922
وعلى المادة 1 من المرسوم رقم 320 / أ بتاريخ 11 أفريل 1923

قررت أن :
تصادر جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة أينما وجدت العائدة للثوار المبينين أدناه :

سوف المحمودي
عون بن محمد سوف
عبدالصمد النعاس
عبدالنبي بالخير
مصباح بن عبدالنبي بالخير
بوعزوم بن عبد النبي بالخير
يوسف بن عبدالنبي بالخير
الحاج محمد بن خليفة فكيني
مسعود بن خليفة فكيني
الطاهر اليازجي
الحاج فرحات القاضي
إبراهيم بن رمضان الشتيوي
محمود المسلاتي

حرر بتاريخ /23 فبراير سنة 1924

---

*– الجريدة الرسمية لطرابلس الغرب رقم 6 ص 69 الصادرة بتاريخ 16 مارس 1924

الوثيقة رقم (22)

رسالة من المجاهد بشير السعداوي

إلى الحاج محمد فكيني بعد دخوله الأراضي التونسية عام 1930

اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية
سعادة المجاهد الكبير سيدي الحاج محمد بك الفكيني حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بشرني أخو الجميع أحمد فاضل بك بوصولكم إلى القطر التونسي سالمين فسررت من جهة وأسفت إذ أن البلاد فقدت بطلا من أبطالهــا وعضــدا كبيرا من رجالها لأنكم من الذين أعز الله بهم الإسلام والمسلمين في تلك الــديار ولقــد كنــتم السيف المسلط على رقاب الخائنين والكفار لذلك تراني آسفا . وعلى كل فإني أحمد الله الــذي أنجاكم من المهالك وسهل لكم المسالك ومن سلمت له نفسه الذي هي رأس ماله ونفذ بعيالــه وأطفاله ووجد سبيلا للخلاص بعد ما كان يظن أن لا نجاة ولا مناص فما أحقه أن يحمد مــولاه على ما أسداه إليه من خير وعافاه مما ابتلى به الغير ، والأمر كله لله فهو وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وقد كفانا شرفا أننا قمنا بواجب الجهاد وبذلنا ما في وسعنا لإنقــاذ البلاد من مخالب المستعمرين وعذاب القوم الظالمين ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها ولكل أجل كتاب ولنا في رسول الله أسوة حسنة يوم هاجر من مكة مع أصحابه وكذلك يتــرك الرجــال مواطنهم وينزحون عنها لنصرة الحق وتأييده غير مبالين بالعناء وما يلاقونه من المشاق وآلام الغربة . [ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة وسعة] فالله وعدنا الســعة [والله لا يخلف الميعاد]. نعم : إن فراق الوطن والبعد عن الديار امتحان كبير قــد قرنــه الله بقتل النفس فقال [ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم] وأننا نحمد الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو الذي يــوفى الصــابرين أجرهم بغير حساب . وقصارى القول : فإني بالأصالة عــن نفســي وبالنيابــة عــن الجاليــة الطرابلسية البرقاوية في هذه الجهات أهنئكم بالسلامة وأدعو لكــم بطيــب الإقامــة . وإننــي يا سيدي الأخ عندما أقعدني الحظ عن الاشتراك معكم في تلك المواقف الأخيرة عوّلت مع فريق من إخواننا في هذه الجهات على خدمة قضية بلادنا من الوجهة الفكريــة ؛ إذ لا يخفــى علــى حضرتكم أن الكفاح في هذا العصر لا يقوم بالسيف وحده بل لا بد من أقلام تعززه وآراء تؤيده ولذلك فإننا منذ مدة طويلة نعالج قضيتنا بالأساليب السياسية والنشر على صــفحات الجرائــد وطبع الرسائل . وسنبسط لكم ذلك في غير هذا الكتاب وأكتفي الآن بهذه الإشارة . وإني لأرجو من حضرتكم أن تعرفوني عن أخباركم كما وسأعرفكم بما لدينا وما سنصل إليه إن شــاء الله من النتائج الحسنة والله يوفقنا وإياكم لما فيه الخير . هذا وإن عموم الإخوان المقيمــين فــي هذه الجهات يهدونكم عطر السلام وأرجو أن يكون جوابكم مفصلا عن رحلتكم الأخيرة ومن أي طريق دخلتم الأيالة التونسية ومن كان معكم على وجه التفصيل ودمتم سالمين 1 تشــرين ثاني 1930 /]

أخيكم المخلص
بشير السعداوي
عنواني : الشام – المهاجرين – عدد 176
دمشق

النص الأصلي للوثيقة رقم (22)



*- ملحق رقم (140)من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

*- رد الحاج محمد فكيني على هذه الرسالة برسالتين نشرهما الأستاذ تيسير بن موسى في كتابه " كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925-1950 في الصفحات 187-190 .

((... وقبل ذلك بيومين أو ثلاثة مرّ علينا ذوات من نالوت اخوان ابـــن عســـكر وقصدهم نظره في الزنتان ، فقلت لهم : فهموا خليفة بن عسكر أن يهرب لطرفنا ويقصد الشيخ سوف في الجوش وألا يخاف شيئا ، ولما أخبروه هرب في الحـــال على طريق قصر الحاج أدنى الجبال حتى وصل إلى الشيخ سوف فـــي الجـــوش وأتى رجال نالوت وكاباو وبقوا كلهم مع الشيخ سوف ....))

((وفي تلك الظروف صارت كبار السنوسية يراسلون في الحاج محمد فكيني حيث أنه الحاكم بقضاء فساطو ونظارة الجبال وأنه حاكما علـــى الزنتـــان والرجبـــان والرحيبات...))

((وعندما أتينا إلى بلدنا اجتمعت علينا أعيان الزنتان والرجبـــان قـــدر خمســـين فارسا من غير الرجال ، واتفقوا انهم يمنعوني من الهجرة ، وأن الـــرأي الـــذي ننتجه لهم يقبلوه ولا يسمعوا لسليمان كلاما ولا لغيره وإذا وقـــع الاتفـــاق بـــين الرجبان والزنتان فعموم الجبل لا يخالف لهما رأيا لأنهما أكبر قبايله وهما أقـــرب لبعضهما من بقية أهل الجبل ، فجعل لي ذلك الايئتناس وكلفتهم اليمين بكتاب الله العزيز فحضر لدينا مصحف القرأن ودار بين الحاضرين بواســـطة أحـــد الطلبـــة وحلف به كل من حضر ذلك المجلس من الزنتان والرجبان وبعد أدائهـــم اليمـــين بالمصحف أردفوا عليه يمين الطلاق بالثلاث ويمين العتق على أننا يد واحـــدة ولا نترك بعضنا ونموت جميعا على صغير منا وما يبديه لنا الحاج محمد فكيني مـــن الرأي والتدبير فلا نخالفه ونتبعه فيما يراه لنا من المصالح لما يعلمون من محبتي لهم ومودتي مع التجربة عندهم مرارًاوالوقوف في مصالحهم فهذا كله بحضـــور عموم أعيانهم وعلمائهم وحررنا مضبطة على هذا المنوال وجعلنـــا منهـــا عـــدة نظاير، وعلى ذلك افترق المجلس الواقع في يوم الجمعة 12 في حجـــة الحـــرام سنة 1330 ومرادنا بالنظاير لنرسلها لعموم أوطان الجبل وقبائله ...)).

الوثيقة رقم (23)

النصوص الأصلية للاقتباسات الواردة في متن الكتاب من مذكرات الحاج محمد فكيني

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:- المصادر

(أ) مصادر غير منشورة (الوثائق)

1- محمد فكيني، **البدر المنير لحقائق من حوادث طرابلس في العهد الأخير**، مذكرات غير منشورة.

2- الرسائل المتبادلة بين الحاج محمد فكيني والجنرال غراتسياني.

(ب) مصادر منشورة (المخطوطات)

1- العقيد أ. بيلاردينيللي، **القبلة**، "مخطوط"، **حكومة طرابلس الغرب**، بحوث ودراسات استعمارية، المطبعة الحجرية، 1935.

2- رفائيل رابكس، **ترسيخ السيادة الإيطالية على طرابلس الغرب**، "مخطوط"، الجزء الأول والثاني.

ثانياً:- المراجع

(أ) الكتب

1- إبراهيم أحمد أبوالقاسم، **المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية**، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع، تونس، 1992.

2- أحمد صدقي الدجاني، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث- الوثائق العثمانية 1881-1911**، جمع وترجمة الحاج عبدالسلام أدهم، منشورات جامعة قاريونس، مطابع دار صادر، بيروت، 1974.

3- أحمد كريّم علي، **المجاهدون المنسيّون**، دار الكلمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 2005.

4- الطاهر الزاوي، **عمر المختار: الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا**، مؤسسة الفرجاني، طرابلس، الطبعة الثانية، 1970.

5- الطاهر الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، دارف المحدودة، لندن، الطبعة الثالثة، 1984.

6- السيد عبدالعزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1981.

7- البشير ابن الحاج عثمان الشريف، **أضواء على تاريخ تونس الحديث: 1881-1924**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى.

8- انجيلو ديل بوكا، **الإيطاليون في ليبيا**، ترجمة د. محمود علي التائب، مراجعة عمر محمد الباروني، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، الطبعة الأولى، 1995.

9- أنجيلو ديل بوكا، **على مقربة من المشنقة**، دار ميلالي، فرنسا، الطبعة الأولى، 2008.

10- انجلو بتشولي، **إيطاليا ما وراء البحار**، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، مراجعة د. صلاح الدين السوري، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1993.

11- السلطان عبد الحميد الثاني: **مذكراتي السياسية 1891-1908**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

12- بيدبا، **كليلة ودمنة**، نقله إلى العربية ابن المقفع، المكتبة الثقافية، بيروت.

13- تيسير بن موسى، **كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1935-1950**، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983.

14- جلال حقي، **تاريخ المغرب الكبير (ج4) الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

15- جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا**، ترجمة وتحقيق محمد عبدالكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1972.

16- جويد فورناري، **الإيطاليون في الجنوب الليبي**، ترجمة د. عبدالرازق فوقي، مراجعة وتحقيق محمد سعيد القشاط، الطبعة الأولى، 2007.

17- جيمس ريتشاردسن، **ترحال في الصحراء**، ترجمة د. الهادي مصطفى أبولقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1993.

18- حسن الفقيه حسن، **اليوميات الليبية**، الجزء الأول، تحقيق محمد الأسطى - عمار جحيدر، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1984.

19- حسن عثمان، **منهج البحث العلمي**، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1970.

20- خليفة محمد التليسي، **بعد القرضابية: دراسات في تاريخ الاستعمار الإيطالي بليبيا (طرابلس الغرب 1922- 1930)**، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1973.

21- خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا**، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.

22- رابطة الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين، **كتاب الفصول الأربعة: 7 أكتوبر قراءة في الوقائع الليبية.**

23- رودولفو غراتسياني، **نحو فزان**، ترجمة طه فوزي، مكتبة الصايغ، القاهرة، 1976.

24- رودولفو غراتسياني، **إعادة احتلال فزان**، ترجمة عبدالسلام باش إمام، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، الطبعة الأولى، 1995.

25- زعيمة الباروني، **صفحات خالدة من الجهاد الليبي للمجاهد الليبي سليمان الباروني**، الجزء الأول، مطابع الاستقلال الكبرى، مصر، 1964.

26- زعيمة الباروني، **صفحات خالدة من الجهاد للمجاهد الليبي سليمان الباروني**، الجزء الثاني، بيروت، 1968.

27- شارل فيرو، **الحوليات الليبية**، نقل وتحقيق د عبدالكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الطبعة الثانية، 1983.

28- صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي: **من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.

29- عاصم الدسوقي، **البحث في التاريخ : قضايا المـــنهج والإشـــكالات**، دار الجيـــل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.

30- عبد الجليل الطاهر، **المجتمع الليبي : دراسات اجتماعية وانتروبولوجية**، بيروت، الطبعة الأولى، 1968.

31- عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون** ، تحقيق الأستاذ حجـــر عاصـــي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.

32- عبدالحميد جودت السحار، **محمد رسول الله والذين معه**، دار مصـــر للطباعـــة، القاهرة.

33- علي عبد اللطيف حميدة، **المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا**، مركز دراســـات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1995.

34- عمر فروخ، **العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوســـط**، المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الثانية، 1966.

35- فارس أحمد العلاوي، **قبائل الصيعان وبلدانهم**، مكتبة أوغاريت، دمشق، الطبعـــة الأولى، 2000.

36- فتحي ليسير، **خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض**، مركز سرســـينا للبحـــوث حول الجزر المتوسطية، تونس، الطبعة الأولى، 2001.

37- ليلى عبدالله محمد سوف، **أبطال وشهداء في تاريخ الجهاد العربـــي الليبـــي**، دار الكلمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 2005.

38- مجموعة من الباحثين، **بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911- 1943**، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1984.

39- محمد الفاضل ابن عاشور، **تراجم الأعلام**، الدار التونسية للنشر، 1970.

40- محمد مسعود فشيكة، **رمضان السويحلي**، مكتبة الفرجـــاني، طـــرابلس، الطبعـــة الأولى، 1974.

41- محمد سعيد القشاط، **بين نجوع البادية**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1963.

42- محمد سعيد القشاط، **ريم على الغدير**.

43- محمد سعيد القشاط، **عشيات وادي غدو**، مكتبة الفكر، طرابلس، الطبعة الثانية، 1968.

44- محمد سعيد القشاط، **الأدب الشعبي في ليبيا**، الطبعة الأولى، 1968.

45- محمد سعيد القشاط، **سوف المحمودي حياته وشعره**، الطبعة الأولى، 1969.

46- محمد سعيد القشاط، **صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي**، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1970.

47- محمد سعيد القشاط، **خليفة بن عسكر الثورة والإستسلام**، دار المسيرة، بيروت، 1987.

48- محمد سعيد القشاط، **معارك الدفاع عن الجبل الغربي**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1983.

49- محمد سعيد القشاط، **مذكرات المجاهد عون بن سوف**، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.

50- محمد سعيد القشاط، **في ظلال السدر**.

51- محمد صالح الجابري، **يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية**، الجزء الأول، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1982.

52- محمد عبدالكريم عبد الوافي، **الطريق إلى لوزان**، دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1987.

53- محمد عبد الوهاب الزنتاني، **حقيقة الدفاع عن معارك الجبل الغربي ضد الغزو الإيطالي**، الجزء الأول، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ودار اليوم للإعلام المحدودة، طرابلس، 1993.

54- محمد عبد الوهاب وأخرون، **السير والرد على التزوير**، الدار الأطلسية، تونس، الطبعة الأولى، 2006.

55- محمد عبد الجواد محمد، ملكية الأراضي في ليبيا، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1974.

ثالثـًا:- الدوريات

(أ)- المقالات

1- أحمد محمد عدوان، **مدخل إلى علم التاريخ عند العرب في المشرق**، مجلة كلية التربية، العدد التاسع، 1987، جامعة الفاتح، طرابلس، ص 251.

2- الهاشمي محمد بالخير، **الحس الشعبي بأهمية وضرورة الاستعداد العسكري قبل الغزو الإيطالي**، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 43.

3- خليفة الذويبي، **لمحات عن الحالة العسكرية في طرابلس الغرب قبيل الغزو الإيطالي**، مجلة الشهيد، العدد الخامس، مركز دراسات جهاد الليبيين، 1984، ص7.

4- سعيد الجيطلاوي، **الحياة الاجتماعية في برقة وطرابلس قبيل حرب إيطاليا- تركيا 1911-1912**، موقع ليبيا اليوم، شبكة المعلومات الدولية، 2006.

5- صلاح الدين حسن السوري، **الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني**، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة السادسة 1984، ص367.

6- عبدالله علي إبراهيم، **حول إعادة كتابة التاريخ**، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثامنة، العدد الأول، 1986، ص23.

7- عبد المولى صالح الحرير، **التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه: بحوث ودراسات في التاريخ الليبي**، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، 1984، ص15.

8- عبد الرحمن عمر البريكي، **معركة وادي الوخيم**، مجلة الشهيد، العددين السابع والثامن، 1988، ص 111.

9- عمر المجدوب زبيدة، **على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي**، مجلة الشهيد، العدد الخامس، 1984، مركز دراسات جهاد الليبيين، ص315.

10- عمرو بغني، **أصول حركة الصفوف وأثرها على حركة الجهاد الليبي**، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص91.

11- قاسم خلف الجميلي، **المنحى العلماني للفئة المثقفة الطرابلسية**، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد27، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2003، ص59-69.

12- محمد الطاهر الجراري، **لماذا مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبيي**، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، 1979، ص9.

13- محمد الطاهر الجراري، **الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار**، مركز دراسات جهاد الليبيين، شبكة المعلومات الدولية.

14- محمد الطاهر الجراري، **أهمية الأرشيف العثماني والخصوصية الليبية: ندوة أهمية الأرشيف العثماني بالنسبة للتاريخ الأقليمي والعالمي**، اسطمبول، 2005.

15- محمد سعيد القشاط، **الحاج محمد بن خليفة فكيني**، مجلة الوحدة العربية، العدد السادس، سبتمبر 1970، ص82.

16- مختار الهادي بن يونس، **ملاحظات نقدية حول المذكرات المنسوبة لعون سوف المحمودي**، مجلة الشهيد، العدد الخامس، مركز دراسات جهاد الليبيين، 1984، ص251.

17- مصطفى هويدي، **عرض كتاب: خليفة بن عسكر**، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص267.

18- ميلاد المقرحي، **الجالية الإيطالية في ليبيا: دراسة تاريخية اقتصادية**، مجلة قورينا، العددين 4-5، السنة السادسة، مارس 1972، ص24.

19- ميلاد المقرحي، **ملاحظات حول كتابة التاريخ والبحث التاريخي**، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة السادسة، 1984، ص477.

20- نوري حمودي القيسي، **منهجية البحث التاريخي عند العرب**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 43، السنة السادسة عشرة، 1990، بغداد، ص209.

****


هذا الكتاب
لأننا جميعا نشترك في تاريخ واحد، سجل انتصاراتنا وإخفاقاتنا وأفراحنا وأحزاننا، وأحلامنا وآلامنا، هذا التاريخ الذي صنعه الأجداد والآباء بالدم والمعاناة، والتضحية بكل غال ورخيص في مواجهة آلة الدمار الغازية من وراء البحر، وقسوة الطبيعة الجدباء، فإنه لا يجوز لأي كان أن يعبث بوقائعه وحقائقه من أجل تحقيق مصالح ومطامع وأغراض شخصية.
لذلك فإن هذا الكتاب يرد على تلك الكتابات المشوهة لهذا التاريخ الجهادي المجيد، ويفند بالأدلة والوثائق كل تلك المغالطات المتعمدة ويبين في الوقت نفسه بالأدلة والبراهين أن تلك الأقلام لا تكتب عن قناعات وثوابت ترتكز على القيم والمبادئ، وإنما تتغير كتاباتها حسب المواقف واللحظة.